س ـ 92

الإنسان الكامل

تأليف

محمد بن علوي المالكي الحسني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي الى الصراط المستقيم وعلى آله وصحبه حق قدره ومقداره العظيم .

ان العناية بالسيرة النبوية والاهتمام بها قد تناوله الكتاب من نواحيه المختلفة لا في اللغة العربية والفارسية فقط بل وفي كثير من اللغات الغربية . ومن بينها الانجليزية التى هى أكثر لغات الغرب اهتماما بالجناب النبوى . فانها غنية بكتب تبحث عن السيرة ، لان كثيرا من مؤلفى الغرب بذلوا غاية جهودهم فألفوا كتبا في سيرة النبى الامين وأقاموا حججا بالغة على عظمة رسول الاسلام عليه الصلاة والسلام واعترفوا بما للنبى الكريم من الفضل في تحرير المجتمع من مظاهر العبودية والتقليد ومن ربقة الذل والهوان وقال بعضهم : ان دعوته عليه الصلاة والسلام رفعت الامة من حضيض الشقاء الى أوج السعادة في سنين معدودة وان كانت دراساتهم وكتبهم لا تخلو من دس وسم ، ولذا فانه لا ينبغى خلع الثقة المطلقة عليها .

ومهما كتب الكتاب وملؤا بطون الاسفار والمجلدات بفضائله فهم عاجزون ومقصرون في حصر جميع ما لحضرته صلى الله عليه وسلم من

Marfat.com

الاوصاف الحميدة والخصال الطيبة الطاهرة . فهو صلى الله عليه وسلم قد بلغ أوج الكمال الانساني حيث اصطفاه ربه لتبليغ رسالته الالهية فكان لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى وقد أثنى عليه ربه فقال : « وانك لعلى خلق عظيم » وقال عز من قائل « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » وأمثال هذا كثيرة في أعظم كتاب وأفضل خطاب فخارج عن نطوق بشرى حقه كلامه بتمامه .

كيف محاسنه نور هدى نسب ● للبدر عند تمامه لم يخسف

وحى تفنن واصفيه بوصفه ● يفنى الزمان وفيه ما لم يوصف

وكيف تقدم الانسان في الحضارة وخطا خطوة في حلبة الرقي وصعد درجة في سلم الارتقاء ادرك بقدر اتساع آفاق الفكرية ما محمد صلى الله عليه وسلم من الايادي البيضاء على الانسانية جمعاء .

وقد مضى على انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى نحو أربعة عشر قرنا ولا تزال عظمته ملء القلوب والاسماع وذكراه تشيد الحياة الضامنة الى منبع هذا الالهام الكريم والى فيض هذه البطولة الفذة والعظمة الكاملة .

واذا ذكر المسلمون هذا النبي الامي تقديسا للرسالة التي حملها وبلغها عن الله تعالى ونشرها في الخافقين وايمانا بسمو ما جاء به من عقيدة وتشريع فان الانسانية كلها لتذكر انه رسولها الفذ الكريم البر الرحيم والعلم المفرد الوحيد مجاهدا في تاريخها الحافل المديد .

Marfat.com

ان عظمته عليه الصلاة والسلام ليست مستمدة من عصبية أو جاه أو مال ولا من عظمة الامة التى ظهر فيها ، ولا من سمو حسبه وشرفه بل من جلال شخصيته وكمال خلقه وسعة أفقه وانه المثل الاعلى للانسان الكامل وانه عاش مجاهدا ومات مجاهدا في سبيل الله . وأنه الرسول المبعوث الذى اختارته العناية الالهية من بين الخلق ليبلغ رسالة الله الى العالم على فترة من الرسل ضل فيها الناس وجهلوا هداية السماء التى بشر بها الانبياء والمرسلون وترجع الى أنه جاء بآخر الرسالات لتكون بين البشرية عامة وعقيدة الناس قاطبة وهى الفطرة التى فطر الله الناس عليها .

فقد دعت الى التوحيد المطلق وقررت مبادىء العدالة والحرية والمساواة والاخاء بين الناس كافة ، وكانت دين البشرية بسمو روحها وجلال نزعاتها ونبيل اهدافها ورفعها من كرامة الانسان ودعوتها الى الحب والرحمة والتعاون وايقاظ الضمير والشعور بالمسئولية وتقدير العهود والحرمات ونشر العلم والعمران والمدنية وحرب الوثنية والشرك والضلال والعناد والرذائل والمنكرات والاهواء الضالة والاوهام الضارة والشهوات الجامحة والخرافات الكاذبة والتقاليد البالية وجمع الناس تحت لواء واحد من هدى الله وفى ظل رسالة كاملة هى شريعة الله . ثم لم يمض الى جوار ربه الا وقد جمع العرب عليها ودعا الملوك والامراء اليها فأرسل الرسل مبشرين ومنذرين الى كسرى وملك البحرين والحبشة وحاكم مصر وهرقل قائد دولة الروم العظمى .

وحمل خلفاؤه من بعده عبء هداية الامم وتحرير الانسانية فوصلت

Marfat.com

هذه الرسالة الى اطراف الدنيا وقامت عليها حضارة مشرقة ولم تزل عقيدة كثير من الامم والشعوب ولن تزال حية بما فيها من اخلاق واحكام الى ان يرث الله الارض ومن عليها .

وبعد : فهذا كتاب شاركت فيه بالكلام عن بعض حقائق الجناب المحمدى سائلا المولى جل وعلا ان يلهمنا الصواب وان يوفقنا لما فيه الخير والصلاح . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

محمد علوى المالكى

Marfat.com

الحمد لله وكفى ، وسلام على عباده الذين اصطفى ؛ وأصلى وأسلم على النور المبين والسراج المنير البشير النذير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين •

وبعد :

فقد كنت اقرأ في سورة المائدة فاستوقفنى قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا » ووقفت عند هذه الآية وقفة تأمل وتبصر واعتبار وأخذت أكررها وأرتلها متذوقا حلاوتها مستشعرا بلاغتها متأثرا وجميع جوارحى بها وخلصت الى :

١ ــ ان الله تعالى لما أراد أن يكون هذا الدين خاتم الاديان فلا دين بعده ينسخه أو يبدله أو يصلحه . بدليل قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » جمع فيه من الاحكام والآداب والتعاليم ما يضمن له أن يكون خالدا باقيا . وصالحا لكل زمان ومكان . وكفيلا باسعاد الانسانية كلها وتخليص البشرية من أدرانها واقامة العدالة والحق بين الناس أجمعين فكان بذلك الدين القيم التام المحفوظ الخالد القيم ؛ الذى قال فيه تعالى : « فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله . ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •

التام : الذى قال فيه تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شىء » •

المحفوظ : الذى قال فيه تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » •

Marfat.com

الخالد : الـذى قال فيه سبحانه : « انا نحـن نزلنا الذكـر وانا له لحافظون » .

والتمام والحفظ والخلود هى أولى سمات الكمال فهو بهذه الصفات الدين الـكامل .

٢ ـ واذا كانت الرسالة الاسلامية هى الرسالة التامة القيمة المحفوظة الخالدة الكاملة من كل نواحيها فلا بد وأن يكون حاملها والداعى اليها الذى بعثه الله بها على ذلك المستوى بل وأرفع . وفي نفس تلك الرتبة ، بل وأعلى وفي تلك المنزلة والدرجة . بل وأجل . لانه هو المتحمل القائم بأعباء هـذه الرسالة . ومعلوم ان الحمل الكبير لا يحمله ـ الا من هو أكبر منه .

٣ ـ ومن هذه الزاوية اللطيفة والحيثية الشريفة تصورت أن النبى محمدا صلى الله عليه وسلم الذى جاء بهذا الدين الكامل لا شك انه هـو انسان كامل . كامل في كل شيء . كامل في خلقه وصورته . فلم ير الرائى قبله ولا بعد مثـله .

فهو الذى تم معناه وصورته ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم

كامل في خلقه وسجاياه . اذ يقول فيه ربه سبحانه : « وانك لعلى خلق عظيم » . كامل في أدبه وسيرته اذ يقول عنه مولاه « ألم يجدك يتيما فـآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فاغنى » ، فهو الانسان الكامل في كل شيء من الصفات الحسية والمعنوية المنزه عن كل عيب أو نقص .

خلقت مبرأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

Marfat.com

٥ ــ وأحببت أن أشارك في الكتابة عن هذه الحقيقة التى من أنكرها فقد أتى منكرا وزورا .

وان أنكر الاعمى على الشمس ضوءها فما ضرها شيئا ولكن أتى نــكرا

فكتبت عن كمال هذا الانسان صلى الله عليه وسلم .

محمد علوى المالكى المكى الحسنى
غفر الله له ولوالديه وللمسلمين اجمعين

Marfat.com

(الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك

ورفعنا لك ذكـرك)

كمال مواهبه العلية وصفاته السنيه

Marfat.com

كمال طهارة نسبه الشريف

قال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ولدنى من سفاح الجاهلية شيء ما ولدنى الا نكاح الاسلام .

وروى هشام بن محمد الكلبى عن أبيه قال كتبت للنبى صلى الله عليه وسلم خمسمائة أم فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان من امر الجاهلية

وعن على كرم الله وجهه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم الى أن ولدنى أبى وأمى ولم يصبنى من سفاح اهل الجاهلية شيء .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يلتق أبواى قط على سفاح لم يزل الله ينقلنى من الاصلاب الطيبة الى الارحام الطاهرة مصفى مهذبا لا تتشعب شعبتان الا كنت في خيرهما .

وعن انس رضي الله عنه قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقد جاءكم رسول من انفسكم » بفتح الفاء وقال انا انفسكم نسبا وصهرا وحسبا ليس في ابآئى من لدن آدم سفاح .

وعن عائشة ام المؤمنين رضي الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام قال قلبت مشارق الارض ومغاربها فلم ار رجلا افضل من

Marfat.com

محمد صلى الله عليه وسلم ولم أر بنى أب أفضل من بنى هاشم(١) .

وفي صحيح البخارى عن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعثت في خير قرون بنى آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه .

وفي صحيح مسلم عن واثلة بن الاسقع رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى كنانة من ولد اسماعيل واصطفى قريشا من كنانه واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم . وعن العباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلنى في خير فرقتهم وخير الفريقين ثم تخير القبائل فجعلنى في خير بيوتهم فانا خيرهم نفسا وخيرهم بيتا أي خيرهم روحا وذاتا وخيرهم أصلا .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ان الله اختار خلقه فاختار منهم بنى آدم ثم اختار بنى آدم فاختار منهم العرب ثم اختارنى من العرب فلم أزل خيارا من خيار الا من أحب العرب فبحبى أحبهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم .

واعلم : أنه عليه الصلاة والسلام لم يشاركه في ولادته من أبويه أخ ولا أخت لانتهاء صفوتهما اليه وقصور نسبهما عليه ليكون مختصا بنسب جعله الله تعالى للنبوة غاية ولتمام الشرف نهاية وأنت اذا اختبرت حال نسبه وعلمت طهارة مولده تيقنت أنه سلالة آباء كرام فهو صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه البيهقي والطبراني في الاوسط وابن عساكر .

Marfat.com

النبى العربى الابطحى الحرمى الهاشمى القرشي نخبة بنى هاشم المختار ـ المنتخب من خير بطون العرب وأعرقها في النسب وأشرفها في الحسب وأنضرها عودا وأطولها عسودا وأطيبها أرومة وأعزها جرثومة وأفصحها لسانا واوضحها بيانا وارجحها ميزانا واصحها ايمانا واعزها نفرا وأكرمها معشرا من قبل ابيه وأمه ومن اكرم بلاد الله على الله .

وما أحسن قول الحافظ المحدث شمس الدين بن ناصر الدين الدمشقى

حفـظ الالـه كـرامة لمحمد آباءه الامجـاد صونا لاسمه

تركوا السفاح فلم يصبهم عاره من آدم والى أبيـه وأمـه

Marfat.com

كمال خلقته وجمال صورته صلى الله عليه وسلم

قال الامام البوصيرى رحمه الله تعالى :

فهو الذى تم معناه وصورتـــه ثم اصطفاه حبيبا بارىء النسم

منزه عن شريـــك في محـــاسنه فجوهر الحســـن فيه غير منقسم

قال القـــرطبى :

لم يظهر لنا تمام حسنه لانه لو ظهر لنا تمام حسنه لما اطاقت اعيننا رؤيته صلى الله عليه وســلم .

وقد استفاضت الاحاديث النبوية والآثار المروية التى تدل على كمال خلقته صلى الله عليه وسلم وجمال صورته ولذلك كان من تمام الايمان بـــه صلى الله عليه وسلم الايمان بان الله سبحانه وتعالى قد جعل بدنه الشريف على وجه لم يظهر قبله ولا بعده خلق آدمى مثله .

وجهـــه الشريف

كان صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وجها(١) كأن الشمس تجـــرى في وجهـــه(٢) .

---

(١) رواه الشيخان عن البراء .
(٢) رواه الترمذى عن ابى هريرة .

Marfat.com

يقول على رضي الله عنه لم يكن بالمطهم ولا المكلثم وكان في وجهه تدوير(١) والمطهم الكثير السمن والمكلثم المدور الوجه أي لم يكن شديد تدوير الوجه بل في وجهه تدوير قليل •

تقول عائشة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سر تبرق اسارير وجهه كأنه قطعة قمر(٢) •

وقال ابوبكر الصديق وكعب بن مالك كان وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه دارة قمر •

وقيل لابى الطفيل صف لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كان ابيض مليح الوجه اذا سر فكأن وجهه مرآة وكأن البدر يرى في وجهه(٣) •

وقال جابر : مثل الشمس والقمر وكان مستديرا(٤) •

وقد اجتمعت كلمة الصحابة الذين وصفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه كان منير الوجه مشرق المحيا يتلألأ بالنور الباهر والضياء الزاهر والبهاء الظاهر •

وجاء في حديث الحسن بن على عن خاله هالة بن ابى هالة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه اصحاب الشمائل .
(٣) رواه مسلم .
(٤) رواه مسلم .

Marfat.com

تلألأ القمر ليلة البدر(١) ونظر اليه جابر بن سمرة ليلة مقمرة قال فجعلت انظر اليه والى القمر فلهو عندى احسن من القمر(٢) .

وقيل للربيع بنت معوذ : صفى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا بنى لو رأيته لرأيت الشمس طالعة(٣) .

ووصفته أم معبد فقالت :

رأيت رجلا ظاهر الوضاءة حسن الخلق مليح الوجه قسيما وسيما(٤) . وقالت امرأة من همدان حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها شبيهه لنا فقالت كالقمر ليلة البدر لم ار قبله ولا بعد مثله(٤) .

الخد

اما خده الشريف فقد كان صلى الله عليه وسلم اسيل الخدين والخد الاسيل هو ما فيه استطالة غير مرتفع الوجنة .

العين

أما بصره الشريف فقد وصفه الله تعالى بقوله : ما زاغ البصر وما طغى ، وثبت في الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء وكان يرى من خلف كما يرى من أمام وفي حديث ابن ابى هالة(٥) واذا التفت التفت جميعا ـ خافض الطرف

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى وهو صحيح .
(٣) رواه الترمذى والبيهقى .
(٤) رواه البيهقي والحاكم وصححه وهو من الشهرة بمكان .
(٥) رواه الترمذى في الشمائل .

Marfat.com

ـ نظره الى الارض أطول من نظره الى السماء ـ جل نظره الملاحظة(١) والملاحظة من اللحظ وهو النظر بشق العين الذى يلى الصدغ •

ويقول سيدنا على رضي الله عنه : كان صلى الله عليه وسلم عظيم العينين أهدب الاشفار مشرب العين بحمره(٢) •

والاهدب الكثير الهدب وهو شعر اشفار العين •

وفي رواية أدعج العينين(٣) وفي رواية أشكل العينين(٤) والشكلة الحمرة تكون في بياض العين وهو محمود محبوب . واما الشهلة فانها حمرة في سوادها •

الرأس والجبين

وأما جبينه الكريم فقد كان صلى الله عليه وسلم واضح الجبين وهو معنى قول على ـ صلت الجبين ـ وفي رواية واسع الجبين وفي رواية عظيم الجبهة وكله بمعنى واحد •

وكان صلى الله عليه وسلم عظيم الهامة(٥) وهو معنى قول على « ضخم الرأس » •

وكان صلى الله عليه وسلم ازج الحواجب ، الزج دقة الحاجبين في

---

(١) رواه الترمذى في الشمائل .
(٢) رواه البيهقي .
(٣) رواه الترمذى .
(٤) رواه مسلم .
(٥) كما وصفه ابن ابى هالة .

Marfat.com

طول » سوابغ في غير قرن « أي أن حاجبيه طويلان تامان لكن غير مجتمعين ولا متصلين » •

الانـــف

أقنى لانف « وهو ارتفاع اعلاه واحـديداب وسطه وسبوغ طرفـه أوتتو وسط القصبه وضيق المنخرين » •

الفـــم

ضليع الفم « أي عظيمه » والعرب تمدح عظيم الفم وتذم صغيره مفلج الاسنان « أي متباعد ما بين الاسنان » اشنب « أي طيب الفم » افلج الثنتين « براق الثنايا » •

Marfat.com

مزية الجـمال النبوى

ثبت انه صلى الله عليه وسلم قد اعطى الحسن كله ولكن هذا الجمـال النبوى متوج بأمرين عظيمين : الاول : الهيبة الجلالية ، والثانى : النـور الضيائي ـ ولذلك لم يفتتن به من يراه بخلاف يوسف عليه السلام فانه مع كونه اعطى نصف الحسن الا انه لما رآه النسوة قطعن ايديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم • قال بعضهم :

وصحب زليخا لو رأين جبينـه لآثرن تقطيع القلوب على الايدى

فأما الجلال والهيبة فقال هند بن أبى هالة في وصفه كان صلى الله عليه وسلم فخما مفخما(١) •

وقال على رضي الله عنه من رآه بديهة هابه(٢) •

وقال غيره : كان النبى صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسـه(٣) ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته وعدةفقال له هون عليك(٤) ويقول عمرو بن العاص عن حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما كنت أطيق ان امـلأ عينى منه اجلالا له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت لانى لم اكن املأ عينى منه(٥)

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الترمذى في الشمائل .
(٣) رواه ابو داود في المراسيل « نسيم الرياض ١١٧/٢ » .
(٤) رواه البخارى معلقا عن أنس ووصله ابن ماجه « نسيم الرياض ١٠٤/٢ » .
(٥) رواه مسلم في الصحيح « ١٢٨/٣ بالنووى » .

Marfat.com

وقال ابن أبى هالة في وصفه : وكان اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير(١) .

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا يستطيعون امعان النظر فيه لقوة مهابته ومزيد وقاره ومن ثم لم يصفه الا صغارهم أو من كان في تربيته قبل النبوة كهند ابن أبى هالة وسيدنا على رضي الله عنه .

ومن عظيم مهابته وكمال وقاره كان من جلس اليه صلى الله عليه وسلم هابه وربما اخذته رعدة شديدة من الهيبة المحمدية ولذلك كان صلى الله عليه وسلم يباسطهم ويلاطفهم ليسكن روعهم عن قيلة بنت مخرمة انها قالت لما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متخشعا في الجلسة وهو قاعد القرفصاء ارعدت من الفرق ــ أي الخوف ــ فقال رجل يا رسول الله أرعدت المسكينة ! قالت قيلة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينظر الى وأنا عند ظهره . يا مسكينة عليك السكينة .

فلما قالها أذهب الله ما كان دخل قلبى من الرعب .

وعن ابى مسعود البدرى رضي الله عنه قال : انى لاضرب غلاما لى اذ سمعت صوتا من خلفى : اعلم ابا مسعود قال فجعلت لا التفت اليه من الغضب حتى غشينى فاذا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو مسعود : فلما رأيته صلى الله عليه وسلم وقع السوط من يدى من هيبته صلى الله عليه وسلم فقال لى : والله لله أقدر عليك منك على هذا : فقلت والله يا رسول الله لا أضرب غلاما لى بعدها ابدا .

---

(١) رواه الترمذى في الشمائل وابن سعد والطبرانى .

Marfat.com

واما النورانية التى تتوج بها كمال الجمال النبوى فقد ذكرنا في صفة وجهه الشريف جملة من الاوصاف تدل على ذلك •

وهذه النورانية أصلية فيه صلى الله عليه وسلم وهى أول ما خلق من الانوار في الاكوان كما جاء ذلك في الحديث المشهور على الالسنة أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر(١) •

قال الزرقانى : رواه البيهقى أيضا ببعض المخالفة ــ ولا يعارضه حديث الترمذى : « أول ما خلق الله القلم » اذ يمكن الجمع بينهما بأن اولية القلم بالنسبة الى ما عدا النور المحمدى . وقيل الاولية في كل شيء بالاضافة الى جنسه ــ أي اول ما خلق الله من الانوار نورى •

ومما يثبت هذه النورانية المحمدية ما رواه على بن الحسين عن أبيه عن جده ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « كنت نورا بين يدى ربى » •

وهذا الحديث ذكره الحافظ ابو الحسن على بن محمد بن القطان في احكامه وابن القطان من نقاد الحديث المعروفين بصناعة ومن أشد العلماء عناية بالرواية والحفظ والاتقان •

ومما يثبت هذه النورانية قوله تعالى : « لقد جاءكم من الله نور وكتاب مبين » . فقد قال كثير من العلماء : ان المراد بالنور هو محمد صلى الله عليه وسلم . وكذا في تفسير الطبرى وابن ابى حاتم والقرطبى •

وقال قتادة يعنى بالنور محمدا(٢) •

---

(١) قال في المواهب اللدنية رواه عبدالرزاق الصنعانى بسنده عن جابر ١/١٠ .

(٢) تفسير ابن الجوزى ٢/٣١٧ .

Marfat.com

ومما يدل على هذه النورانية ايضا ما ثبت بالطرق المستفيضة من انه صلى الله عليه وسلم لما ولد رأت أمه نورا . وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام(١) .

ومما يثبت هذه النورانية ما جاء في حديث الطبراني : ورأينا كأن النور يخرج من فيه وما جاء عن ابن عباس قال : اذا تكلم رئى كالنور يخرج من بين ثنايـاه .

« عزاه الزرقاني للترمذي والدارمي »

وما جاء عن ابن هالة عند الترمذي في الشمائل في وصفه صلى الله عليه وسلم اذ قال : له نور يعـلوه .

وما جاء عن السيدة عائشة قالت : كنت قاعدة والنبي صلى الله عليـه وسلم يخصف نعله فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا فبهت . فقال : مالك بهت ؟ قلت : جعل جبينك يعرق وجعل عرقه يتولد نـورا ولو رآك ابو كبير الهذلي لعلم أنك أولى بشعره حيث يقول :

ومبرأ مـن كـل غبر حيضـة وفساد مرضعـة وداء مغيـل
واذا نظرت الى أسرة وجهـه برقت بـروق العارض المتهـلل

ويظن بعض الجهلة أن معنى كونه صلى الله عليه وسلم نورا أي أنـه جسم مشع وهذا وهم أو سوء فهم فكأنه بهذا قد جعله صلى الله عليه وسلم مصباحا او سراجا «لمبة كهربائية» وهو صلى الله عليه وسلم أجل وأكرم وأرفع

---

(١) المواهب ١٢/١ .

58615

Marfat.com

وأعظم من أن يكون كذلك • نعم لا مانع عندنا من أنه صلى الله عليه وسلم قد يظهر منه ضوء محسوس كما يسطع من الاجسام المضيئة المشعة ولكن هذا لا يكون دائما وانما يكون عند الحاجة كمعجزة من معجزاته الخارقة للعادة ، وقد ثبت هذا لمن هو أقل منه صلى الله عليه وسلم كما حصل للصحابى الجليل أسيد بن حضير •

فعن أنس رضي الله عنه قال : كان أسيد بن حضير وعباد بن بشر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة ظلماء حندس فتحدثا عنده حتى اذا خرجا أضاءت لهما عصى أحدهما فمشيا في ضوئها فلما تفرق بهما الطريق أضاءت لكل واحد منهما عصاه فمشى في ضوئها ــ أخرجه البخارى •

وكما حصل للصحابى الجليل الطفيل بن عمرو بن طريف بن العاص بن ثعلبة بن سليم بن فهم بن غنم بن دوس الدوسي الذى كان يقال له : ذو النور. لانه لما وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فدعا لقومه ، قال له : ابعثنى اليهم واجعل لي آية ، فقال : « اللهم نور له » فسطع نور بين عينيه . فقال : يا رب أخاف ان يقولوا مثلة . فتحول الى طرف سوطه فكان يضيء له في الليلة المظلمة •

Marfat.com

كمال اعتنائه بمظهره الشريف

اعتناؤه ببدنـه

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بنظافة بدنـه ويأمر بذلك فقد كان يغتسل في كل أسبوع ويحافظ على غسل يديه قبل الطعام وبعده ويحرص على استعمال السواك في كل احواله .

وكان صلى الله عليه وسلم يحافظ على تعهده أطراف بدنه بالنظافـة وازالة الاوساخ عنها من قص شاربه وأظافره وتنف ابطه وحلق عانته .

وكان يأمر بالنظافة ويحث عليها ويحذر من الوساخة بقوله :

« ان الله طيب يحب الطيب . نظيف يحب النظافة وكريم يحب الـكرم جواد يحب الجود »(١) .

وبقوله : تنظفوا بكل ما استطعتم فان الله بنى الاسلام على النظافـة ولن يدخل الجنة الا كل نظيف(٢) .

واكبر دليل على نظافة بدنه الشريف طيب عرقه الشريف ورائحته التى تفوق العنبر والمسك وطيب رائحته عموما التى كانت تعبق في أي طريق يمر منه ومع ذلك فانه لا شك في ان هذا من خصائصه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) رواه الترمذى .

(٢) قال الخفاجى في شرح الشفاء : انه ضعيف ينجبر بطرقه فيصير حسنا ومعناه صحيح .

Marfat.com

اعتناؤه بشعـره

بتنظيفه وترجيله وسدله قال أنس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته ويكثر القناع (القناع خرقة توضع على الرأس حين استعمال الدهن لتقى العمامة منه) •

اعتناؤه بعينـه

قال ابن عباس رضي الله عنهما : ان النبى صلى الله عليه وسلم كانت له مكحلة يكتحل منها كل ليلة ، ثلاثة في هذه وثلاثة في هذه •

اعتناؤه بأسنانـه

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بتخليل اسنانه بعد تناول الطعام ويقول حبذا المتخللون من أمتى وقد قيل له وما المتخللون يا رسول الله ؟ فقال المتخللون في الوضوء والمتخللون في الطعام ، اما تخليل الوضوء : فالمضمضة والاستنشاق وبين الاصابع ، واما تخليل الطعام : فلأنه ليس شيء اشد على الملكين من ان يريا بين اسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلى(١) •

ومن عنايته بأسنانه وطيب رائحة فمه الشريف محافظته على استعمال السواك في كل احواله ، عند الصلاة وعند الوضوء وعند النوم وبعد النوم وعند دخوله وخروجه بل وكان يأمر بذلك ويحث عليه ويقول السواك مطهرة للفم مرضاة للرب(٢) •

ويقول لولا أن أشق على امتى لامرتهم بالسواك مع كل صلاة(٣) •

---

(١) رواه الطبرانى في الكبير ورواه الامام احمد مختصرا كما في الترغيب .
(٢) رواه النسائي وغيره .
(٣) رواه البخارى .

Marfat.com

وفي رواية عند البزار والطبراني لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء .

اعتنائه بثيابه وهيئته

بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حسن السمت والزى الحسن من شمائل الانبياء وخصالهم الاصيلة(١) .

وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد الانبياء ولذلك فهو أنظف خلق الله بدنا وثوبا وبيتا ومجلسا . وفي الحديث : ما رأيت مثل هذا الرجل ولا أحسن منه وجها ولا انقى ثوبا(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يتجمل ويحث على التجمل ويقول : ان الله جميل يحب الجمال(٣) .

وكان يراعى الاحوال والمناسبات فاذا جاء الوفود كان له حال آخر في مقابلتهم ــ فيتجمل بثوبه أو بجبته او بما هو حاضر لديه مما يناسب القادم وحاله ــ واذا جاء العيد لبس حلة مخصوصة لذلك وكذلك الجمعة وكان يأمر بذلك ويقول احسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس(٤) .

---

(١) رواه الترمذى واللفظ له وعند مالك نحوه .
(٢) رواه ابو قرصافة واخرجه الطبرانى كذا في المجمع .
(٣) رواه ابن السنى .
(٤) رواه الحاكم .

Marfat.com

ويقول : ان الله اذا انعم على عبد نعمة يحب ان يرى اثر نعمته على عبده(١) •

ويقول ان من كرامة المؤمن على الله نقاء ثوبه ورضاه باليسير(٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن تعريض الثياب للوسخ ويأمر برفعها عن الارض ويقول : ارفع ازارك فانه انقى وأبقى •

اعتناؤه بنظافة بيته ومسجده

كان صلى الله عليه وسلم يعتنى بنظافة بيته ويحب ان يكون نظيفا ويحث الناس على ذلك ويقول نظفوا أفنيتكم •

وكان يعتنى بنظافة المسجد ويهتم بذلك ويفرح بمن يقوم بهذه المهمة ولذلك فانه لما ماتت المرأة التى كانت تقم المسجد ولم يخبروه الا بعد دفنها تأثر وقال هلا آذنتمونى فذهب الى قبرها وصلى عليها •

وكان هناك رجل مخصوص يتولى تبخير المسجد وهو نعيم المجمر وسمى بالمجمر نسبة الى هذه الوظيفة ــ وليس هذا خاصا بمسجده بل كان يحث على ذلك بوجه عام •

فقد جاء في الحديث : امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدور وأمرنا ان ننظفها(٣) •

وفي رواية : وأن نطيبها •

---

(١) رواه الطبرانى والبيهقى .
(٢) رواه الطبرانى وابو نعيم .
(٣) رواه الترمذى .

Marfat.com

وأمر ان تكون المطاهر « يعنى اماكن قضاء الحاجة » على ابوابها حتى لا يوسخ الناس المساجد ونهى الرجل ان يتنخم في المسجد وأخبر أن تنظيف المسجد حتى من القذاة « وهى اصغر شيء يمكن ان يتصور من الوسخ » فيه أجر كبير .

صوته الشريف

كان صوته صلى الله عليه وسلم حسنا وقد اخبرنا أنس عن ذلك فقال ما بعث الله نبيا الا حسن الوجه حسن الصوت وكان نبيكم احسنهم وجها وأحسنهم صوتا(١) .

وقال البراء بن عازب قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في العشاء والتين والزيتون فلم اسمع صوتا احسن منه(٢) .

وقال جبير بن مطعم كان صلى الله عليه وسلم حسن النغمة(٣) وكان في صوته صحل كما تقول ام معبد والصحل بفتح الصاد والحاء كالبحة وان لا يكون حاد الصوت . وكان في صوته قوة بحيث يبلغ ما لا يبلغه صوت غيره .

ووصفه البراء فقال خطبنا حتى اسمع العواتق في خدورهن(٤) .

وقالت أم هانىء : كنا نسمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم في جوف الليل عند الكعبة وأنا على عريشي(٥) .

---

(١) رواه الترمذى .
(٢) رواه الشيخان .
(٣) رواه ابو الحسن الضحاك ونقله في شرح المواهب .
(٤) رواه البيهقى والعواتق جمع عاتق اي الشابة .
(٥) رواه ابن ماجه .

Marfat.com

كمال خلق القلب المحمدى

ان قلب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خير القلوب وأذكاها وأوسعها وأقواها وأتقاها وانقاها وألينها وأرقها وهو القلب الواعى اليقظان الفياض بأنوار الايمان والقرآن .

فخير القلوب قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم . جاء في مسند أحمد وغيره عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال : ان الله تعالى نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد فاصطفاه لنفسه وابتعثه برسالته ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم يقاتلون عن دينه فما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيىء .

كما وان قلبه الشريف صلى الله عليه وسلم هو ازكى القلوب وأطهرها فقد شق صدره الشريف منذ صغره واستخرج من قلبه حظ الشيطان . كما روى مسلم وغيره عن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه جبريل صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان فأخذه فصرعه فشق عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة . فقال : هذا حظ الشيطان منك ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم ثم لأمه ثم أعاده في مكانه . وجاء الغلمان يسعون الى امه . يعنى : ظئره — أي مرضعته — فقالوا : ان محمدا

Marfat.com

قد قتل . فاستقبلوه وهو منتقع اللون ــ أي متغير اللون ــ قال انس : وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره صلى الله عليه وسلم .

وهذا الشق للصدر الشريف قد حصل له صلى الله عليه وسلم أول مرة وهو صغير السن عند حليمة .

واما المرة الثانية : فقد شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم وهو ابن عشر سنين . والحكمة فيه ان العشر قريب من سن التكليف . فشق قلبه صلى الله عليه وسلم وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال .

واما المرة الثالثة : فقد شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم عند مجيء جبريل عليه السلام بالوحي اليه حين نبىء .

والحكمة في هذا الشق ــ كما أفاده المحققون ــ هو الزيادة في اكرامه وامداده صلى الله عليه وسلم وتقويته واعداده ليتلقى ما يوحى اليه بقلب قوي في أكمل الاحوال القدسية المرضية .

واما المرة الرابعة : فقد شق صدره الشريف ليلة الاسراء كما ورد في الصحيحين .

والحكمة في هذا الشق ــ كما أفاده العارفون ــ هو الزيادة في اكرامه صلى الله عليه وسلم واعظامه والزيادة في امداده واعداده للتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته ومشاهدة الانوار والاسرار وتجليات الجمال والجلال .

وقال الحافظ القسطلانى ايضا : ثم ان جميع ما ورد من شق الصدر واستخراج القلب وغير ذلك من الامور الخارقة للعادة ، مما يجب التسليم له

Marfat.com

دون التعرض لصرفه عن حقيقته لصلاحية القدرة فلا يستحيل شيء من ذلك •

وقال ايضا : قال السيوطى : وما وقع من بعض جهلة العصر من انكار ذلك وحمله على الامر المعنوي والزام قائله القول بقلب الحقائق فهو جهل صراح وخطأ قبيح نشأ من خذلان الله تعالى لهم وعكوفهم على العلوم الفلسفية وبعدهم عن دقائق السنة •

لقد اعطى الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم يقظة القلب فهو في توجه الى الله تعالى ووعى عنه دائمين لا تعتريه غفلة ولا يطرأ على قلبه صلى الله عليه وسلم شائبة نومة ولذا كانت رؤياه المنامية من جملة طرق الوحى وأنواعه كما ان نومه لا ينقض وضوءه صلى الله عليه وسلم وقد ثبت ذلك بالاحاديث الصحيحة ففى صحيح البخارى وغيره عن عائشة رضي الله عنها في حديث قيام النبى صلى الله عليه وسلم بالليل : قالت عائشة : قلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر ؟ فقال : يا عائشة ان عيني تنامان ولا ينام قلبى • وروى البخاري عن جابر رضي الله عنه قال : جاءت ملائكة الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو نائم . وفي رواية الترمذى : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انى رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلى • فقال بعضهم : انه نائم . وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : ان لصاحبكم هذا مثلا . قال فاضربوا له مثلا . فقالوا : مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة . ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة . فقالوا : أولوها له يفقهها — أي يفهمها — فقال بعضهم : انه نائم .

Marfat.com

وقال بعضهم ان العين نائمة والقلب يقظان . فقالوا : فالدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم فمن أطاع محمدا صلى الله عليه وسلم فقد أطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله . الحديث .

وفي سنن الدارمي : اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقيل له : لتنم عينك ولتسمع اذنك وليعقل قلبك . قال : فنامت عيناى وسمعت أذناى وعقل قلبى . فقيل لي : سيد بنى دارا فصنع مأدبة وارسل داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ورضي عنه السيد . ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يطعم من المأدبة وسخط عليه السيد . قال : فالله السيد ومحمد الداعى والدار الاسلام والمأدبة الجنة .

Marfat.com

حكم وفوائد من شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم

الفائدة الاولى : قال العلامة ابن المنير وشق الصدر له صلى الله عليه وسلم وصبره عليه من جنس ما ابتلي الله تعالى به الذبيح وصبر عليه بل هذا أشق وأجل لان تلك معاريض وهذه حقيقة •

وايضا فقد تكرر ووقع له وهو صغير يتيم بعيد عن أهله صلى الله عليه وسلم •

الفائدة الثانية : سئل شيخ الاسلام أبو الحسن السبكى رحمه الله تعالى عن العلقة السوداء التى أخرجت من قلبه صلى الله عليه وسلم حين شق فؤاده وقول الملك : هذا حظ الشيطان منك •

فأجاب رحمه الله تعالى : بأن تلك العلقة خلقها الله تعالى في قلوب البشر قابلة لما يلقيه الشيطان فيها فأزيلت من قلبه صلى الله عليه وسلم فلم يبق فيه مكان لان يلقى الشيطان فيه شيئا •

هذا معنى الحديث • ولم يكن للشيطان فيه حظ . وأما الذى نقله المنذر فهو أمر في الجبلة البشرية فأزيل القابل الذى لم يكن يلزم من حصوله حصول القذف في القلب . قيل له : فلم خلق الله تعالى هذا القابل في هذه الذات الشريفة ؟ وكان يمكن ان لا يخلقه الله تعالى فيها ؟

Marfat.com

فقال : انه من جملة الاجزاء الانسانية فخلق تكملة للخلق الانسانى ولا بد منه ونزعه كرامة ربانية طرأت .

وقال غيره : لو خلق الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك لم يكن للآدميين اطلاع على حقيقته صلى الله عليه وسلم فأظهره الله تعالى على يد جبريل عليه الصلاة والسلام ليتحققوا كمال باطنه كما برز لهم مكمل الظاهر صلى الله عليه وسلم .

الفائدة الثالثة : قال الشيخ أبو محمد بن أبى جمرة : الحكمة في شق صدره صلى الله عليه وسلم مع القدرة على أن يمتلىء قلبه ايمانا وحكمة من غير شق الزيادة في قوة اليقين لانه أعطى برؤيته شق صدره وعدم تأثره بذلك ما آمن معه من جميع المخاوف العادية ، فلذلك كان صلى الله عليه وسلم اشجع الناس حالا ومقالا ولذلك وصف بقوله تعالى : « ما زاغ البصر وما طغى » .

الفائدة الرابعة : في الحكمة في تكرره قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى بعد أن ذكر الاولى والثالثة والرابعة : ولكل من الثلاث حكمة فالاولى كانت في زمن الطفولية لينشأ على أكمل الاحوال من العصمة من الشيطان ثم عند البعث زيادة في اكرامه لتلقى ما يلقى اليه بقلب قوى في أكمل الاحوال من التطهير . ثم وقع عند ارادة العروج الى السماء ليتأهب للمناجاة .

قال الحافظ الشامى قلت : وسئلت عن حكمة المرة الثانية مع ذكره اياها في كتاب التوحيد جازما بها : ويحتمل أن يقال لما كان التمييز في ثامن

Marfat.com

سن التكليف شق صدره صلى الله عليه وسلم وقدس حتى لا يتلبس بشيء مما يعاب على الرجال والله أعلم •

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى : ويحتمل أن تكون الحكمة في هذا الغسل لتقع المبالغة في الاسباغ بحصول المرة الثالثة كما هي شرعه صلى الله عليه وسلم •

وقال ابن أبي جمرة رحمه الله تعالى : وانما غسل قلبه وقد كان مقدسا وقابلا لما يلقى فيه من الخير وقد غسل أولا وهو صغير السن وأخرجت منه العلقة اعظاما وتأهبا لما يلقى هناك يعنى في المعراج •

وقد جرت الحكمة بذلك في غير ما موضع مثل الوضوء للصلاة لمن كان متوضئا لان الوضوء في حقه انما هو اعظام وتأهب للوقوف بين يدى الله تعالى ومناجاته ولذلك تسن الزيادة على الواحدةوالثنتين اذا أسبغ بالاولى لان الاجزاء قد حصل وبقى ما بعد الاسباغ الى الثلاث اعظاما وكذلك غسل البطن هنا بالنسبة له صلى الله عليه وسلم •

وقد قال تعالى « ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » فكان الغسل له صلى الله عليه وسلم من هذا القبيل واشارة لامته بالفعل بتعظيم الشعائر كما نص لهم عليه القول •

وقال البرهان النعسانى رحمه الله تعالى قد حسن لداخل الحرم الشريف الغسل فما ظنك بداخل الحضرة المقدسة فلما كان الحرم الشريف من عالم

Marfat.com

الملك وهو ظاهر الكائنات أنيط الغسل له بظاهر البدن في عالم المعاملات ؛ ولما كانت الحضرة الشريفة من عالم الملكوت وهو باطن الكائنات أنيط الغسل بباطن البدن في الحقيقات .

وقد عرج به لتعرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور . فقدس ظاهرا وباطنا صلى الله عليه وسلم .

فان قلت : ان الله تعالى خلقه نورا متنقلا من الانبياء وفي صفاء النور ما يغنى عن التطهير الحسي ثم ان المرة الاولى لم تكن كافية في تطهير الباطن ويلزم عليه أنه بعد النبوة كان فيه شيء يحتاج الى ذلك وهو منزه عن ادران البشرية .

(قلت) الاولى لعلم اليقين . والثانية لعين اليقين . والثالثة لحق اليقين .

الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسبا للمعنى الذى قصد به . وان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للذهاب وان الله تعالى أراد أن يذهب عنه الرجس ويطهره تطهيرا صلى الله عليه وسلم وان نظرت الى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شيء وأصفاه .

الفائدة الخامسة : قال السهيلي : وخص الذهب لكونه مناسبا للمعنى أنه أفضل المياه وبه جزم الامام البلقيني .

قال ابن أبى جمرة انما لم يغسل بماء الجنة لما اجتمع في زمزم من كون أصل مائها من الجنة ثم استقر في الارض فأريد بذلك بقاء بركته صلى الله عليه وسلم في الارض .

وقال غيره لما كان ماء زمزم أصل من أوتيه اسماعيل صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

وقد ربى عليه ونما عليه قلبه وجسده وصار هـو صاحبه وصـاحب البلدة المباركة ناسب أن يكون ولده الصادق المصدوق كذلك ولما فيه من الاشارة الى اختصاصه بذلك بعده فانه قد صارت الولاية اليه في الفتح فجعل السقاية للعباس ولولده وحجابة البيت لعثمان بن أبى شيبة وعقبه الى يوم القيامة •

الفائدة السابعة : الحكمة في غسل صدره صلى الله عليه وسلم بمـاء الثلج والبرد هى مع ما فيها من الشفاء وعدم التكدر بالاجزاء الترابية التى هى محل للارجاس وعنصر الاكدار الايماء الى أن الوقت يصفو له ولامته ويروق لشريعته الغراء وسنته والاشارة الى ثلـوج صدره أي انشراحـه بالنصر على أعدائه والظفر بهم والايذان ببرودة قلبه أي طمأنينته على أمته بالمغفرة لهم والتجاوز عن سيئاتهم •

وقال ابن دحية : انما غسل قلبه بالثلج لما يشعر به من ثلج اليقين الى قلبه وقد كان صلى الله عليه وسلم يقول بين التكبير والقراءة : اللهم اغسلنى من خطاياى بالثلج والبرد وأراد تعالى أن يغسل قلبه بماء حمل من الجنة في طست من ذهب ممتلىء حكمة وايمانا ليعرف قلبه طيب الجنة ويجد حلاوتها فيكون في الدنيا أزهد وعلى دعوة الخلق الى الجنة أحرص . ولانه كان له أعداء يتقولون عليه فأراد الله تعالى أن ينفى عنه طبع البشرية من ضيق الصدر وسوء مقالات الاعداء . فغسل قلبه ليورث ذلك صدره سعة ويفارقه الضيق •

كما قال تعالى « ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون » فغسل قلبه غير مرة فصار بحيث اذا ضرب أو شج رأسه أو كسرت رباعيته كما في يوم أحد يقول : اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون •

Marfat.com

الفائدة الثامنة : اختلف في تفسير الحكمة فقيل انها العلم المشتمل على معرفة الله مع نفاذ البصير وتهذيب النفس وتحقيق الحق للعمل به والكف عن ضده والحكيم من حاز ذلك .

قال الامام النووى : هذا ما صفا لنا من أقوال كثيرة . انتهى .

وقد تطلق الحكمة على القرآن وهو مشتمل على ذلك كله وعلى النبوة كذلك . وقد تطلق على العلم فقط وعلى المعرفة فقط ونحو ذلك .

وقال الحافظ ابن حجر : أصح ما قيل فيها انها وضع الشيء في محله أو الفهم في كتاب الله تعالى وعلى التفسير الثانى قد توجد الحكمة دون الايمان وقد لا توجد وعلى الاول فقد يتلازمان لان الايمان تدل عليه الحكمة .

فائدة مهمة : قال الحبيب الامام العارف بالله السيد علي الحبشي في قضية شق الصدر النبوي . واخراج حظ الشيطان منه ؛ كما جاء في الاخبار والاثار .

وما أخرج الاملاك من قلبه أذى ولكنهم زادوه طهرا على طهر

يقول محمد علوى مؤلفه ووقع في قلبى معنى آخر ؛ وهو أن قلب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم مملوء بالرحمة ؛ بل هو منبعها وأصلها كما قال الله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » وهذه الرحمة شاملة كاملة ؛ لانها رحمة

Marfat.com

الله التى وسعت كل شيء ، ولكن الله سبحانه وتعالى أخرج الشيطان وأعوانه واخوانه ومن قدر عليه الشقاء من هذه الرحمة ، فلا نصيب لهم فيها ولا شيء لهم منها ، ويكون المعنى حينئذ انهم أخرجوا من قلبه الشريف حظ الشيطان من رحمته ، فلا حظ للشيطان في هذه الرحمة ، والله أعلم .

Marfat.com

كمال العقل المحمدى

العقل الكامل هو الاصل الذى تنشأ عنه الخصال الحميدة والمواهب الرشيدة وبه تقتبس الفضائل وتجتنب الرذائل . وهو الذى يسلم صاحبه الى مجامع الخير والفضل . كما ورد في حديث اسلام خالد بن الوليد حين دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليه بالنبوة . قال : فرد علي السلام بوجه طلق . فقلت : انى أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . فقال له : تعال . فأقبل . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحمد لله الذى هداك . قدكنت أرى لك عقلا رجوت ان لا يسلمك الا الى الخير . الحديث .

وروى الطبرانى عن قرة بن هبيرة رضي الله عنه انه أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : انه كان لنا أرباب وربات نعبدهن من دون الله عز وجل . فدعوناهن فلم يجبن . وسألناهن فلم يعطين فجئنا فهدانا الله بك فنحن نعبد الله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أفلح من رزق لبا(١) .

ولقد بلغ سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم رسول الله تعالى من ارجحية العقل وكماله الغاية القصوى التى لم يبلغها أحد سواه وذلك بنعمة الله تعالى وفضله عليه صلى الله عليه وسلم . قال الله تعالى « ن والقلم وما يسطرون

---

(١) قال في مجمع الزوائد فيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات .

Marfat.com

ما أنت بنعمة ربك بمجنون » أي انت في أعلى مستوى من كمال العقل وسمو الفكر ، فلقد اقسم سبحانه بقوله : « ن » وهو المدد الالهي الفياض ، وبالقلم الاول المستفيض وبما سطره المسطرون في المستوى الاعلى الذى سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه صريف أقلامه وما تسطره الاقلام المستمدة من القلم الاول .

أقسم بهذا القسم العظيم على سعة عقل هذا الرسول الكريم وانه ليس فيه شائبة جنون ، وانما هو صاحب العقل الاكمل والعلم الواسع الافضل . وانه كيف لا يكون عقله فوق كل العقول وقد انعم الله عليه وأكرمه فخصه بالنبوة الجامعة والخاتمة والرسالة العامة ونزول القرآن الجامع للعلوم كلها فان هذه النعم لا يتحملها الا من خصه الله تعالى بأكمل العقول وارجحها . ولذا قال : ما انت بنعمة ربك بمجنون . أي ما أنت بسبب نعمة ربك عليك بالنبوة والرسالة والقرآن الجامع لانواع العلوم والحكمة . ما أنت بمجنون فهو ينفى ما اختلقه اعداؤه صلى الله عليه وآله وسلم ويثبت له بالدليل القاطع أرجحية العقل والحكمة وذلك ان من أوحي اليه القرآن الجامع للعلوم والمعارف وأوحي اليه الحكمة العالية التى هى فوق كل حكمة . كيف يتصور أن يكون فيه شائبة خلل أو نقص ؟!(١)

وقال وهب ابن منبه التابعى الثقة . الذى روى له الشيخان وغيرهما . قرأت في احد وسبعين كتابا ــ أي ــ من الكتب السابقة فوجدت في جميعها . ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا الى انقضائها من العقل في

---

(١) الشمائل المحمدية لشيخنا الشيخ عبدالله سراج الدين ص ٧٤ .

Marfat.com

جنب عقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الا كحبة رمل من جميع رمال الدنيا . وان محمدا صلى الله عليه وآله وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا « كذا في شرح المواهب » ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم وسعة فكره في مواجهته صلى الله عليه وسلم للعالم الذى انتشرت الجاهلية في جميع طبقاته حتى انهم ضلت عقولهم وتحويل هذه العقلية الى عقلية لطيفة سليمة صائبة وهو أمر يحتاج الى عقل رجيح وفكر صحيح ولا ريب ان ذلك كان بتعاليم أحكم الحاكمين وبوحي رب العالمين . ولكن التعاليم الالهية والايحاءات الربانية لا بد لها من عقل كبير مشرق منير قد اعده الله لحملها ؛ ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في أساليب حجته على عبدة الاوثان وأدلته على اليهود والنصارى والزامهم الحجة وافحامهم والقامهم حجر الخذلان .

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في تعليم الشاب الذى جاءه يستأذنه في الزنا بقوله أترضى ان يزنى الناس بأمك أو بأختك أو ببنتك ؛ فقال : لا . فقال له صلى الله عليه وسلم وكذلك الناس يكرهونه فما كان من الشاب الا أن قال أشهدك انى تبت من الزنا .

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في حكمه يوم حكمته قريش في وضع الحجر الاسود وذلك ان قريشا لما بنت الكعبة اختصموا فيمن يضع الحجر الاسود في موضعه ، فاختصموا فيه ، كل قبيلة تريد أن ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال وبلغ بهم الحال في ارادة الشر أن ضربت بنو عبدالدار جفنة مملوءة دما ، ثم تعاقدوا هم

Marfat.com

وبنو عدي بن كعب بن لؤى على الموت ، وأدخلوا أيديهم في ذلك الـدم في تلك الجفنة فسموا « لعقة الدم » فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاورا وتناصفوا ثم اتفقوا على أن يحكموا أول داخل من باب المسجد فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسـلم . فلما رأوه قالوا : هذا الامين رضينا هذا محمد ، فلما انتهى اليهم وأخبره الخبر قال صلى الله عليه وسلم : هلم الي ثوبا ، فأتى به ، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ، ثم قال : لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعـا . ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه . وفي ذلك يقول هبيرة بن وهب •

Marfat.com

يقظته صلى الله عليه وسلم

ويتجلى كمال عقله الشريف صلى الله عليه وسلم في يقظته مع المتعدين له بالعداوة وأخذه بأنواع الحذر منهم ورده مكرهم عليهم . فقد أمر زيد بن ثابت ان يتعلم كتابة اليهود ولغتهم وذلك أخذا بأسباب التحفظ من مكرهم وخديعتهم(١) ومن ثم قيل : من تعلم لغة قوم أمن من مكرهم .

وأرسل يوم بدر والاحزاب من يكشف له عن عدد العدو وعدته وهذا يدل على تمام يقظته التى يتجلى فيها كمال عقله الشريف . وأرسل يوم الاحزاب نعيم ابن مسعود الاشجعى يخذل بين صفوف الاعداء . وقال له خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة . ومن ذلك انه كان صلى الله عليه وسلم يلبس امور الحرب على أعدائه ويخفيها عنهم كيلا يتفطنوا لها ويستعدوا للدفع أو يزيدوا في الجمع وفي ذلك حقن للدماء .

وكل هذا يدل على كمال يقظته بأخذه بأسباب التحفظ والحيطه أو بأسباب تخويف وارهاب الاعداء . وهذا من كمال عقله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) عزاه الحافظ في الاصابة الى البخارى تعليقا .

Marfat.com

حسن مدارتــه

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في معاملته وحسن سياستــه ومدارته للناس على مختلف طبقاتهم تأليفا لهم واستمالتهم نحو الحق الــذى جاء به ، ولذلك فقد كان يدارى السفهاء والحمقى ليكف من غائلتهم وشرهم وليستميلهم ويجلب قلوبهم نحو السداد والرشاد . وكان يقبل بوجهه عــلى شر القوم يتألفهم بذلك .

وكان يقول : مداراة الناس صدقة(١) والمداراة محمودة وهى غــير المداهنة . لان المدارة بذل الدنيا لصلاح امر الدنيا أو الدين أو صلاح الدنيا والدين معا . واما المداهنة فهى بذل الدين لصلاح الدنيا .

---

(١) رواه ابن عدي والطبرانى عن جابر مرفوعا بسند ضعيف .

Marfat.com

حسن اختياره للرسل

ويتجلى كمال عقله صلى الله عليه وسلم في انتقائه الرسل الاذكياء العقلاء ليبعثهم الى الامراء والملوك يبلغون ويدلون بالحجج المعقولة والحكم المقبولة .

يشهد لهم بذلك حسن عرضهم في مواقفهم مع الملوك وقوة بيانهم وبرهانهم .

فهذا العلاء بن الحضرمي يبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى ومعه كتاب يدعوه الى الاسلام فلما قدم عليه قال له : يا منذر انك عظيم العقل فلا تصغرن في الآخرة ان هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكريم للعرب ولا علم عند أهل الكتاب انهم ينكحون ما يستحيا من نكاحه . ويأكلون ما يتكرم عن أكله ويعبدون في الدنيا نارا تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم العقل ولا الرأي ؛ فانظر هل ينبغى لمن لا يكذب في الدنيا ان لا تصدقه ؛ ولمن لا يخون ان لا تأمنه ؟ ولمن لا يخلف ان لا تثق به ؟

فان كان هذا هكذا ؛ فهذا هو النبى الامى الذى ــ والله ــ لا يستطيع ذو عقل ان يقول ، ليت ما أمر به نهى عنه ؛ وما نهى عنه امر به او ليته زاد في عفوه او نقص من عقابه اذ كل ذلك منه على امنية اهل العقل وفكر اهل النظر ، فقال له المنذر قد نظرت في هذا الذى في يدى دين المجوسية فوجدته

Marfat.com

للدنيا دون الآخرة ونظرت في دينكم فرأيته للآخرة والدنيا فما يمنعنى من قبول دين فيه امنية الحياة وراحة الموت ؟ ولقد عجبت امس ممن يقبله ــ أي يدخل في الاسلام وعجبت اليوم ممن يرده ــ أي لا يدخل فيه مع انه المعقول وان من اعظام ما جاء به ان يعظم رسوله وسأنظر ــ أي فيما اصنع من الذهاب الى هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أو مكاتبته او غير ذلك لا في انه يسلم اولا يسلم ، فان قوله وعجبت اليوم ممن يرده ، اعتراف منه بأنه دين حق اهـ كما في شرح المواهب وغيره •

وهذا المهاجر بن أمية المخزومي شقيق أم سلمة أم المؤمنين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن عبد كلال أحد ملوك حمير فلما قدم عليه المهاجر قال له : يا حارث انك كنت أول من عرض عليه المصطفى نفسه فخطئت عنه ، وأنت اعظم الملوك قدرا واذا نظرت في غلبة الملوك فانظر في غالب الملوك واذا سرك يومك فخف غدك وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت اخبارها ، عاشوا طويلا ، وأملوا بعيدا . وتزودوا قليلا فمنهم من أدركه الموت ومنهم من أكلته النقم وانا ادعوك الى الرب الذى ان اردت الهدى لم يمنعك وان ارادك لم يمنعه منك أحد . وادعوك الى النبى الامي الذى ليس شيء أحسن مما يأمر به ولا أقبح مما ينهى عنه •

واعلم ان لك ربا يميت الحى ويحيي الميت . ويعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور . اهـ كما في روض الانف •

قال حاطب بن أبى بلتعة :

بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس ملك الاسكندرية .

Marfat.com

فجئته بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزلني في منزله . وأقمت عنده ليالي . ثم بعث الي وقد جمع بطارقته فقال : اني سأكلمك بكلام أحب ان تفهمه مني قال قلت : هلم قال : اخبرني عن صاحبك . أليس هو نبيا ؟ قلت : بلى . هو رسول الله . قال : فما له حيث كان هكذا لم يدع على قومه حيث أخرجوه من بلدته الى غيرها ؟ فقلت له : فعيسى ابن مريم أتشهد أنه رسول الله ؟ قال بلى هو رسول الله . فقلت له فما له « حيث » أخذه قومه فأرادوا صلبه الا يكون دعا عليهم بأن يهلكهم الله حتى رفعه الله اليه في سماء الدنيا ! قال : أحسنت . انت حكيم جاء من عند حكيم . هذه هدايا أبعث بها معك الى محمد : وأرسل معك من يبلغك الى مأمنك . قال : فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث جوار منهن أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخرى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى جهم بن حذيفة العدوى ، واخرى وهبها لحسان بن ثابت الانصارى . وأرسل بثياب مع طرف من طرفهم .

Marfat.com

كمال قوته البدنية صلى الله عليه وسلم

جمع الله تعالى لسيدنا محمد صلى اللهعليه وسلم بين شجاعة القلب وقوة البدن وهذا هو الكمال في الرجولة .

فقد روى ابن سعد وابن جرير وابن أبى حاتم والبيهقى وابو نعيم والبخارى واللفظ له عن سيدنا جابر رضي الله عنه انه قال : أنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية(١) شديدة فجاؤا النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق . فقال : أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر . ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا . فأخذ النبى صلى الله عليه وسلم المعول فضرب في الكدية فعاد كثيبا أهيل . هذه الكدية فسرتها روايات اخرى بانه صخرة ، كما ان تلك الروايات الاخرى بينت انهم لم يذهبوا للنبى صلى الله عليه وسلم الا بعد أن عجزوا عن ازالتها وتكسرت فيها معاولهم . وابانت تلك الروايات أيضا أن الضربات التى كانت منه صلى الله عليه وسلم في تلك الصخرة ثلاثة فقط .

والذى يبهر من قوته صلى الله عليه وسلم أن الصخرة لم تتحمل منه أكثر من ثلاث ضربات وقد كلت سواعد أصحابه رضي الله عنهم من كثرة ما حاولوه فيها . هذه قوته صلى الله عليه وسلم وهو معصوب البطن من

---

(١) كديه : صخرة .

Marfat.com

الجوع ومضى عليه ثلاثة أيام لم يذق طعاما . ومعروف ما يحدثه الجوع المطلق من الضعف والهزال في البدن فما بالك بالجوع الشديد الذى كان من عدم الاكل اياما ثلاثة . فلو كان غير جائع كانت قوته فوق هذا بكثير من غير شك واى قوة هذه التى تزيد كثيرا عما سمعت ؟ وأخرج ابو نعيم والبيهقي من طرق واللفظ للبيهقي من طريق اسحاق بن يسار ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لركانة بن عبد يزيد أسلم فقال : لو أعلم ان ما تقول حقا لفعلت . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ركانة من أشد الناس ــ ارأيتك ان صرعتك تعلم ان ذلك حق . قال : نعم . فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصرعه ، فقال له : عد يا محمد . فعاد له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذه الثانية فصرعه على الارض . فانطلق ركانة وهو يقول : هذا سحر لم أر مثل هذا سحر قط . والله ما ملكت من نفسي شيئا حين وضعت جنبى الى الارض .

وقد روى هذا الحديث من طريق ركانة نفسه وفيه صرح بانه أسلم رضي الله عنه وانظر قول ركانة والله ما ملكت من نفسي شيئا حين وضعت جنبى الى الارض . تعلم منه ان ركانة رضي الله عنه ما كان شيئا يذكر بيده صلى الله عليه وسلم مع انه كان أقوى قريش بدنا وما صرعه أحد قبله عليه الصلاة والسلام .

Marfat.com

كمال علمه صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسع العلم عظيم الفهم افاض الله تعالى عليه العلوم النافعة الكثيرة والمعارف العالية الوفيرة . وقد أعلن سبحانه وتعالى بسعة علمه صلى الله عليه وسلم ، واعلم بعظيم فضله فقال سبحانه « وانزل الله عليك الكتاب والحكمة . وعلمك ما لم تكن تعلم . وكان فضل الله عليك عظيما » .

فهو صلى الله عليه وسلم اعلم خلق الله تعالى واعرفهم بالله تعالى كما ورد في الصحيحين انه صلى الله عليه وسلم قال : « ان اتقاكم واعلمكم بالله انا » .

وفي رواية الاصيلي : « انا اعرفكم بالله » .

ومن تدبر في تعاليم الله تعالى لرسله وانبيائه صلوات الله تعالى عليهم الواردة في القرآن الكريم يتضح له جليا ان سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم قد علمه الله تعالى علوما هي أكثر واوفر واجمع واعم . وذلك لانه سبحانه قال : « وعلمك ما لم تكن تعلم » فجيء بـ « ما » التي هي للعموم والشمول لتعم جميع العلوم التي علمها الله تعالى لرسله وانبيائه ولتشمل غيرها من العلوم التي افاضها الله سبحانه عليه وجاء في الصحيحين واللفظ لمسلم عن انس رضي الله عنه ان الناس سألوا نبي الله صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

حتى احفوه بالمسألة أي اكثروا عليه الاسئلة فخرج ذات يوم فصعد المنبر فقال : « سلوني لا تسألوني عن شيء الا بينته لكم » .

وفي رواية : « الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا » وجاء في هذا الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم أر كاليوم قط في الخير والشر . اني صورت لي الجنة والنار فرأيتهما دون هذا الحائط » .

ومن سعة علمه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى جمع له القرآن بعلومه وحقائقه . والقرآن هو بحر العلوم والمعارف واذا كان علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يقول لو تكلمت لكم على سورة الفاتحة لاوقرت(١) سبعين جملا فما ظنك بعلوم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ومفاهيمه القرآنية .

ومن سعة علومه صلى الله عليه وسلم ما اطلعه الله عليه من كثير من المغيبات . قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول » وقد اطلعه الله تعالى على كثير من المغيبات ومن ذلك اطلاعه صلى الله عليه وسلم عن بدء الخلق حتى دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار كما دل عليه ما رواه البخاري عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه .

وفي الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه

---

(١) لاوقرت : أي لألفت كتبا حمل سبعين جمل .

Marfat.com

وسلم فينا مقاما ، ما ترك فيه شيئا الى قيام الساعة الا ذكره ، علمه من علمه وجهله من جهله قال حذيفة : وقد كنت ارى الشيء قد كنت نسيته فاعـرفه كما يعرف الرجل الرجل اذا غاب فرآه فعرفه .

كما اخبر صلى الله عليه وسلم عما هو كائن بعده الى يوم القيامـة . ففى صحيح مسلم عن عمرو بن اخطب الانصارى رضي الله عنه قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفجر وصعـد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر . فنزل فصلى ، ثم صعـد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فاخبرنا بما هو كائن الى يوم القيامة فأعلمنا احفظنا .

فما ترك امرا يكون الى يوم القيامة الا اخبر عنه . وروى ابو داود عن حذيفة رضي الله عنه قال : والله ما ادرى انسى اصحابى ام تناسوا ! والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد فتنة الى ان تنقضي الدنيـا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا سماه لنا باسمه واسم ابيه واسم قبيلته كما ورد انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن جميـع اشراط الساعـة الصغـرى والوسطى والكبرى واخبر عن احوال الآخرة وبرازخها وأحوال أهل الجنة واحوال اهل النار وتفاصيل امورهم كلها كما هو مبين في كتب السنة . وفي هذا دليل على سعة العلوم التى افاضها الله تعالى عليه صلى الله عليه وسلم . ومن ذلك اطلاعه صلى الله عليه وسلم على العوالم كما صح في احـاديث المعراج من انه صلى الله عليه وسلم عرج به الى السموات السبع ودخلهـا

Marfat.com

واحدة واحدة ورأى فيها ما رأى واجتمع مع الرسل عليهم الصلاة والسلام كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عالم العرش بدليل انه صلى الله عليه وسلم بين سعة العرش وانه اوسع العوالم . كما ورد انه صلى الله عليه وسلم تكلم عن العرش وان له الظلال . وان له القوائم . وان لـه الكنوز . وتحدث صلى الله عليه وسلم عن حملة العرش وعن قوة حملة العرش وعظمهن كما ورد في المسند ان النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انا محمد النبى الامى . ولا نبى بعدى . قالها ثلاثا . اوتيت فواتح الكلم وخواتمه . وعلمت كم خزنة النار . وحملة العرش » الحديث .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عالم الجنة والنار ومثلنا له في عدة مناسبات ففى حديث المعراج « ثم ادخلت الجنة فاذا فيهـا جنابذ اللؤلؤ . واذا ترابها المسك الاذفر » .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على عـالم البرزخ واحوالهم وشؤونهم . وعالم الحشر ، واحوال الناس فيه ، وعالم العرض ، وعالم الحوض ، واخذ الصحف والحساب والميزان والصراط ، واحوال أهل الجنة وأهل النار . وحدث عن جميع تلك العوالم وفصل امورهم صلى الله عليه وسلم .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم اطلعه الله تعالى على العوالم العلوية وما يجرى بين الملأ الاعلى من الاختصام حول الكفارات والدرجات ، وتجلت الاشياء كلها وعرفها كما في الحديث الذى رواه الترمذى وأحمد وغيرهمـا

Marfat.com

عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : « انى قمت من الليل فصليت ما قدر لى ، فنعست في صلاتى حتى استثقلت ، فاذا انا بربى عز وجل فقال لى : يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت : لا ادرى » .

وفيه ان الله تعالى يفيض على النبى صلى الله عليه وسلم العلوم حتى قال : « فتجلى لى كل شيء وعرفت » وفي رواية : « فعلمت ما في السموات وما في الارض » وفي رواية الطبرانى « فعلمنى كل شيء » وفي رواية له : « فما سألنى عن شيء الا علمته ثم قال لى : يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى ؟ قلت : في الكفارات والدرجات » الحديث .

ومن سعة علومه صلى الله عليه وسلم علمه صلى الله عليه وسلم باصناف المخلوقات وأنواع امم الحيوانات وبأحكامها وأوضاعها وتفاصيل امورها .

روى الطبرانى باسناد رجاله رجال الصحيح عن ابى الدرداء رضي الله عنه قال : « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في السماء طائر يطير بجناحيه الا ذكر لنامنه علما وروى الامام أحمد عن ابى ذر رضي الله عنه قال : « لقد تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكر لنا منه علما » وزاد الطبرانى في روايته ايضا فقال النبى صلى الله عليه وسلم : « ما بقى شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار الا وقد بين لكم » .

فقد ذكر صلى الله عليه وسلم للصحابة علما كبيرا حول عالم الطير .

Marfat.com

وفي هذا دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان واسع العلم في نواحي اصناف العالم كله .

وايضا فيه دليل على انه صلى الله عليه وسلم بين جميع المهام الكونية متعلقة بمصالح العالم وسعادة البشر من جميع الوجوه والاعتبارات .

فانه صلى الله عليه وسلم الذي تناول ذكر عالم الطير كيف يتصور منه انه يهمل بيان ناحية اصلاحية من نواحي المصالح البشرية ويترك ذكرها ويتناول ذكر عالم الطير واحكامه ! لا بل انه صلى الله عليه وسلم بين جميع النواحي الاصلاحية وطرق السعادات البشرية .

هذا وان بحار علومه صلى الله عليه وسلم لا يحيط بها الا الله تعالى الذي افاضها عليه وقد جاء في الصحيحين وغيرهما . واللفظ للبخاري عن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين زاغت الشمس فصلى الظهر فلما سلم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر ان بين يديها امورا عظاما ثم قال : « من احب ان يسأل عن شيء فليسأل عنه فوالله لا تسألوني عن شيء أي عن أي شيء كان الا اخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا » قال انس : فاكثر الانصار البكاء . وأكثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول : « سلوني » فقال انس : « فقام رجل فقال : اين مدخلي يا رسول الله ؟ قال : النار . فقام عبدالله بن حذافة من ابي يا رسول الله ؟ قال : « ابوك حذافة » ثم اكثر ان يقول : « سلوني . سلوني » فبرك عمر على ركبتيه فقال : رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال عمر ذلك ، ثم قال

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذى نفسي بيده لقد عرضت علي الجنة والنار آنفـا في عرض هـذا الحائط وانا اصلى . فلم ار كاليوم في الخـير والشر » .

فقد اذن صلى الله عليه وسلم للصحابة ان يسألوه عن أي شيء بدالهم . ما دام في مقامه ذلك .

Marfat.com

كمال فصاحته وبلاغته

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أفصح خلق الله تعالى لسانا ، وأوضحهم بيانا . اوتى جوامع الكلم وبدائع الحكم . وقوارع الزجر ، وقواطع الامر . والقضايا المحكمة . والوصايا المبرمة . والمواعظ البالغة ، والحجج الدامغة . والبراهين القاطعة . والادلة الساطعة . وقد تحدث عن نفسه في هذا الميدان فقال : انا محمد النبى الامي — قالها ثلاثا — ولا نبى بعدى أوتيت فواتح الكلم وخواتمه وجوامعه الحديث(١) .

فكيف لا يكون افصح خلق الله تعالى وقد آتاه الله تعالى لسانا جامعا للمعانى الكثيرة في الالفاظ اليسيرة وقال وهو على المنبر : « يا أيها الناس انى قد أعطيت جوامع الكلم وخواتيمه واختصر لى اختصارا »(٢) وسأله عمر رضي الله عنه عن سر فصاحته بقوله : يا نبى الله مالك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا ؟ فقال صلى الله عليه وسلم كانت لغة اسماعيل قد درست فجاءنى بها جبريل فحفظتها(٣) .

وقد اجمع الناس على ان محمدا الامى قد اوتى من الاسلوب السهل المعجز ما لم يؤت معلم ولا متعلم ممن دانت لهم العربية وملكوا زمامها فله

---

(١) رواه أحمد في المسند وغيره .
(٢) عزاه الحافظ ابن كثير لابى يعلى .
(٣) رواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان كذا في شرح المواهب .

Marfat.com

جوامع الكلم وبدائع الحكم في لفظ ناصع وقول جزل ومعان صحاح خالدة في عبارات مضيئة مشرقة لا تكلف فيها ، ويقول الجاحظ يصف كلام الرسول « القى الله على كلامه المحبة وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وهو مع استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له القدم ولا بارت له حجة ولم يقم له خصم ولا افحمه خطيب ولا يلتمس اسكان الخصم الا بما يعرفه الخصم ولا يحتج الا بالصدق ، ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا ولا أصدق لفظا ولا أعدل وزنا من كلامه صلى الله عليه وسلم . يقول علي : ما سمعت كلمة غريبة من العرب الا وقد سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسمعته يقول : « مات حتف انفه » وما سمعتها من عربى قبله .

كان كلامه صلى الله عليه وسلم بينا لا فضول فيه ولا تقصير يحفظه من جلس اليه ، تقول عائشة : « ما كان رسول الله يسرد كسردكم هذا ولكن كان يتكلم بكلام بين فصل يحفظه من جلس اليه » وروى عنها أيضا : انه كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ويقول أنس : كان اذا تكلم بكلمة ردها ثلاثا .

وقال له أصحابه : ما رأينا أفصح منك . فقال : ان الله لم يجعلني لحانا اختار لى خير الكلام كتابه القرآن(١) .

---

(١) عزاه في الجامع الصغير الى الديلمي في الفردوس .

Marfat.com

وكان يمدح الفصاحة ويكره اللحن ولذلك لما سأله العباس ما الجمال ؟ قال : اللسان(١) وفي رواية انه سأله ما الجمال في الرجل فقال فصاحة لسانه(٢) وقال رحم الله امرءا اصلح من لسانه(٣) .

ومن كمال فصاحته انه صلى الله عليه وسلم كان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موضع عن شرح كلامه وتفسير قوله ومن تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار وأهل الحجاز ونجد ككلامه مع أقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان : ان لكم فرعها(٤) ووهاطها(٥) وعزازها(٦) تأكلون علافها(٧) وترعون عفاءها(٨) لنا من دفئها(٩) وصرامها(١٠) ما سلموا بالميثاق والامانة(١١) ولهم من الصدقة الثلب(١٢) .

---

(١) قال الزرقاوى هو مرسل ورواه الحاكم .
(٢) رواه العسكرى .
(٣) رواه العسكرى كذا فى شرح المواهب .
(٤) وهى ما ارتفع من الارض من مرتفعات البقاع .
(٥) وهى الوهطة وما سفل وما انخفض .
(٦) وهو ما اشتد وصلب من الارض مما لا ملك ولا حد عليه .
(٧) جمع علف وهو ما تأكله الماشية .
(٨) فسروه بما ليس لاحد فيه ملك ولا أثر من عفا الشيء اذا اندرس .
(٩) الدفء بكسر الدال المهملة وسكون الفاء فالهمزة وفسره هنا بالابل والغنم سميت بذلك لانها يتخذ من أصوافها واوبارها اثاثا يتدفأ به .
(١٠) جمع صرمة وهى القطعة من النخل وبجوز الثمر نفسه لانه يصرم من النخل أي يجذ ويقطع فسمى بالمصدر .
(١١) والمراد بما سلموا بتشديد اللام ما يعطونه من الزكاة المفروضة .
(١٢) معناه الجمل المسن الهرم الذى سقطت اسنانه .

Marfat.com

والناب(١) والفصيل(٢) والفارض الداجن(٣) والكبش الحوارى(٤) وعليهم فيها الصالغ(٥) والقارح(٦) .

وقوله صلى الله عليه وسلم لنهد : اللهم بارك لهم في محضها ومخضها(٧) ومذقها(٨) وابعث راعيها في الدثر(٩) وافجر له الشد(١٠) وبارك لهم في المال والولـد .

من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله كان مخلصا لكم يا بنى نهد ودائع الشرك(١١) ووضائع الملك لا تلطط في الزكاة(١٢) ولا تلحد في الحياة(١٣) ولا تتثاقل عن الصلاة وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض (١٤)والفريش(١٥)وذو العنان الركوب(١٦)

---

(١) مثل الثلب معنى الا انه مخصوص بالنوق الاناث .
(٢) ولد الناقة الصغـير .
(٣) الفارض البقرة الهرمة المسنة .
(٤) الكبش الذكر الكبير من الغنم .
(٥) الصالغ بصاء مهملة ولام وغين معجمة وهو من البقر والغنم مـا كمل وانتهى سنه فى السنة السادسة .
(٦) القارح من ذوات الحافر ما أكمل خمس سنين وهو في السنة الاولى .
(٧) المحض والمخض اصله تحريك السقاء الذى فيه اللبن .
(٨) وأصل معناه الخلط والمزج ثم استعمل في اللبن المخلوط .
(٩) وهو الابل الكثيرة ويقع على الواحد فما فوقه وقيل الدثر : الخصب وكثرة النبات .
(١٠) وهو الماء القليل .
(١١) والظاهر ان المراد عهودهم التى وقعت بينهم بعد الحروب وبعدم المؤاخذه بما قتلوا اذا تحاربوا وقتل بعضهم بعضا وما أراقوا من الدماء هدر .
(١٢) أي لا تمنعهـا .
(١٣) من الحد الحادا اذا جار وعدل عن الحق .
(١٤) يعنى لا يؤخذ منكم ولا يكون على الانصباء لانه لا تصح به الزكاه .
(١٥) الحديث العهد بالنتاج .
(١٦) الركوب بفتح الراء هو المركوب الذلول .

Marfat.com

والفلو(١) الفسيس(٢) لا يمنع سرحكم(٣) ولا يعضد طلحكم(٤) ولا يحبس دركم(٥) ما لم تضمروا الرماق(٦) وتأكلوا الرباق(٧) ومن اقرفله الوفاء بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة(٨) .

ومن كتابه لوائل بن حجر الى الاقيال العباهلة والاوراع المشابيب وفيه في التيعة شاة(٩) لا مقورة الالياط(١٠) ولا ضناك(١١) وانطو الشبجة(١٢) وفي السيوب الخمس(١٣) ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة(١٤) واستوفضوه عاما(١٥) ومن زنى مم ثيب فضرجوه بالاضاميم(١٦) ولا توصيم

---

(١) المهر الصغير من الخيل .
(٢) المهر العسير الركوب .
(٣) وهى الماشية التى تسرح بالغداة للمرعى .
(٤) الطلح شجر عظام .
(٥) والمراد به هنا الانعام ذوات الدر لا تحبس عن المرعى في مكان يجتمع فيل ليعدها من ياخذ الصدقة لما فيه من ضرر صاحبها بعدم رعيها ومنع درها .
(٦) تضمروا بمعنى تخفوا وتكتموا ، الرماق هو النفاق والمعنى ما لم تضق قلوبكم عن الحق .
(٧) جمع ربقة وهى حبل فيه عرى يشد به البهائم ، وفي الحديث خلع ربقة الاسلام من عنقه والمعنى ان هذا أمر مقرر عليكم منا ما لم تنقضوا العهد وترجعوا عن الاسلام .
(٨) الربوة بتثليث الراء المهملة اي الزيادة ، وفسرت الربوة بان يؤخذ منه زيادة على فريضة الزكاة عقوبة له .
(٩) التيعة : الاربعون من الغنم وقيل الخمس من الابل وقيل هى ادنى ما تجب فيه الصدقة من الغنم والابل .
(١٠) مقورة من الاقورار وهى المسترخية الجلد من الهزال والالياط جمع ليط وهو قشر العود فاستعير للجلد من لاطه يلوطه اذا الصقه وقيل المقورة: المقطوعة والمعنى بها الناقصة
(١١) بفتح الضاد المعجمة وكسرها وهى الكثيرة اللحم السمينة فلا تؤخذ لجودتها .
(١٢) انطاء بمعنى اعطاء لغة أهل اليمن او لبنى سعد ، الشبجة اي الشاة الوسطى ليست بادنى ولا اعلى من شبج كل شيء وسطه .
(١٣) السيوب جمع سيب وهو الركائز .
(١٤) قوله مم بكر وما ياتي من قوله مم ثيب اصله كما في النهاية من بكر ومن ثيب فاصقعوه أي فاضربوه .
(١٥) أي اطردوه او انفوه وغربوه .
(١٦) أي ارجموه حتى يسيل دمه او يقتل والاضاميم : الحجارة .

Marfat.com

في الدين(١) ولا غمة(٢) في فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل(٣) على الاقيال اين هذا من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد وبلاغتهم على هذا النسط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون .

وكقوله في حديث عطية السعدى فان اليد العليا هى المنطية(١) واليد السفلى هى المنطاة(٥) قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في حديث العامرى حين سأله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم سل عنك اى سل عما شئت وهى لغة بنى عامر .

واما كلامه المعتاد وفصاحته المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى بلاغة .

ونذكر جملة صالحة من ذلك تبركا بكلامه صلى الله عليه وسلم :

انما الاعمال بالنيات « رواه الشيخان ».

ليس للعامل من عمله الا ما نواه نية المؤمن خير من عمله رواه الطبرانى.

يا خيل الله اركبى « رواه الشيخان » .

---

(١) توصيم من الوصم وهو العيب والعار أي لا كسر ولا عيب ولا عار ولا كسل في اقامه حدود الله فلا تحابو .

(٢) أي لا ستر ولا غطاء . وفي رواية ولا عمه بمهملة فميم مخففة مفتوحتين فهاء أي لا خيره ولا تردد .

(٣) أي يتامر ويترأس .

(٤) أي المعطية .

(٥) أي المعطاه .

Marfat.com

كل الصيد في جوف الفرا « رواه الرامهرمزى » والفرا حمار الوحش •

الحرب خدعة « رواه الشيخان » •

اياكم وخضراء الدمن المرأة الحسناء في المنبت السوء « رواه الرامهرمزى » والدمن جمع دمنة وهى البعر •

لا يجنى جان الا على نفسه « رواه الامام احمد وابن ماجه » •

ليس الشديد من غلب الناس انما الشديد من غلب نفسه « رواه ابن حبان » •

ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب « رواه الشيخان » أي ليس القوى هو الذى يصرع غيره بل هو الذى يملك نفسه •

ليس الخبر كالمعاينة « رواه أحمد وغيره » والمعاينة أي المشاهدة •

المجالس بالامانة « رواه العقيلى » •

البلاء موكل بالمنطق « رواه ابن ابى شيبه وغيره » •

ترك الشر صدقة •

أي داء ادوى من البخل « رواه البخارى » •

لا ينتطح فيها عنزان — أي لا يجرى فيها خلاف ولا نزاع •

الحياء خير كله — متفق عليه •

اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع « رواه في مسند الفردوس » •

سيد القوم خادمهم « رواه أبو عبدالرحمن السلمى » •

فضل العلم خير من فضل العبادة « رواه الطبرانى وغيره » •

Marfat.com

الخيل في نواصيها الخير ــ متفق عليه ، وفي لفظ معقود بنواصيها الخير •

أسرع الخير ثوابا البر وصلة الرحم وأسرع الشر عقوبة البغى وقطيعة الرحم « رواه أحمد والترمذى » •

ان من البيان لسحرا وان من العلم جهلا وان من الشعر حكما « رواه ابو داود » •

نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ « رواه البخارى » •

المكر والخديعة في النار « رواه البيهقى والبزار وهو معمول بــه في الترغيب »

المستشار مؤتمن « رواه احمد وغيره » •

الندم توبة « رواه الطبرانى ورواه أحمد » وهو صحيح •

الدال على الخير كفاعله « رواه العسكرى ورواه الطبرانى » وهــو معمول به في الترغيب •

حبك الشيء يعمى ويصم « رواه أحمد وأبو داود وغيره » وهو حسن •

العارية مؤداة والمنحة مردودة والدين مقضى والزعيم غارم « رواه أحمد والترمذى وغيره » والمنحة هى ما يمنح الرجل صاحبه من أرض يزرعها ثم يردها أو شاة يشرب درها ثم يردها • والزعيم أي الكفيل وغارم أي ضامن •

سبقك بها عكاشة « رواه البخارى » •

خير المال عين ساهرة لعين نائمة ومعناه ان خير المال ما يبقى نفعه كعــين الماء يجريها الانسان فهى تجرى وصاحبها نائم وثوابه جار كعين مــاء تجرى

Marfat.com

يجريها الانسان فهى تجرى وصاحبها نائم وثوابه جار كعين ماء تجرى ليلا ونهارا وصاحبها نائم •

خير مال المرء مهرة مأمورة او سكة مأبورة « رواه الامام احمد وغيره » ومعنى مأمور كثيرة النتاج وسكة مأبورة أي طريقة مصطفة من النخل •

من ابطأ به عمله لم يسرع به نسبه « رواه مسلم » •

زرغبا تزدد حبا « رواه البزار وغيره » وهو حديث حسن ومعناه زر أخاك وقتا بعد وقت •

انكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم باخلاقكم « رواه ابو يعلى وغيره » •

ان هذا الدين متين فأوغل فيه برفق « رواه أحمد وسنده جيد وفي رواية بزيادة فان المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا ابقى « رواه البزار وغيره » والمنبت المنقطع والمراد به الذى يعسف الركاب ويحملها على ما لا تطيق رجاء الاسراع فينقطع ظهره فلا هو قطع الارض التى أراد ولا أبقى ظهره سالما •

ان الدين يسر ولن يشاد الدين أحد الا غلبه « رواه البخارى » •

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الامانى « رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه » والكيس هو العاقل ودان نفسه أي حاسبها •

ما حاك في صدرك فدعه « رواه الطبرانى » والمعنى أن ما تردد في نفسك فاتركه ولا تلتفت للوساوس •

Marfat.com

تنكح المرأة لجمالها ومالها ودينها وحسبها فعليك بذات الدين تربت يداك « متفق عليه » ، وتربت لصقت بالتراب أي افتقرت اذا خالفت •

الشتاء ربيع المؤمن قصر نهاره فصامه وطال ليله فقامه « رواه البيهقى وغيره » وقال الهيثمى ان سنده حسن •

القناعة مال لا ينفذ وكنز لا يفنى « رواه الطبراني وغيره » وفيه كلام ومعناه صحيح ، ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا عال من لاقتصد « رواه الطبرانى » وهو معسول به في الاخلاق ومعنى ولا عال من اقتصد أي ولا افتقر •

الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الى الناس نصف العقل وحسن السؤال نصف العلم « روا هالبيهقى وغيره » وهو حسن في الاخلاق •

لا عقل كالتدبير ولا ورع كالكف ولا حسب كحسن الخلق « رواه الترمذى » وابن حبان والمراد بالكف كف الاذى أو كف اللسان •

المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هاجر ما حرم الله « متفق عليه » •

التدبير نصف المعيشة والتودد نصف العقل والهم نصف الهرم وقلة العيال أحد اليسارين « رواه الديلمي » •

لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له « رواه الامام احمد وغيره » •

حسن العهد من الايمان « رواه الحاكم في مستدركه » •

جمال الرجل فصاحة لسانه « رواه القضاعى » •

Marfat.com

منهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا « رواه الطبراني وغيره » •

لا فقر أشد من الجهل ولا مال أعز من العقل ولا وحشة أشد من العجب « رواه ابن ماجـه » •

الذنب لا ينسى والبر لا يبلى والديان لا يموت فكن كما شئت « رواه الديلمي في مسند الفردوس » •

ما جمع شيء الى شيء أحسن من حلم الى علم « رواه العسكرى » •

التمسوا الرزق في خبايا الارض « رواه ابى شريح » •

كن في الدنيا كأنك غريب او عابر سبيل وعد نفسك في أهل القبـور « رواه البيهقى وغيره » •

صنائع المعروف تقى مصارع السوء وصدقة السر تطفىء غضب الـرب وصلة الرحم تزيد في العمر « رواه الطبرانى » •

العفو لا يزيد العبد الا عزا والتواضع لا يزيده الا رفعة وما نقص مال من صدقة « رواه مسلم وغيره بألفاظ مختلفة » •

وغير ذلك مما روته الكافة عن الكافة من مقاماته ومحاضراته وخطبـه وأدعيته وعهوده مما لا خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره •

Marfat.com

كمال معارفه الدنيوية بالتخطيط والتنظيم لشؤون الاسكان والاسواق وغير ذلك

كان صلى الله عليه وسلم يهتم بعملية التخطيط والترتيب لبناء المنازل والدور وكانت له صلى الله عليه وسلم معرفة واسعة بتخطيط ذلك وتنظيمه على أساس يحفظ حق الشارع والمارة ويحفظ حق الجار ويحفظ حق المسجد ويراعى في ذلك أيضا القواعد الصحية المطلوبة ، من مناسبة البناء في ذلك المكان او عدم مناسبته فالدور لها موضعها الخاص بها في تخطيطه صلى الله عليه وسلم والحمام كان له موضعه المناسب له في التخطيط النبوي والسوق له موضعه اللائق به في التخطيط النبوى وقد كان يقوم بنفسه صلى الله عليه وسلم على تنفيذ ذلك والارشاد الى ما ينبغى •

روى ابن سعد في طبقاته لما أقطع عليه السلام الدور بالمدينة خط لعثمان ابن عفان داره اليوم •

وقد خرج صلى الله عليه وسلم الى مكان فسيح فقال نعم موضع الحمام هذا فبنى فيه الحمام ، وهذا داخل في معرفته صلى الله عليه وسلم بالهندسة والبناء ومهاب الاهوية(١) •

وروى ابو داود في السنن ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث ان ينادى

---

(١) انظر التراتيب الادارية ٢٨٢/١ .

Marfat.com

في معسكره ان من ضيق منزلا او قطع طريقا فلا جهاد له وذلك لما ضيق الناس المنازل وقطعوا الطرق فيؤخذ منه انه كان صلى الله عليه وسلم يحب النظام حتى في نصب الاخبية في السفر فكيف لا يحب ذلك في محل الاستيطان والبناء المشيد .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يأمر في البناءات ان تكون على مقتضى القواعد الصحية . ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن حق الجار لا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذه بريح قدرك الا ان تغرف له منها(١) وفي رواية ولا تحجب عنه الريح الا باذنه(٢) وقد اختار عليه السلام محل السوق وارشد اليه وقام بنفسه لينظر اليه فلما رآه اعجبه وركض برجله وقال : نعم سوقكم هذا فلا ينقص .

وكان قد ذهب قبل ذلك الى السوق القديم فقال : ليس لكم هذا بسوق ثم رجع الى الثاني فقال ما قال وحثهم على عمارته(٣) « ت ١٦٣/٢ » .

ومن اهتمامه بأمر السوق صلى الله عليه وسلم انه كان يراقب احوالهم ويسأل عما يجرى في السوق وما يحدث ويرعى ذلك رعاية كاملة ولما علم انهم كانوا يشترون الطعام من الركبان بعث من يمنعهم من ذلك وقد يضربهم على فعل ذلك . روى البخارى في الصحيح عن ابن عمر انهم كانوا يشترون الطعام من الركبان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعث عليهم من

---

(١) رواه البيهقى وقال سنده ضعيف وله شواهد .
(٢) اخرجه ابن عدى في الكامل ، كذا في التراتيب ٨٠/٢ .
(٣) روى ابن ماجه والطبرانى قصة السوق بروايتين جمعنا بينهما هنا .

Marfat.com

يمنعهم ان يبيعوه حيث اشتروه حتى ينقلوه حيث يباع الطعام(١) .

ونهى عن تلقى الركبان كما ثبت في الصحيح وينهى ان يبيع حاضر لباد وقد يخرج بنفسه الى السوق لمراقبة ما يجرى هناك كما جاء في الحديث انه صلى الله عليه وسلم مر على صاحب طعام فأدخل يده فنالت بللا فقال يا صاحب الطعام ما هذا قال اصابته السماء يا رسول الله قال أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس ثم قال من غش فليس منا ، قال الترمذى حسن صحيح واستعمل صلى الله عليه وسلم بعد الفتح سعيد بن سعيد بن العاص على سوق مكة واستعمل عمر على سوق المدينة(٢) .

ومن اهتمامه بأمر السوق مراقبته للوزان وامره له بالعدل والفضل ، يقول ابو هريرة : كان لاهل السوق وزان يزن ، فقال له عليه السلام زن وارجح(٣) ومعنى قوله زن أي زن التمر وارجح أي زد عليه حتى ترجح الميزان بزيادة الكفة .

وكان صلى الله عليه وسلم يهم بتوفير السلع في الاسواق ورواجها وكثرتها لئلا تغلو ولتكون في متناول اليد ، ومن هذا المبدأ كان يقول : الجالب مرزوق والمحتكر ملعون ــ رواه ابن ماجه ــ وكان يحذر الناس من بعض اصحاب الحرف اذ كان يعرف عنهم الغش والكذب ويقول : اكذب الناس الصباغون والصواغون ــ رواه ابن ماجه ــ وقال في الفتح وهو حديث

---

(١) صحيح ابى عبدالله البخارى « البيوع » .
(٢) السيرة الحلبية ٣/٣٥٤ .
(٣) رواه احمد في المسند .

Marfat.com

مضطرب الاسناد رواه احمد وغيره . وكان يحث على الخروج الى الاسواق للبيع والشراء والتجارة ومزاولة الاعمال والحرف المختلفة .

وقد حث الذى جاء يشتكى اليه الفاقه ان يشتغل بجمع الحطب وقال له انطلق الى هذا الوادى فلا تدعن شوكا ولا حطبا ولا تأتينى الا بعد عشرة أيام فكان هذا حث وحضا على مهنة جمع الحطب(١) وجاء سعد بن عائذ يشتكى اليه صلى الله عليه وسلم قله ذات يده فأمره بالتجارة فخرج الى السوق فاشترى شيئ من قرظ فباعه فربح فيه فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فأمره بلزومه فلزم التجارة فيه(٢) وكان اذا رأى الصبيان في السوق يبيعون يدعو لهم بالبركة ويفرح بهم ويشجعهم . وقد مر بعبدالله بن جعفر وهو يبيع بيع الصبيان فقال اللهم بارك له في بيعه او صفقته(٣) في رواية لمعمرى قال كنا غلمان نعمل في السوق . الحديث رواه ابو داود .

ومن اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالسوق انه سمى القائمين فيه بالبيع والشراء تجارا . وقد كان يطلق عليهم سماسرة .

فقد روى ابن ماجه عن قس بن ابى عزارة كنا نسمى في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم السماسرة فمر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمانا باسم هو أحسن منه ، فقال يا معشر التجار ان البيع الحديث ــ زاد

---

(١) أصلها في سنن الترمذى .
(٢) انظر ترجمته في الاصابة والاستيعاب واسمه سعد بن عائذ وصار معروفا بسعد القرظ .
(٣) انظر ترجمته في الاصابة .

Marfat.com

الطبراني ــ فكان اول من سمانا التجار ، وقد ذكر الحديث الترمذي ، وقال باب التجار وتسمية النبي صلى الله عليه وسلم بذلك .

واسم التاجر اشرف من اسم السمسار في العرف العام ، ولعل وجه الاحسنية ان السماسرة تطلق على المكاسين أو لعل هذا الاسم في عهده عليه السلام كان يطلق على من فيه نقص .

ومن كمال معارفه صلى الله عليه وسلم معرفته بالخياطة تقول السيدة عائشة كان صلى الله عليه وسلم يعمل عمل البيت وكثيرا ما يعمل الخياطة(١) .

ومن كمال معارفه العامة صلى الله عليه وسلم امره لمن قطع أنفه ان يتخذ أنفا من ذهب كما روى ابو داود في السنن ان عرفجة بن سعد قطع انفه يوم الكلاب فاتخذ أنفا من ورق فأنتن عليه فأمره صلى الله عليه وسلم ان يتخذه من ذهب .

قال الترمذي في سننه وقد روى عن غير واحد من أهل العلم انهم شدوا أسنانهم بالذهب فأشار النبي صلى الله عليه وسلم الى ان الذهب خاصيته ان لا ينتن(٢) .

ولما أعلن صلى الله عليه وسلم تحريم مكة وقطع شجرها ونباتها قال العباس الا الاذخر لصاغتنا وسقفا لبيوتنا . قال الا الاذخر واجاز ذلك « وهو في الصحيح » .

---

(١) رواه ابن سعد في طبقاته .
(٢) انظر سنن الترمذي في استعمال الذهب وترجمة المذكور في الاصابة .

Marfat.com

وكان اذا رأى الرجل يحسن ويتقن صناعة الشيء وكله اليه وشجعه عليه حتى يبرز فيه •

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم رأى قيس بن طلق الحنفي وهو يبني معهم المسجد الشريف ورآه يتقن ويحسن عمل الطين فوكله اليه وقال قربوا له الطين فانه أعرف به وحدث طلق عن هذه القصة فقال : قدمت المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبني مسجده والمسلمون يعملون فيه معه وكنت صاحب علاج وخلط طين فأخذت المسحاة اخلط الطين ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الي ويقول : ان هذا الحنفي لصاحب طين وفي رواية : فانه أضبطكم للطين(١) •

وفي البيان والتحصيل لابن رشد عن مالك كما نقله عنه الكتاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف على قبر فكأنه رأى باللبنة خلط فأمر بأن يصلح وقال ان الله يحب اذا عمل العبد عملا ان يحسنه ويتقنه •

---

(١) انظر ترجمته في الاصابة وطبقات ابن سعد .

Marfat.com

كمال الادب في الخطب النبوية

كانت خطبه صلى الله عليه وسلم مثلا عليا يحق على كل داع الى الاصلاح أن يقتدى بها ويقتبس من أدابها ويسوس النفوس بمثل أساليبها .

وكان يحرص صلى الله عليه وسلم أن تطرق مواعظه آذان المستمعين متمايزة الحروف مفصلة الكلمات فكان يلقى الخطبة قائما رافعا بها صوته وانما يخطب على مكان مرتفع ولذلك اتخذ المنبر في مسجده بالمدينة ويحرص على ان تقع الموعظة في قرارات النفوس ، فكان يلقى الخطبة بألفاظ مأنوسة وتأليف محكم ومعان بارزة في صور بارعة ، وربما أعاد الجملة فنطق بها ثلاث مرات ليدل على انها موضع اهتمام ويخشى أن تمر على أذهان المستمعين دون أن تستقر في نفوسهم .

ولم يكن صلى الله عليه وسلم يلتزم السجع في خطبه وانما يأخذ فيها بطريقة الترسل الا أن يجيء السجع عفوا وذلك ان السجع الملتزم لا يخلو من تكلف تفقد به صور المعانى جانبا من الوضوح ، ولم يكن صلى الله عليه وسلم ليطيل الخطب يخشى على الناس الملل فلا ينتفعون بالموعظة انتفاعهم بها وهم يصغون اليها باقبال ونشاط ، وكان يقول : ان طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه ، وكانت خطبه مع قصرها ممنعة بالحكمة والموعظة الحسنة اذ تجيء حافلة بجوامع الكلم والجمل التى تجرى على الالسنة مجرى الامثال

Marfat.com

ايجازا وبلاغة وقد يطيل الخطبة في غير يوم الجمعة متى اقتضى الحال الاطالة فقد قام يوما فخطب بعد العصر ولم يزل يخطب حتى غربت الشمس •

وكان يفتتح الخطبة بحمد الله والثناء عليه ويصلهما بالتشهد ويقول : أما بعد . منتقلا بها الى حكمة او موعظة . وقد يدع الخطبة العامة ويتجه في أثنائها الى ارشاد شخص بعينه متى خشي فوات الفريضة •

فقد جاء رجل والنبى صلى الله عليه وسلم يخطب الناس يوم الجمعة فقال صلى الله عليه وسلم : صليت يا فلان ؟ فقال : لا . فقال : قم فاركع . ثم عاد الى الخطبة وقد يستعين صلى الله عليه وسلم في تثبيت المعنى بالاشارة بيده اشارة مناسبة للمعنى . كما قال في احدى خطبه . بعثت أنا والساعة كهاتين . وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى . وروى انه كان يشير بأصبعه السبابة عند ذكر الله تعالى ودعائه وقد تظهر عليه امارات الانذار والغضب اذا اقتضى الحال وامثال ذلك . فكان أحيانا اذا خطب احمرت عيناه واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش •

وكان صلى الله عليه وسلم ينظر الى حال القوم يوم الخطبة فيلقيها على مقتضى حالهم فيأمر بمعروف أخلوا به أو يحذر من مكروه اقتربوا منه •

Marfat.com

كمال حكمته فى أسلوب الدعوة

الدعوة الصادقة لا يثبت أصلها وتمتد فروعها وتؤتى ثمرها الا ان يقوم بناؤها على أساس الحجة ويذهب بها الداعى كل مذهب حكيم ويأخذ فيها بكل أدب جميل •

وكذلك كانت دعوته صلى الله عليه وسلم الى الاسلام فانها كانت محفوفة بما يقرب العقول الى قبولها وتألف النفوس الى سماعها فكان صلى الله عليه وسلم يراعى في ابلاغها الطرق الكفيلة بنجاحها فيورد لكل مقام مقالا يناسبه ويكسو كل معنى من المعانى ثوبا يليق به ويخاطب كل طائفة على قدر عقولهم ويلاقيهم بالسيرة التى هى أدعى الى اقبالهم وأسرع أثرا في صرفهم عن غوايتهم •

وكان صلى الله عليه وسلم يدعو الى الحق ويتلو الدعوة بالحجة والقرآن الكريم لم يدع أصلا من أصول الدين الا أقام عليه البرهان الساطع وأزاح عنه كل شبهة يدعم صلى الله عليه وسلم الدعوة بالحجة ويدفع ما كان يعرض للناس من شبه •

ومن مظاهر دعوته صلى الله عليه وسلم ارسال الحكم البالغة وكثرة ما في الكتاب العزيز والحديث الشريف من الحكم الرائعة تدل الناظر على أن دعوة الاسلام قول فصل وما هو بالهزل . ومن حكمته صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم أنه كان يستعين في بث الدعوة بما كان يهبه لاشراف القبائل من المال لان الهدايا تذهب بالاحقاد وتضع مكان التقاطع ائتلافا فغايتها انها تجعل القلوب متهيئة للنظر في صدق الدعوة •

أما العقيدة فانما تتصل باللقوب من ناحية الآيات البينات وكان صلى الله عليه وسلم اعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه منتقبا بيديه ببقائهم على الهداية . يفعل ذلك حيث يظهر له ان ايمانهم لم يرسخ في قلوبهم رسوخ ما لا تزلزله الفتن •

والى أمثال هؤلاء أشار صلى الله عليه وسلم بقوله : انى لاعطى الرجل وغيره أحب الي منه خشية أن يكبه الله في النار •

ومن أدب دعوته صلى الله عليه وسلم أخذه فيها بالصبر والرفق والاناة . فكان يعرضها في لين من القول ويقابل الجاهل بالاعراض والمسىء بالعفو والاحسان وان أذى كثيرا كان يلحقه من مشركى قريش وسفهائهم فيلقاه بالصبر ولا ينال من عزمه واسترساله في الدعوة ولو شيئا قليلا ، وكم من كلمة سيئة يرميه بها بعض المنافقين او بعض الجفاة من الاعراب فيكون جزاؤها الصفح أو التبسم والانعام . وكان يأخذ في التأديب والزجر عما لا ينبغى مأخذا لطيفا حتى انه لا يوجه الانكار الى الرجل بعينه بل كان يعم فيقول : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله انى لاعلمهم بالله وأشدهم خشية له •

ومن حكمته في الدعوة انه لا يجعل الوعظ على الناس ركاما بل كان يتحرى بالموعظة وقت حاجتهم اليها أو وقت نشاطهم لسماعها قال عبدالله بن

Marfat.com

مسعود : كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا .

وكان صلى الله عليه وسلم يسلك في رسائله الى الملوك والطوائف طريق الايجاز ويكل بسط الدعوة وتفصيل الحجة ودفع الشبه الى من يبعثهم بتلك الرسائل وفيهم الكفاية لهذا الشأن كتب الى أهل نجران كتابا أرسله مع عمرو ابن العاص وهو :

« أما بعد فانى أدعوكم الى عبادة الله من عبادة العباد وأدعوكم الى ولاية الله من ولاية العباد فان أبيتم فالجزية فان أبيتم فقد آذنتكم بحرب والسلام » .

ومن بديع أسلوبه صلى الله عليه وسلم في اجابة السائلين انه يأتى بالجواب في صورة قاعدة عامة والسائل يكفيه أن يقال له في الجواب « نعم أو لا » .

كان رجل من محارب يؤذيه ايام كان يعرض نفسه على القبائل ثم جاء ذلك الرجل في وفد محارب مسلما . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كان يلقاه به من الاذى وقال له : « استغفر لي » فقال له صلى الله عليه وسلم : « ان الاسلام يجب ما قبله من الكفر » .

ومن أسلوبه في الدعوة صوغ التشابيه البديعة وضرب الامثال الرائعة وللتشبيه والتمثيل أثر كبير في جعل الحقائق الخفية واضحة والمعانى الغريبة مألوفة . ومن أبدع ما سمعناه في هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم . ترى المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى

Marfat.com

له سائر جسده بالسهر والحمى ومن سياسته في الدعوة انه كان يخاطب كل قوم بما يفهمون ويتحامى أن يخاطب أحدا بما لا يحتمله عقله وأرشد الى هذا الباب بقوله : « حدثوا الناس بما يفهمون أتحبون ان يكذب الله ورسوله » وربما فعل صلى الله عليه وسلم الشيء مسايرة لمن يبتغى فعله وانما يأخذ بهذا الادب فيما يرجع الى العادات ولم يكن في فعله ضرر يستدعى تركه . أراد أن يكتب الى بعض الملوك رسائل يدعوهم فيها الى الاسلام فقيل له : انهم لا يقرأون كتابا الا مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقشه : محمد رسول الله •

وقد يترك الامر الذى لا ضرر في تركه اتقاء للفتنة كما ترك هدم الكعبة وبناءها على أساس ابراهيم اتقاء لفتنة قوم هم حديثو عهد بجاهلية وقال لعائشة رضي الله عنها : لولا قومك حديثو عهد بجاهلية لامرت بالبيت فهدم فأدخلت فيه ما أخرج منه وبلغت به أساس ابراهيم •

Marfat.com

والله يعصمك من الناس

كمال عصمته عن النقائص والشبهات

وحفظ الله تعالى له من الاعداء

والشياطين والمخالفات

Marfat.com

كمال حفظ الله تعالى له

قال الله تعالى : « والله يعصمك من الناس » . وقال تعالى : « واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا » . وقال : « أليس الله بكاف عبده » قيل بكاف محمد صلى الله عليه وسلم اعداءه المشركين . وقيل غير هذا .

وقال : « انا كفيناك المستهزئين » . وقال : « واذ يمكر بك الذين كفروا » الآية .

تقول عائشة رضي الله عنها : كان النبى صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية : والله يعصمك من الناس ، فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم : يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمنى ربى عز وجل .

وروى ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له أصحابه شجرة يقيل تحتها فأتاه اعرابى فاخترط سيفه ثم قال : من يمنعك منى فقال : الله عز وجل . فارعدت يد الاعرابى وسقط سيفه وضرب برأسه الشجرة حتى سال دماغه . فنزلت الآية .

وقد رويت هذه القصة في الصحيح وان غورث ابن الحارث صاحب هذه القصة وان النبى صلى الله عليه وسلم عفا عنه فرجع الى قومه وقال : قد جئتكم من عند خير الناس . وقد حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم

Marfat.com

بدر وكان قد انفرد من اصحابه لقضاء حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مـثله .

وقد روى انه وقع له مثلها في غزوة غطفان بذى أمر مع رجـل اسمه دعثور بن الحارث ، وان الرجل اسلم فلما رجع الى قومه الذين أغروه وكان سيدهم وأشجعهم قالوا له أين ما كنت تقول وقد امكنك فقال انى نظـرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدرى فوقعت لظهرى وسقط السيف فعرفت انه ملك وأسلمت ، وقيل وفيه نزلت : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم » الآية .

وفي رواية الخطابى ان غورث ابن الحارث المحاربى اراد ان يفتك بالنبى صلى الله عليه وسـلم فلم يشعر بـه الا وهو قائم على رأسـه منتضيـا سيفه فقـال : الله اكفينه بمـا شئت فانكب على وجهـه وندر سيفـه مـن يـده . وقيـل في قصته غـير هـذا . وذكـر ان فيـه نـزلت : « يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم » الآية . وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاف قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلنى .

وذكر عبد بن حميد قال : كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهى جسر على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فكأنما يطؤها كثيبا أهيل .

وذكر ابن اسحاق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا أبى لهب . وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ومعه ابوبكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهـا

Marfat.com

لم تر الا ابابكر وأخذ الله تعالى ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يا أبا بكر اين صاحبك ؟ فقد بلغنى انه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه • وفي ذلك يقول صاحب الهمزية :

وأعدت حمالة الحطب الفهـ ❋ ـر وجاءت كأنها الورقاء

يوم جاءت غضبى تقول أفى مثـ ❋ ـلى من أحمد يقال الهجاء

وتولت وما رأته ومن أيـ ❋ ـن ترى الشمس مقلة عمياء

وعن الحكم بن ابى العاص قال تواعدنا على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا صوتا خلفنا ما ظننا انه بقى بتهامة أحد فوقعنا مغشيا علينا فما أفقنا حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه •

وعن عمر رضي الله عنه تواعدت أنا وأبوجهم بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فسمعنا له فافتتح وقرأ الحاقة ما الحاقة ـ الى ـ فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم على عضد عمر رضي الله عنه وقال : انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر رضي الله عنه ومنه العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما أخافته قريش واجمعت على قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤوسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم له في الغار بما هيأ الله من الآيات ومن العنكبوت الذى نسج عليه حتى قال أمية بن خلف حين قالوا ندخل الغار ما أرى أنه فيه وعليه من نسج

Marfat.com

العنكبوت ما أرى الا انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار ، فقالت قريش لو كان فيه أحد لما كانت هناك الحمام .

وقصته مع سراقه بن مالك بن جعشم حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابى بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبى صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه فخر عنها واستقسم بالازلام فحرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة النبى صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابوبكر رضي الله عنه يلتفت ويقول للنبى صلى الله عليه وسلم أتينا ، فقال : لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتها وخر عنها فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبى صلى الله عليه وسلم أمانا كتبه بن فهيره ، وقيل ابوبكر واخبرهم بالاخبار وأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن لا يترك أحدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس كفيتم ماههنا ، وقيل بل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه ظهور النبى صلى الله عليه وسلم .

وفي معجزة الغار وقصة سراقة قال البوصيرى :

ويح قوم جفوا نبيا بأرض ❋ ألفته ضبابها والظباء
وسلوه وحن جذع اليه ❋ وقلوه ووده الغرباء
أخرجوه منها وآواه غار ❋ وحمته حمامة ورقاء
وكفته بنسجها عنكبوت ❋ ما كفته الحمامة الحصداء
واختفى منهم على قرب مرآ ❋ ه ومن شدة الظهور الخفاء

Marfat.com

ونحا المصطفى المدينة واشتا * قت اليه من مكة الانحاء
وتغنت بمدحه الجن حتى * أطرب الانس منه ذاك الغناء
واقتفى اثره سراقة فاستهوت * ه في الارض صافن جرداء
ثم ناداه بعدما سيمت الخسـ * ـف وقد ينجد الغريق النداء

وذكر ابن اسحاق وغيره ان أبا جهل جاءه بصخرة وهو ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليها فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه واقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه فقال ذكر انه عرض لى دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بى أن يأكلنى فقال النبى صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه .

وفي ذلك قال الامام البوصيري :

هم قوم بقتله فأبى السيـ * ـف وفاء وفاءت الصفواء
وأبو جهل اذ رأى عنق الفحـ * ـل اليه كأنه العنقاء

وذكر السمرقندى ان رجلا من بنى المغيرة اتى النبى صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبى صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه . وذكر أنه في هاتين القصتين نزلت : انا جعلنا في اعناقهم أغلالا . الآيتين .

ومن ذلك ما ذكره ابن اسحاق في قصته اذ خرج الى بنى قريظة في

Marfat.com

أصحابه فجلس الى جدار بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احـدهم ليطرح عليه رحى فقام النبى صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة وأعلمهم بقصتهم •

وقد قيل ان قوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليـكم اذ هم قوم ، في هذه القصة نزلت •

وحكى السمرقندى انه خرج الى بنى النضير يستعين في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن أمية ، فقال له حي بن أخطب : اجلس يا أبا القاسـم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبى صلى الله عليه وسلم مع ابى بكر وعمر رضي الله عنهما وتآمر حيي معهم على قتله فأعلم جبريل عليه السـلام النبى صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كأنه يريد حاجته حتى دخـل المدينة وذكر أهل التفسير معنى الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه ان أبا جهـل وعد قريشا لئن رأى محمدا يصلى ليطأن رقبته فلما صلى النبى صـلى الله عليه وسلم اعلموه فأقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل فقال لما دنوت منه أشرفت على خندق مملوء نارا كدت أهوى فيـه وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض . فقال صلى الله عليـه وسلم تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا ثم انزل على النبى صـلى الله عليه وسلم : كلا ان الانسان ليطغى ، الى آخر السورة •

ويروى ان شيبة بن عثمان الحجبى ادركه يوم حنين وكان حمزة قـد قتل أباه وعمه ، فقال : اليوم ادرك ثأرى من محمد فلما اختلط الناس أتـاه

Marfat.com

من خلفه ورفع سيفه ليصيبه عليه قال لما دنوت منه ارتفع لي شواظ من نار أسرع من البرق فوليت هاربا واحس بى النبى صلى الله عليه وسلم فدعانى فوضع يده على صدرى وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو أحب الخلق الي وقال لي أدن فقاتل فتقدمت امامه أضرب بسيفى واقيه بنفسي ولو لقيت ابى تلك الساعة لاوقعت به دونه .

وعن فضالة بن عمير قال أردت قتل النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت منه قال : أفضالة . قلت : نعم ، قال : ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك واستغفر لي ووضع يده على صدرى فسكن قلبى فوالله ما رفعها حتى ما خلق الله شيئا أحب الي منه ، قال فضالة : فرجعت الى أهلى . فمررت بامرأة كنت أتحدث اليها فقالت : هلم الى الحديث ، فقلت : لا ، وانبعث فضالة بقول :

قالت هلم الى الحديث فقلت لا ❋ يأبى على الله والاسلام
لوما رأيت محمدا وقبيله ❋ بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحى بينا ❋ والشرك يغشى وجهه الاظلام

ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل وأربد بن قيس حين وفدا على النبى صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له : انا أشغل عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له : والله ما هممت ان أضربه الا وجدتك بينى وبينه أفأضربك .

Marfat.com

ومن عصمته تعالى له ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى حتى بلغ فيه أمره •

ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح •

Marfat.com

كمال عصمته صلى الله عليه وسلم من الشيطان

قال القاضي عياض : اعلم ان الامة مجمعة على عصمة النبى صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه ، لا في جسمه بأنواع الاذى ولا على خاطره بالوساوس بل في كل أحواله صلى الله عليه وسلم •

جاء في الصحيح عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منكم من أحد الا وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا : واياك يا رسول الله ؟ قال : واياي ولكن الله أعانني عليه فأسلم •

زاد غيره عن منصور فلا يأمرنى الا بخير •

وعن عائشة رضي الله عنها بمعناه . روى : فأسلم بضم الميم أي فأسلم أنا منه ــ وصحح بعضهم هذه الرواية ورجحها •

وروى : فأسلم بفتح الميم يعنى القرين أنه انتقل من حال كفره الى الاسلام فصار لا يأمر الا بخير كالملك ، وهو ظاهر الحديث •

ورواه بعضهم فاستسلم •

فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على بنى آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا أقدر على الدنو منه •

وقد جاءت الاثار بتصدى الشيطان له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره

Marfat.com

واماتة نفسه وادخال شغل عليه ، اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسريـــن ، كتعرضه له في الصلاة فأخذه النبى صلى الله عليه وسلم وأسره •

ففى الصحاح : قال أبو هريرة رضي الله عنه : عن النبى صلى الله عليه وسلم : ان الشيطان عرض لي • قال عبدالرزاق : في صورة هر ، فشد علي يقطع الصلاة فأمكننى الله منه فذعته(١) ، ولقد هممت أن أوثقه الى سارية حتى تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول أخى سليمان « رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب » فرده الله خاسئا •

وفي حديث أبى الدرداء عنه صلى الله عليه وسلم : ان عدو الله ابليس جاءنى بشهاب من نار ليجعله في وجهى ، والنبى صلى الله عليه وسـلم في الصلاة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له وقال : « ثم اردت ان آخذه » وذكـر نحوه قال : « لأصبح موثقا يتلاعب به ولدان أهل المدينة » •

وكذلك في حديثه في الاسراء : وطلب عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه • ذكره في الموطأ ولما لم يقـدر على أذاه بمباشرته تسبب بالتوسط الى عداه كقضيته مع قريش في الائتمار بقتل النبى صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدى •

ومرة أخرى في غزوة يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قولـه : « واذ زين لهم الشيطان أعمالهم » الآية •

---

(١) بالذال اي طرحته في التراب ويصح بالدال ايضا وهو الدفع العنيف .

Marfat.com

ومرة ينذر بشأنه عند بيعة العقبة •• وكل هذا فقد كفاه أمره ، وعصمه ضره وشره •

وقال صلى الله عليه وسلم حين لد في مرضه ، وقيل له : خشينا أن يكون بك ذات الجنب •• فقال : انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي •

فان قيل : فما معنى قوله تعالى : « واما ينزعنك من الشيطان نزع فاستعذ بالله » الآية •

فالجواب : أن المراد بهذا الخطاب أمته صلى الله عليه وسلم وهذا كغيره من الخطابات التى توجه الى النبى صلى الله عليه وسلم ويكون المراد بها أمته •

ومن ذلك قوله تعالى : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليكم حكيم •

فقد زلت في معنى هذه الآية اقدام كثير من العلماء ، وساءت افهام كثير من القراء ، اذ فسروا التمنى هنا بالتلاوة ، وان « اذا تمنى » معناه اذا قرأ ، ويكون معناه حينئذ انه اذا قرأ الرسول او النبى ما أوحى اليه فان الشيطان يتسلط على قراءته ويلقى فيها ما يشاء ثم ينسخ الله ذلك الذى القاه الشيطان •

واستدلوا لصحة هذا التأويل بقصة الغرانيق ، وهى : ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قرأ سورة « والنجم » وقال : « أفرأيتم اللات

Marfat.com

والعزى ومناة الثالثة الاخرى » قال : تلك الغرانيق العلى ، وان شفاعتهـا لترتجى •

« والغرانيق » في الاصل ، الذكور من طير الماء ، واحدها غرنـوق وغرنيق ، سمى به لبياضه •

وقيل : الـكركى •

والغرنوق أيضا ، الشاب الابيض الناعم ، وكانوا يزعمون ان الاصنام تقربهم من الله ، وتشفع لهم فشبهت بالطيور التى تعلو في السماء وترتفع •

ويروى « ترتضي » وفي رواية : ان شفاعتها لترتجى ، وانها لمع الغرانيق العلى ، وفي أخرى : والغرانقة العلى ، تلك الشفاعة ترتجى ، فلما ختم السورة سجد ، وسجد المسلمون والكفار لما سمعوه أثنى على آلهتهم •

وما وقع في بعض الروايات ان شيطانا ألقاها على لسانه وان النبى صلى الله عليه وسلم كان يتمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه ، فلما ألقى ذلك الشيطان حزن صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى تسلية له : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم ، وقوله : « وان كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا اليـك لتفترى علينا غيره ، واذا لاتخذوك خليلا » •

والصحيح في تفسـير الآية هو ما قاله الامـام العارف بالله الشيـخ عبدالعزيز الدباغ رضي الله عنه وهو :

Marfat.com

ان الله سبحانه وتعالى ما أرسل من رسول ، ولا بعث نبيا من الانبياء الى أمة من الامم الا وذلك الرسول يتمنى الايمان لامته ويحبه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة ، ومن جملتهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذى قال له الرب سبحانه وتعالى « فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » ، وقال تعالى : « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » . وقال تعالى « أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » الى غير ذلك من الآية المتضمنة لهذا المعنى ، ثم الامة تختلف كما قال تعالى : « ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر » فأما من كفر فقد ألقى اليه الشيطان الوساوس القادحة في الرسالة الموجبة لكفره . وكذا المؤمن أيضا لا يخلو من وساوس ، لانها لازمة للايمان بالغيب في الغالب وان كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة وبحسب المتعلقات .

اذا تقرر هذا فمعنى تمنى أنه يتمنى الايمان لامته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح ، فهذه أمنية كل رسول ونبي ، والقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوى من الوساويس الموجبة لكفر بعضهم ، ويرحم الله المؤمنين ، فينسخ ذلك من قلوبهم ، ويحكم فيها الآيات الدالة على الوحدانية والرسالة ، ويبقى ذلك عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به ، فخرج من هذا أن الوساويس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا ، غير أنها لا تدوم على المؤمنين وتدوم على الكافرين فهذا ما يتعلق بتفسير الآية الكريمة ، وأما قصة الغرانيق فانها قصة باطلة نقلا وعقلا .

Marfat.com

أما « نقلا » فان حديثها حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة . ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وانما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم .

وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكى حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الاهواء والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع اسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : انه في الصلاة . وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : ان الشيطان قالها على لسانه ، وان النبى صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك . وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى صلى الله عليه وسلم قرأها ، فلما بلغ النبى صلى الله عليه وسلم ذلك قال : والله ما هكذا أنزلت . الى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها الى صاحب . وأكثر الطرق فيها ضعيفة واهية .

وأما « عقلا » فقد قامت الحجة وأجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم ، ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر ، أو يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد النبى صلى الله عليه وسلم ان من القرآن ما ليس منه ، حتى ينبهه جبريل عليه السلام . وذلك كله ممتنع في حقه صلى

Marfat.com

الله عليه وسلم ، أو يقول ذلك النبى صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر ، أو سهوا، وهو معصوم من هذا كله .

وقد تقرر بالبراهين والاجماع عصمته صلى الله عليه وسلم من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمدا ولا سهوا أو أن يشتبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقى الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل ، أو أن يتقول على الله لا عمدا ولا سهوا ما لم ينزل عليه ، وقد قال الله تعالى « ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين » ، وقال تعالى : « اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا » .

وهذا الكلام لو كان كما روى لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ، ممتزج المدح بالذم ، متخاذل التأليف والنظم ، ولكان النبى صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل ، فكيف بمن رجح حلمه ، واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه .

ثم انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة القلوب ، والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبى صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة ، وتعييرهم المسلمين ، والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ، ولاقامت بها اليهود عليهم الحجة ، كما

Marfat.com

فعلوا مكابرة في قصة الاسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة •

فما روى عن معاند فيها كلمة ، ولا عن مسلم بسببها بنت شفة ، فدل على بطلانها واجتثاث أصلها •

ولا شك في ادخال بعض شياطين الانس أو الجن هذا الحديث على بعض مغفلى المحدثين ليلتبس به على ضعفاء المسلمين •

Marfat.com

كمال عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات

تعاضدت الاخبار والآثار عن نبينا صلى الله عليه وسلم بتنزيهه عن كل نقص منذ ولد . ونشأته على التوحيد والايمان بل على اشراق أنوار المعارف . ونفحات الطاف السعادة .

ومن هنا كان توحيده وعلمه بالله وصفاته والايمان به وبما أوحى اليه ، على غاية المعرفة ووضوح العلم واليقين . والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك ، أو الشك أو الريب فيه . والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين .

وما ورد من النصوص مما قد يفيد ظاهره خلاف هذا فسنبين حقيقته باختصار .

فمن ذلك قوله تعالى : « فان كنت في شك مما أنزلنا اليك فاسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك » الآيتين .

قال القاضي عياض : فاحذر ــ ثبت الله قلبك ــ أن يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن ابن عباس أو غيره من اثبات شك للنبى صلى الله عليه وسلم فيما أوحي اليه . فمثل هذا لا يجوز عليه جملة ، بل قال ابن عباس : لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، ونحوه عن ابن جبير والحسن .

Marfat.com

وحكى قتادة : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : ما أشك ولا أسأل وعامة المفسرين على هذا .

واختلفوا في معنى الآية فقيل المراد .. قل يا محمد للشاك ان كنت في شك .. الآية .

وقالوا : وفي السورة نفسها ما دل على هذا التأويل وهو قوله: قل يا أيها الناس ان كنتم في شك من دينى .. الآية ، وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبى صلى الله عليه وسلم كما قال : « لئن اشركت ليحبطن عملك » الآية ، الخطاب له والمراد غيره ، ومثله « فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء » ونظيره كثير .

ألا تراه يقول « ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله » الآية ، وهو صلى الله عليه وسلم كان المكذب (بفتح المعجمة المشددة) فيما يدعو اليه ، فكيف يكون ممن كذب به ، فهذا كله يدل على أن المراد بالخطاب غيره .

ومثل هذه الآية قوله « الرحمن فاسأل به خبيرا » المأمور ههنا غير النبى صلى الله عليه وسلم ليسأل النبى ، والنبى صلى الله عليه وسلم هو الخبير المسئول ، لا المستخبر السائل .

وقال : ان هذا الشك الذى أمر به غير النبى صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤون الكتاب انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم ، لا فيما دعا اليه من التوحيد والشريعة ، ومثل هذا قوله تعالى : « واسأل من أرسلنا

Marfat.com

من قبلك من رسلنا .. » الآية المراد المشركون . والخطاب موجه للنبى صلى الله عليه وسلم .

وقيل معناه : « سلنا عمن أرسلنا من قبلك » فحذف الخافض وتم الكلام . ثم ابتدأ « أجعلنا من دون الرحمن » الى آخر الآية . على طريق الانكار . أي ما جعلنا .

وقيل : أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك . فكان أشد يقينا من أن يحتاج الى السؤال ؛ فروى انه قال : « لا أسأل قد اكتفيت » .

وقيل : سل أمم من أرسلنا . هل جاؤوهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدى والضحاك وقتادة . والمراد بهذا والذى قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت به الرسل . وانه تعالى لم يأذن في عبادة غيره لاحد ؛ ردا على مشركى العرب وغيرهم في قولهم « انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى » .

وظهر لى وجه آخر في الجواب عن الآية « فان كنت في شك » وهو أن الآية لا تدل على حصول الشك منه صلى الله عليه وسلم وحاشا مقامه العالى . وانما تدل على افتراض وقوع ذلك . وهو محال منه . وافتراض المحال لا يدل على جواز الوقوع . والمعنى هو « ان فرض حصول الشك منك فاسأل الذين يتلون الكتاب » ولكن ذلك محال . وافتراض المحال لا يلزم منه الوقوع ؛ ونظير هذا قوله تعالى قل ان كان للرحمن ولدا فأنا اول العابدين فهل يصح

Marfat.com

ان يقال ان هذا يفيد صحة وقوع ذلك ، ولا يقول ذلك الا مشرك جاهل بل هذا افتراض أي « ان فرض ان يكون للرحمن ولد » وهو محال بلا شك . وبمثل هذا نجيب عن قوله تعالى فان كنت في شك .

ومن ذلك قوله تعالى : « والذين آتيناهم الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين » أي في علمهم بأنك رسول الله وان لم يقروا بذلك ، وليس المراد به شكه فيما ذكر في أول الآية .

وقد يكون أيضا على مثل ما تقدم ، أي قل يا محمد لمن امترى في ذلك . لا تكونن من الممترين ، بدليل قوله أول الآية « أفغير الله أبتغي حكما » الآية ، وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره .

وقيل هو تقرير كقوله : « أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله .. » وقد علم أنه لم يقل .

وقيل : معناه ، ما كنت في شك .. فاسأل تزدد طمأنينة وعلما الى علمك ويقينك .

وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فاسألهم عن صفتك في الكتب ونشر فضائلك .

وحكى عن أبي عبيدة ، أن المراد .. ان كنت في شك من غيرك فيما أنزلنا .

فان قيل فما معنى قوله « حتى اذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا » على قراءة التخفيف ؟ قلنا : المعنى في ذلك ما قالته السيدة عائشة رضي الله عنها : معاذ الله أن تظن ذلك الرسل بربها . وانما معنى ذلك ان

Marfat.com

الرسل لما استيأسوا ظنوا أن من وعدهم النصر من أتباعهم كذبوهم ، وعلى هذا أكثر المفسرين .

وقيل : ان ضمير ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل. وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء .

وبهذا المعنى قرأ مجاهد « كذبوا » فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه . مما لا يليق بمنصب العلماء . فكيف بالانبياء .

ومن ذلك قوله تعالى لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم « ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين » فان بعضهم فسرها بأن معناها لا تكونن ممن يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى .

وهذا أمر باطل فان أقل الناس ايمانا لا يجهل ان الله لو شاء لجمعهم على الهدى ، فكيف بسيد أهل الايمان ، اذ فيه اثبات الجهل بصفة من صفات الله تعالى . وذلك لا يجوز على الانبياء .

ونقول ان المقصود هو وعظه صلى الله عليه وسلم أن لا يتشبه في أموره بسمات الجاهلين .

وقيل انه خطاب للامة المحمدية ، والمعنى : فلا تكونوا من الجاهلين.

ومن ذلك قوله تعالى « لئن أشركت ليحبطن عملك » الآية ، وقوله تعالى : « ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك » الآية ، وقوله تعالى : « اذا لاذقناك ضعف الحياة .. » الآية ، وقوله تعالى : « لاخذنا منه باليمين » وقوله « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله »

Marfat.com

وقوله : « وان يشأ الله يختم على قلبك » ، وقوله : « فان لم تفعل فما بلغت رسالته » وقوله : « اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين » .

فاعلم وفقنا الله واياك أنه صلى الله عليه وسلم لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ ولا ان يخالف امر ربه ولا أن يشرك به ، ولا يتقول على الله ما لا يحب ، او يفترى عليه ، أو يضل أو يختم على قلبه ، أو يطيع الكافرين . لكن يسر امره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين ، وان ابلاغه ان لم يكن بهذه يسر امره المكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين . وان ابلاغه ان لم يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ ، وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله : « والله يعصمك من الناس » .

وأما قوله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الاقاويل » الآية . وقوله : « اذا لأذقناك ضعف الحياة » فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا . وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله .

وكذلك قوله : « وان تطع أكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله » فالمراد غيره ، كما قال : « ان تطيعوا الذين كفروا » الآية . وقوله : « فان يشأ الله يختم على قلبك » وقوله : « لئن أشركت ليحبطن عملك » وما أشبهه فالمراد غيره ، وأن هذه حال من أشرك . والنبى صلى الله عليه وسلم لا يجوز عليه هـذا .

وقوله : « اتق الله ولا تطع الكافرين » فليس فيه أنه أطاعهم . والله ينهاه عما يشاء ، ويأمره بما يشاء كما قال : « ولا تطرد الذين يدعون ربهم » وما كان طردهم صلى الله عليه وسلم ولا كان من الظالمين .

Marfat.com

حول قصة زيد بن حارثه

ومن ذلك قوله تعالى : في قصة زيد بن حارثه . واذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا » .

فقد أخطأ بعض المفسرين في تفسيرها وقال ان معناها أن النبى صلى الله عليه وسلم لما رأى زينب أعجبته . وتمنى أن يطلقها زيد . وأخفى في نفسه هذه الامنية . وأنه كان يأمر زيدا بامساكها مجاملة .

ولو كان هذا صحيحا لكان فيه أعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا .. ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذى لا يرضاه . ولا يتسم به الاتقياء ، فكيف سيد الانبياء .

قال القشيرى : وهذا اقدام عظيم من قائله ، وقلة معرفة بحق النبى صلى الله عليه وسلم وبفضله . وكيف يقال : رآها فأعجبته ، وهى بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد . فلو أرادها صلى الله عليه وسلم لاصطفاها لنفسه قبل زيد ولفرحت بذلك بما لا مزيد عليه خصوصا وانها ما تزوجت بزيد الا طاعة لامر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

والحق الذى نـدين الله عليه هـو ان الله تعـالى كان قد أعلم نبيه صـلى الله عليه وسـلم أن زينب ستـكون من ازواجـه بعـد زيـد لحكمة تشريعية أشارت اليها الآية في آخرها ، وكان زيد يشكو كثيرا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم عدم استقراره وارتياحه للزواج بها ؛ وذلك لوجود فوارق عديدة بينهما تجعل الائتلاف والانسجام بعيدا . فكان كلما شكاها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : امسك عليك زوجك واتق الله ، وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به من أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها .

فهذا منه صلى الله عليه وسلم تمام الادب والذوق ، وكمال الاحساس في مراعاة شعور الآخرين ، مع أنه لو قال له ان الله اخبرنى بأن زينب ستكون زوجة لى بعدك لما كان عليه في ذلك حرج ولذا فان الله هنا يمتدح فيه هذه المنقبة ويثنى عليه موقفه هذا .

وهذا معنى قوله تعالى : « وتخفى في نفسك ما الله مبديه » .

ويؤيد هذا ما جاء عن الزهرى قال : « نزل جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش . فذلك الذى أخفى في نفسه » .

ويصحح هذا قول المفسرين في قوله تعالى بعد هذا « وكان أمر الله مفعولا » أي لا بد لك ان تتزوجها . ويوضح هذا أن الله لم يبد من أمره معها غير زواجه لها ، فدل أنه الذى أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى .

Marfat.com

والحكمة في زواجه بها . لا زالة حرمة التبنى . وابطال سنته . لان النبى صلى الله عليه وسلم كان قد تبنى زيدا حتى صار يدعى يزيد بن محمد . وقد أبطل الله تعالى هذه العادة بقوله : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم » وأبطلها عمليا بأمره صلى الله عليه وسلم بالتزوج بها .

والى هذا أشار سبحانه وتعالى في آخر الآية بقوله : « لكى لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم » .

فان قيل : فما الفائدة في أمره صلى الله عليه وسلم لزيد بامساكها ؟ فالجواب : أنه وان كان الله تعالى قد أعلم نبيه بأنها ستكون زوجته الا أن الله تعالى لم يأذن بطلاقها في ذلك الوقت . فلذلك كان يأمره بامساكها حتى يأتى الوقت الذى قدر الله فيه الطلاق .

وان قيل : فما معنى قوله تعالى : وتخشى الناس والله أحق ان تخشاه ؛ فالجواب : ان الخشية هنا ــ معناها الاستحياء وليس الخوف . أي يستحى منهم أن يقولوا : تزوج زوجة ابنه . وان خشيته صلى الله عليه وسلم من الناس كانت من ارجاف المنافقين واليهود . وتشغيبهم على المسلمين بقولهم : تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الابناء كما كان . فعاتبه الله على هذا ونزهه عن الالتفات اليهم فيما أحله له . كما عاتبه الله على مراعاة رضي أزواجه في سورة التحريم بقوله : « لم تحرم ما أحل الله لك .. » الآيــة كذلك قوله اه هاهنا : « وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

وقد روى عن الحسن وعائشة : لو كتم رسول الله صلى الله عليــه وسلم شيئا لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وابداء ما أخفاه .

Marfat.com

ووجدك ضالا فهدى ورفع شبه أخرى

ومن ذلك قوله تعالى : « ووجدك ضالا فهدى » ، قيل : ضالا عن النبوة فهداك اليها ، وقيل : وجدك بين أهل الضلال فعصمك من ذلك . وهداك للايمان والى ارشادهم ، وقيل : ضالا عن شريعتك . أي لا تعرفها فهداك اليها ، والضلال ههنا التحير ، ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يخلو بغار حراء طلب ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام . وقيل : لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى : وعلمك ما لم تكن تعلم .

وعن جعفر بن محمد : ووجدك ضالا عن محبتى لك في الازل أي لا تعرفها ، فمننت عليك بمعرفتى .

وقرأ الحسن بن علي : ووجدك ضالا فهدى(١) . أي اهتدى بك . وهى قراءة شاذة .

والاظهر عندى أن معناه : ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل اليك . وفي كيفية ارشاد الناس وتبليغهم ، فهداك لذلك . لقوله تعالى : وأنزلنا اليك الذكرى لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون .

---

(١) أي على أن « ضال » فاعل وجدك .

Marfat.com

ومن ذلك قوله تعالى : « ما كنت تـدرى ما الـكتاب ولا الايمان » والصحيح أن معناه : ما كنت تدرى قبل الوحي ان تقرأ القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى الايمان •

وقال بعضهم : ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام . فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل فزاد بالتكليف ايمانا . وهو أحسن وجوهه •

ومن ذلك قوله تعالى : « وان كنت من قبله لمن الغافلين » •

وقال ابن عطاء : ووجدك ضالا . أي محبا لمعرفتى •• والضال : المحب كما قال : انك لفى ضلالك القديم . أي محبتك القديمة . ولم يريدوا ههنا في الدين . اذ لو قالوا ذلك في نبى الله لكفروا •

ومثله هذا قـوله : « انا لنراها في ضلال مبين » أي محبة بينة •

وقال الجنيد : ووجدك متحيرا في بيان ما أنزل اليك فهداك لبيانـه ؛ لقوله تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر » الآية • وقيل : ووجدك لم يعرفـك أحد بالنبوة حتى أظهرك فهدى بك السعداء •

وقال الازهرى : معناه الناسين(١) : كما قال تعالى : «أن تضل احداهما» فاعلم : أنه ليس بمعنى قوله : « والذين هم عن آياتنا غافلون » •

بل حكى أبو عبدالله الهروى أن معناه : لمن الغافلين عن قصة يوسف اذ لم تعلمها الا بوحينا •

---

(١) مقصوده أن معنى قوله لمن الغافلين أي من الناسين .

Marfat.com

حول نسبة الذنوب الى مقامه الشريف صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك قوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » فان ظاهر الآية يفيد جواز صدور الذنب من النبى صلى الله عليه وسلم اعتمادا على أن المغفرة انما تكون بعد الذنب . وقد قال بهذا بعض العلماء وأيدوه فقالوا بجواز صدور الصغائر منه صلى الله عليه وسلم محتجين بآيات وأحاديث . يفيد ظاهرها هذا المعنى .

منها ــ قوله : « واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » وقوله : « ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك » وقوله : « عفا الله عنك لما أذنت لهم » . وقوله : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » . وقوله : « عبس وتولى أن جاءه الاعمى » الآية وقول النبى صلى الله عليه وسلم في دعائه : « اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت .. » ونحوه من أدعيته صلى الله عليه وسلم . وقوله : « انه ليغان على قلبى فأستغفر الله » وفي حديث أبى هريرة : « انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم أكثر من سبعين مرة » . وقد أجاب الشيخ الامام القاضي عياض رحمه الله تعالى عن قوله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » بأجوبة عديدة . منها : ان

Marfat.com

المراد بذلك أمته صلى الله عليه وسلم ، ومنها أن المراد بذلك ما كان عن سهو وغفلة وتأويل . ومنها أن المغفرة هنا تبرئته من العيوب ، ومنها : أن النبى صلى الله عليه وسلم لما أمر أن يقول : « وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم ان أتبع الا ما يوحى الي وما أنا الا نذير مبين » الاحقاف آية ٩ . سر بذلك الكفار فأنزل الله تعالى : « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » الآية .

فمقصد الآية أنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب ان لو كان .

وأجاب الامام العارف بالله عبدالعزيز الدباغ : بجواب نفيس ، خلاصته: أن المراد بالفتح في قوله تعالى « انا فتحنا » المشاهدة ، أي مشاهدته تعالى ، فمن رحمة الله تعالى للنبى صلى الله عليه وسلم أنه أزال عنه الحجاب ، واكرمه بمشاهدته تعالى فلا يرى الا ما هو حق من الحق والى الحق ، فهذا هو المشار اليه بالفتح المبين ، وقد وقع له صلى الله عليه وسلم من صغره لانه لم يحجب عنه تعالى، وهذا الفتح ثابت لكل نبى، بل ولكل عارف، والخصوصية فيه للنبى صلى الله عليه وسلم من حيث كمال قوته وطاقته وأهلية عقله وروحه ونفسه وذاته وسره مما لم يثبت لغيره .

والمراد بالذنب في قوله : « ما تقدم من ذنبك وما تأخر » سببه ، وهو الغفلة وظلام الحجاب الذى في أصل النشأة الترابية ، والمراد : بما تقدم وما تأخر ، الكناية عن زواله والمراد بالغفران الازالة .

فكان يقول : انا فتحنا لك فتحا مبينا ليزول عنك الحجاب بالكلية ولتتم النعمة منا عليك ولتهدى وتنصر فانه لا نعمة فوق نعمة زوال الحجاب ، ولا

Marfat.com

هداية فوق هداية المعارف ، ولا نصرة أبلغ من نصرة من كانت هذه حالته ، هذا مستفاد من كلام الشيخ الدباغ بتصرف .

قلت : أما أمر الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم بالاستغفار وكونه صلى الله عليه وسلم يصرح بذلك ، ويدعو به ويسأله من الله فهذا من كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم ، ومن كمال اقراره بالعبودية الكاملة ، وبحاجته الى ربه ، وافتقاره اليه ، وعدم استغناءه عن فضله ، وعدم اغتراره بما أعطاه مولاه ، وكأن لسان حاله يقول : انى مع ما من الله علي من فضل وثواب ودرجات عالية ومقامات سامية ، فانى لا أزال أرغب في فضله وأسارع الى رحابه ، وأقف على أبوابه ، وأنافس في الخيرات ، وابادر الى المبرات وقد صرح بذلك فقال : « أنا أخشاكم لله وأتقاكم وأعلمكم به » وفي هذا أيضا تعليم للامة ، ليقتدوا به ويتبعونه ، وفي هذا أيضا تمام الشكر لله بادامة العمل له ، كيف لا ؟ وهو القائل : « أفلا أكون عبدا شكورا » .

وقد قال الامام الشاذلي رحمه الله : سمعت الحديث الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : انه ليغان على قلبى فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة ، فأشكل علي معناه ، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول لي : يا مبارك ذاك غين الانوار لا غين الاغيار .

Marfat.com

ووضعنا عنك وزرك

وأما قوله تعالى : « ووضعنا عنك وزرك الذى أنقض ظهرك » فقيل : معناه انه حفظ قبل نبوته منها وعصم ، ولولا ذلك لاثقلت ظهره .

وقيل : المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها .

وقيل : ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك .

وقيل : معناه خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استخففت وحفظ عليك .

وقيل : حططنا عنك ثقل الجاهلية .

ومعنى « أنقض ظهرك » أي كاد ينقضه ، أو يكون الوضع عصمة الله وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره أو يكون من ثقل الرسالة ، أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية ، واعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه .

عفا الله عنك

وأما قوله : « عفا الله عنك لم أذنت لهم » فأمر لم يتقدم للنبى صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله تعالى معصية بل لم يعده أهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك .

والصواب : أنه صلى الله عليه وسلم كان له ان يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي ، فكيف

Marfat.com

وقد قال الله تعالى : « فأذن لمن شئت منهم » فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لقعدوا وأنه لا حرج عليه فيما فعل وليس « عفا » هنا بمعنى غفر ، بل قال النبى صلى الله عليه وسلم « عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق » ولم تجب عليهم قط أي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيرى ، قال : وانما يقول « العفو » لا يكون الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال : ومعنى « عفا الله عنك » لم يلزمك ذنب . قال الداودى : « روى أنها كانت تكرمة » . قال مكي : « هو استفتاح كلام مثل ــ أصلحك الله ، وأعزك » .

وحكى السمرقندى : ان معناه ــ عافاك الله .

عبس وتــولى

وأما قوله : « عبس وتولى ... » الآيات ، فليس فيه اثبات ذنب لــه صلى الله عليه وسلم ، بل اعلام الله لنا ان ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى ، فالخطاب لنا .

وأن الصواب والاولى كان ــ لو كشف لك حال الرجلين ــ الاقبال على الاعمى .

وفعل النبى صلى الله عليه وسلم لما فعل ، وتصديه لذاك الكافر ، كان طاعة لله ، وتبليغا عنه ، واستئلافا له ، كما شرعه الله له ، لا معصية ومخالفة له .

Marfat.com

ومما قصه الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين ــ وتوهين امر الكافر عنده ، والاشارة الى الاعراض عنه بقوله : « وما عليك الا يزكى » .

قلت ويحتمل أنه عتاب من الحق سبحانه على ما فعله صلى الله عليه وسلم مما ظهر له صلاحه وترجح عنده نجاحه . وكان الواقع الذى قدر الله جل وعلا بخلاف ذلك . والعتاب لا يقتضي ولا يلزم منه ان يكون بعد ذنب أو مخالفة كما هو الجارى بين الناس في معاملتهم فقد يعاتب الاخ أخاه والحبيب حبيبه على ترك الاولى بل على ترك الاكمل . وقد يعاتب الوالد ولده على التقصير وفعل المذموم. فالعتاب أوسع من أن يكون في جهة واحدة.

وقيل أراد « بعبس وتولى » الكافر الذى كان مع النبى صلى الله عليه وسلم قاله أبو تمام .

لقد خشيت على نفسي

ومن ذلك ما ورد في حديث السيرة ومبدأ الوحي من قوله صلى الله عليه وسلم لخديجة : « لقد خشيت على نفسي » ليس معناه الشك فيما آتاه الله بعد رؤية الملك . ولكن لعله خشى أن لا تحتمل قوته مقاومة الملك وأعباء الوحي فينخلع قلبه أو تزهق نفسه .

هذا على ما ورد في الصحيح أنه قاله الملك أو يكون ذلك قبل لقائه ، واعلام الله تعالى له بالنبوة لاول ما عرضت عليه من العجائب ، وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير .

Marfat.com

كما روى في بعض طرق هذا الحديث ، ان ذلك كان أولا في المنـــام ، ثم أرى في اليقظة مثل ذلك تأنيسا له عليه السلام ، لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة ، فلا يحمله لاول حالة بنية البشرية •

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها : أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت : ثم حبب اليه الخلاء ، وقالت : الى أن جاءه الحق وهو في غار حراء •

وعن ابن عباس رضي الله عنهما : مكث النبى صلى الله عليه وسـلم بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين . ولا يرى شيئا . وثمانى سنين يوحى اليه •

وقد روى ابن اسحاق عن بعضهم : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : وذكر جواره بغار حراء ــ قال : فجاءنى وأنا نائم فقال اقرأ : فقلت ما أقرأ •• وذكر نحو حديث عائشة في غطه له واقرائه له « اقرأ باسم ربك » السورة . قال : فانصرف عنى ، وهببت من نومى كأنما صورت في قلبى . ولم يـكن أبغض الي من شاعر أو مجنون . قلت : لاتحدث عنى قريش بهذا ابـدا . لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلاقتلنها . فبينا أنا عامـد لذلك اذ سمعت مناديا ينادى من السماء : يا محمد •• أنت رسول الله وأنا جبريل ، فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل . وذكر الحديث •

فقد بين في هذا أن قوله لما قال . وقصده لما قصد انما كان قبل لقـاء جبريل عليهما السلام ، وقبل اعلام الله تعالى له بالنبوة •

Marfat.com

انه ليغان على قلبى

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : انه ليغان على قلبى فأستغفر الله كل يوم مائة مرة ــ وفي طريق ــ في اليوم أكثر من سبعين مرة .

قال القاضي عياض : فاحذر أن يقع ببالك أن يكون هذا الغين وسوسة أو ريبا وقع في قلبه صلى الله عليه وسلم . بل أصل الغين في هذا ما يتغشى القلب ويغطيه . قاله أبو عبيد : وأصله من غين السماء ، وهو اطباق الغيم عليهـا .

وقال غيره : والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذى يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس .

والمراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه ، وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان صلى الله عليه وسلم دفع اليه من مقاساة البشر وسياسة الامة ، ومعاناة الاهل ، ومقاومة الولي والعدو ومصلحة النفس وما كلفه من أعباء أداء الرسالة وحمل الامانة ، وهو في كل هـذا في طاعة ربه . وعبادة خالقه .. ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم أرفع الخلق عند الله مكانة وأعلاهم درجة وأتمهم به معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته ، ومقامه هناك أرفع حاليه ، رأى صلى الله عليه وسلم حال فترته عنها وشغله بسواها غضاً من على حاله ، وخفضا من رفيع مقامه ، فاستغفر الله من ذلك ، هذا أولى وجوه الحديث وأشهرها .

والى معنى ما أشرنا به مال كثير من الناس ، وحام حوله وهو مبنى على جواز الفترات والفضلات والسهو في غير طريق البلاغ .

Marfat.com

وذهب طائفة من أرباب القلوب ومشيخة المتصوفة ممن قال بتنزيه النبى صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة وأجله أن يجوز عليه في حال سهو أو فترة الى أن معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من أمر أمته صلى الله عليه وسلم لاهتمامه بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم •

قالوا : وقد يكون الغين هنا على قلبه السكينة تغشاه لقوله تعالى : « فأنزل الله سكينته عليه » ويكون استغفاره صلى الله عليه وسلم عندها اظهارا للعبودية والافتقار •

قال ابن عطاء : استغفاره وفعله هذا ، تعريف للامة يحملهم على الاستغفار ، قال غيره : ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن •

وقد يحتمل أن تكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه ، فيستغفر حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة « أفلا أكون عبدا شكورا » •

وقد تقدم كلام الامام أبى الحسن الشاذلى في هذا الحديث ، وانه رأى النبى صلى الله عليه وسلم في النوم ، وقال له : هو غين أنوار لا غين أغيار •

Marfat.com

سهوه صلى الله عليه وسلم وانه لا ينافي كماله صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك حديث السهو : وهو أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى صلاة العصر فسلم في ركعتين . فقام ذو اليدين فقال : يا رسول الله أقصرت الصلاة أم نسيت ؟ فقال رسول الله صلى الله لعيه وسلم : كل ذلك لم يكن.

وفي الرواية الاخرى : « ما قصرت الصلاة وما نسيت » الحديث بقصته . فظاهر هذا الحديث يفيد أنه صلى الله عليه وسلم نفى الحالتين . وأنه لم يحصل قصر ولا نسيان ؛ مع انه قد حصل أحد ذلك . كما قال ذو اليدين « قد كان بعض ذلك يا رسول الله » .

وقد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة كثيرة . منها : ان النبى صلى الله عليه وسلم أخبر عن اعتقاده وضميره ؛ أما انكار القصر فحق وصدق باطنا وظاهرا . وأما النسيان فأخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده ؛ وأنه لم ينس في ظنه فكأنه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به ؛ وهذا صدق ايضا .

والذى يظهر لي أن قوله صلى الله عليه وسلم : « لم أنس » انما هو انكار للفظ فقط ؛ وأراد صلى الله عليه وسلم أن يشير الى أنه نسي (بضم النون وتشديد السين) ولم ينس

Marfat.com

وشبيه بهذا انكاره صلى الله عليه وسلم على من يقول : نسيت آية كذا وكذا بقوله في الحديث بئسما لاحدكم ان يقول نسيت « بفتح النون وكسر السين المخففة » ولكنه نسى « بضم النون وتشديد السين المكسورة » •• فلما قال له السائل : أقصرت الصلاة أم نسيت ، أنكر قصرها كما كان وأنكر نسيانه هو من قبل نفسه ، وأنه ان كان جرى شيء من ذلك فقد نسي حتى سأل غيره ، فتحقق أنه نسي وأجرى عليه ذلك ليسن •

فقوله على هذا (لم أنس) (ولم أقصر) (وكل ذلك لم يكن) صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ، ولكنه نسي •

ويؤيد هذا ما جاء في الحديث : « انى لانسى أو أنسى لاسن » رواه مالك في الموطأ •

وفي رواية : انى لا أنسى ولكن أنسى •

وهذا لا يعارضه حديث : « انما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون » رواه الشيخان ، لان هذا الحديث فيه اثبات النسيان ، والحديث الذى قبله : فيه نفي لفظ النسيان وكراهة لقبه ، وليس فيه نفى حكم النسيان بالجملة فلا تعارض •

هذا ما يتعلق بقوله صلى الله عليه وسلم : « ما قصرت ولا نسيت » وبقى بعد ذلك قضية نسبة النسيان اليه وحكمه •

Marfat.com

الاحاديث المذكور فيها السهو منه

اعلم أن الاحـاديث الصحيحة المذكور فيها السهو من النبى صلى الله عليه وسـلم ثلاثـة .

أولها : حديث ذو اليدين في السلام من اثنين .

الثانى : حديث ابن بحينة في القيام من اثنتين.

الثالث : حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبى صلى الله عليـه وسلم صلى الظهر خمسا ، وهذا هو الثابت في الصحيح .

وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل ، وحكمة الله فيه ليستن به . اذ البلاغ بالفعل أجلى منه بالقول ، وأرفع للاحتمال . وشرطه أنـه لا يقر على السهو ، بل يشعر به ليرتفع الالتباس . وتظهر فائدة الحكمة .

وان النسيان والسهو في الفعل في حقه صلى الله عليه وسلم غير مضاد للمعجزة ولا قادح في التصديق .

وهذا بناء على التفريق بين الافعال البلاغية ، وبين الاقوال البلاغية ، فالسهو والنسيان قد يقع في الافعا لوالاحكام منه صلى الله عليه وسـلم ، وهو جائز عليه ، كما ثبت من أحاديث السهو في الصلاة .

أما الاقوال البلاغية فلا يجوز وقوع النسيان والسهو فيها لقيام المعجزة على الصدق في القول ، والنسيان يناقض ذلك ، أما السيان في الافعال فغير

Marfat.com

ناقض لها ولا قادح في النبوة ، بل غلطات الفعل من سمات البشر ، كما قال صلى الله عليه وسلم :« انما أنا بشر أنسى كما تنسون ، فاذا نسيت فذكرونى » وحالة النسيان والسهو هنا في حقه صلى الله عليه وسلم سبب افادة علم ، وتقرير شرع ، كما قال صلى الله عليه وسلم « انى لانسى أو أنسى لاسن » بل قد روى : « لست أنسى ولكن أنسى لاسن » .

وهذه الحالة زيادة له في التبليغ ، وتمام عليه في النعمة بعيدة عن سمات النقص ، واغراض الطعن .

أما ما ليس طريقه البلاغ ، ولا بيان الاحكام من أفعاله صلى الله عليه وسلم ، وما يختص به من أمور دينية ، وأذكار قلبية ، مما لم يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط عليه فيها . وذلك بما كلفه من مقاساة الخلق ، وسياسات الامة ، ومعاناة الاهل . وملاحظة الاعداء ولكن ليس على سبيل التكرار ولا الاتصال ، بل على سبيل الندور وذهبت طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في حقه صلى الله عليه وسلم جملة ، وهو مذهب جماعة من العارفين من أهل القلوب والمقامات ، رضي الله عنهم .

موقفه في أسرى بدر

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقر عليه ، قصة أسرى بدر .

وهى : كما في المسند عن أنس رضي الله عنه أنه قال : استشار النبى

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم الناس في الاسرى يوم بدر فقال : ان الله تعالى قد أمكنكم منهم .. فقام عمر بن الخطاب فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم . ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا أيها الناس ان الله قد أمكنكم منهم ، وانما هم اخوانكم بالامس . فقام عمر فقال : يا رسول الله اضرب أعناقهم . فأعرض عنه النبى صلى الله عليه وسلم . فقال للناس مثل ذلك . فقام أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال : يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وان تقبل منهم الفداء . قال : فذهب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من الغم . فعفا عنهم وقبل منهم الفداء .

قال : وأنزل الله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » . ومن تأمل ما جاء في روايات هذه القصة يظهر له جليا انه صلى الله عليه وسلم كان مصيبا فيما فعله . وذلك من وجوه متعددة .

الوجه الاول : أن النبى صلى الله عليه وسلم عمل بذلك بمقتضى المشاورة التى أمره الله تعالى بها في قوله : « وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله » .

الوجه الثانى : انه صلى الله عليه وسلم جنح الى رأي من قال بالفداء وهويه ــ أي أحبه ــ لما فيه من الرحمة والعطف واللين ، بمقتضى المقام الذى أقامه تعالى فيه ، وهو قوله تعالى : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » .

الوجه الثالث : ان فعله صلى الله عليه وسلم كان موافقا ، لما سبق في الكتاب الاول الذى قضى الله تعالى فيه حل الغنائم له صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

خاصة ، ولم تحل لاحد قبله ، كما قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق » يعنى في أم الكتاب الاول ، ان المغانم والاسارى حلال لكم .. لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم .

الوجه الرابع : وكما أن قبوله صلى الله عليه وسلم الفداء ، وافق قضاء الله تعالى السابق في الكتاب الاول ، فانه وافق أيضا الشرع اللاحق النازل في الكتاب الحكيم ، وهو قوله تعالى ، « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » الآية ، فكيف يقال في أمر وافق الكتاب الاول ووافق الشرع النازل بعد ، كيف يقال : انه خطأ .

الوجه الخامس : أن نزول التشريع باحلال الغنائم ، وهو قوله تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » هو اقرار لما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتصويب لما رآه ، اذ لو كان فعله خطأ كيف يقره الله تعالى عليه ويجعله شرعا باقيا ؟ حتى على قول من جوز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقره الله عليه ، لا يقال : انه صلى الله عليه وسلم اخطأ في قضية أسرى بدر لان الله تعالى أقره على ذلك فمن أين يأتى الخطأ .

قال الحافظ ابن كثير في تفسيره : وقد استمر الحكم في الاسرى عند جمهور العلماء ان الامام مخير فيهم ، ان شاء قتل ، كما فعل ببنى قريظة وان شاء فادى بمال ، كما فعل بأسرى بدر ، أو فادى بمن أسر من المسلمين ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبى سلمة بن الاكوع ، حيث ردهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وان شاء استرق من أسر ، هذا مذهب الامام الشافعى

Marfat.com

وطائفة من العلماء . وفي المسألة خلاف بين الائمة مقرر في موضعه من كتب الفقه . اهـ كلام ابن كثير .

الوجه السادس : لو كان موقفه صلى الله عليه وسلم مع أسرى بدر خطأ لامره الله تعالى أن يرد الفداء . وان يستغفر الله تعالى من الخطأ الذى وقع فيه . مع أنه سبحانه وتعالى أقره على ذلك وشرع له ذلك فقال « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » الآية . فلو كان خطأ لما أقره الله تعالى عليه . ولما شرع له ذلك .

الوجه السابع : كيف يحكم بأنه صلى الله عليه وسلم أخطأ في اسرى بدر مع أنه صلى الله عليه وسلم أمر أن يخير اصحابه في ذلك . ثم عمل بمقتضى ذلك فقد روى الترمذى والنسائى وابن حبان والحاكم باسناد صحيح عن علي كرم الله وجهه قال : جاء جبريل عليه السلام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر . فقال له : خير أصحابك في الاسارى ان شاؤا القتل وان شاؤا الفداء على ان يقتل منهم ــ أي الصحابة ــ في العام المقبل مثلهم . فقالوا : نختار الفداء ، ويقتل منا أي يقتل منهم سبعون رغبة في الشهادة في سبيل الله تعالى .

وعند ابن سعد من مرسل قتادة ، فقالوا : بل نفاديهم فنقوى بهم عليهم ويدخل العام القابل منا الجنة سبعون ففادوهم .

قال الحافظ القسطلانى: وهذا دليل على أنهم لم يفعلوا الا ما أذن لهم فيه.

أما قوله تعالى : ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض

Marfat.com

تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة .. الآية ليس فيها معاتبة للنبى صلى الله عليه وسلم أصلا ، وانما فيها العتاب لمن أشار على النبى صلى الله عليه وسلم بالفداء بغية عرض الدنيا وهو المال المفدى به حين استشار عامة الناس قبل أن يستشير خاصتهم : أبابكر وعمر وعليا رضي الله عنهم كما تقدم .

فأراد بقوله سبحانه وتعالى : « تريدون عرض الدنيا » أولئك النفر الذين أرادوا المال .

أما سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقصد بقبول الفداء عرض الدنيا ، وحاشاه من ذلك ، فان الدنيا كلها ما لها قيمة عنده وقد قال صلى الله عليه وسلم : مالي وللدنيا ، ما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها ، وقد عرضت عليه جبال تهامة أن تكون له ذهبا فأبى . فأين هو من عرض الدنيا .

كما أن قوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم . فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » فان هذا اعلان منه سبحانه وتعالى بنعمته ومنته على هذه الامة بفضل نبيها صلى الله عليه وسلم واعلام بأنه سبق منه القضاء في الكتاب الاسبق . بحل الغنائم لهذه الامة دون غيرها فضلا منه ونعمة بفضل نبيها وكرامته على الله تعالى .

ومن ثم كان صلى الله عليه وسلم يشيد بهذه النعمة في جملة من المناقب التى خصه الله تعالى بها فيقول : أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : كان كل نبى يبعث الى قومه خاصة . وبعثت الى الاحمر والاسود . وأحلت لي الغنائم ولم تكن تحل لاحد قبلى

Marfat.com

توضيح أشـــكاله

أما ما جاء في الحديث من قول عمر رضي الله عنه : فلما كان من الغد جئت . فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبوبكر قاعدين يبكيان قلت : يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك فان وجدت بـــكاء بكيت وان لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكي للذى عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء . لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة « شجرة قريبة من نبي الله صلى الله عليـــه وسلم » وأنزل الله عز وجل « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخـــن في الارض ــ الى قوله ــ فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » فأحل الله الغنيمة لهـــم .

أقول : الصواب ان هذا الذى عرض عليه صلى الله عليه وسلم من عذابهم كان قبل نزول الآيات المقررة « بكسر الراء الاولى المشددة » .

تصحيح عمله وتأييد موقفه وتثبيته فيما انشرح اليه صدره من رأي أبى بكر رضي الله عنه ، وفائدة هذا العرض زيادة المنة من الله تعالى بتعظيم النعمة عليهم فيما أباحه لهم مما كان محرما على من قبلهم ، وذلك ببيان مـــا يستحق هؤلاء الاسرى من الجزاء والعقاب لو جرى الامر على ما كان مما هو مشروع من قبل ، فعذابهم هذا الذى رآه صلى الله عليه وسلم هو الـــذى

Marfat.com

يستحقونه لو لم يكن ما شرعه الله مما هدى اليه رسوله الصادق الامين من قبوله الفداء وأخذ الغنائم ، ثم بعد اظهار ذلك لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم بكى ، لانه ظن أن هذا هو حكم الله فيهم وظن انه اخطأ فيما جنح اليه ورآه ، ثم أعلمه الله جل شأنه بصحة ذلك وانه هو الحق بما آنزل عليه من الآيات البينات التى صوبت(١) عمله وأيدت قوله وفعله وجعلت ما ذهب اليه شريعة متبعة وسمة قائمة ونظاما من أصول الانظمة الحربية في شأن الاسرى الى قيام الساعة .

وأما قوله تعالى : (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض) الآية ، فالصواب ان الآية هذه اخبار من الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم عن حكم هذه القضية في الشرائع السابقة . وهى تقول له : يا محمد ما كان لنبي مسن سبقك من الانبياء أن يكون له أسرى حتى يكثر(٢) القتل والقهر في العدو . هذا حكم من سبق . أما أنت فقد ابحنا ذلك وأحللناه لك مزية ومنقبة وخصوصية تتميز بها عنهم .

فالآية اشتملت على تقرير تمام النعمة على محمد صلى الله عليه وسلم ببيان ما فضله به مولاه واختصه به الله مما كان محرما على من سبقه . فتدبر ، وليس فيها عتاب او خصام فالحمد لله على ذلك هذا ما عندى ونسأله سبحانه وتعالى ان يرزقنا الفهم في كتابه العزيز .

---

(١) بتشديد الواو .
(٢) يكثر بضم الياء واسكان الكاف .

Marfat.com

موقفه صلى الله عليه وسلم في قضية تابير النخل

ومما يستدل به من يقول بجواز الخطأ عليه صلى الله عليه وسلم دون أن يقر عليه . قضية تأبير النخل . وهى :

أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بقوم يلقحون النخل فقال : لو لم تفعلوا لصلح . قال : فخرج شيصا فمر بهم صلى الله عليه وسلم فقال : ما لنخلكم ؟ قالوا : « قلت كذا وكذا قال : أنتم أعلم بأمر دنياكم »(١) فمن هذا الحديث فهم بعض الناس ان النبى صلى الله عليه وسلم قد يخطىءفي أمور الدنيا وراح يقول : أخطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم في كذا وأخطأ في كذا .

ولكن الحق أحق ان يتبع ، وذلك أن أقواله صلى الله عليه وسلم وأفعاله يفسر بعضها بعضا ، ويشبه بعضها بعضا ، وان الله تعالى حفظه عن الخطأ كما حفظه من الخطيئة ، فنقول وبالله التوفيق .

أولا : انه صلى الله عليه وسلم قد نشأ في تلك الاراضي المباركة التى هى منابت النخيل وتربى بين قوم يعلمون فنون زرع النخيل ، وما يتطلبه من عنايات ولقاحات ، وكيف يتصور في حقه صلى الله عليه وسلم ان تخفى عليه تلك العادة المطردة في انتاج النخيل ولزوم التلقيح له بموجب الاصول

---

(١) رواه مسلم في الصحيح .

Marfat.com

الزراعية ؟ في حين أن ذلك ليس من خفايا معلومات الزراعة لشجر النخيل ولا من غوامضها ، اذا لا بد وأنه يعلم ذلك كما يعلمون ، ولكن أراد ان يظهر لهم أمرا لا يستطيعون نيله بأنفسهم •

ثانيا : ان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى نال من العلوم ما نال ، وأفاض الله تعالى عليه ما أفاض ، حتى انه ذكر الصحابة وبحث لهم في كل شيء ، كما روى الطبرانى عن أبى ذر رضي الله عنه قال : تركنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وما طائر يقلب جناحيه في الهواء الا وهو ذكر لنا منه علما •• فكيف يتصور انه يخفى عليه صلى الله عليه وسلم أن النخيل لا يحتاج الى تلقيح بمقتضى العادة في علم الزراعة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أمرا آخر •

ثالثا : ان الذى يدلنا على ذلك الامر الذى أراده صلى الله عليه وسلم هو النظر في أشباه هذه الواقعة الصادرة منه صلى الله عليه وسلم ومن ذلك حديث : « ناولنى الذراع » •

ففى المسند عن أبى رافع القبطى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاة مصلية . فأتى بها . فقال : « يا أبا رافع ناولنى الذراع » فناولته ثم قال : « ناولنى الذراع » فناولته ثم قال : « ناولنى الذراع » فقلت : يا رسول الله هل للشاة الا ذراعان • فقال صلى الله عليه وسلم : « لو سكت لناولتنى منها ذراعا ما دعوت به » قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الذراع •

Marfat.com

قال في مجمع الزوائد : رواه أحمد والطبراني من طرق . وقال في بعضها : « أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أصلي له شاة فصليتها » ورواه في الاوسط باختصار . وأحد اسنادي أحمد حسن اهـ .

وعن أبي عبيد أنه طبخ لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدرا فيها لحم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ناولني ذراعها » فناولته . فقال : « ناولني ذراعها » فناولته . فقال : « ناولني ذراعها » فقلت : يا نبي الله كم للشاة من ذراع ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو سكت لاعطيت ذراعا ما دعوت به » وهذه القصة غير التي تقدمت كما نبه عليه الحافظ الزرقاني وغيره .

وفي مجمع الزوائد عن ابن اسحاق قال : حدثني رجل من بني غفار في مجلس سالم بن عبدالله قال : حدثني فلان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بطعام : خبز ولحم . فقال : « ناولني الذراع » فنوول ذراعا فأكله ؛ ثم قال : « ناولني الذراع » فنوول ذراعا فأكله . ثم قال : « ناولني الذراع » فقال : يا رسول الله انما هما ذراعان ؛ فقال : « وأبيك لو سكت ما زلت أناول منها ذراعا ما دعوت به » قال : ورواه أحمد وفيه راو لم يسم .

فقوله صلى الله عليه وسلم : « ناولني الذراع » في المرة الثالثة ــ مع العلم أن الشاة لها ذراعان انما أراد أن يظهر أمرا معجزا فيه الاكرام ، وفيه البرهان وفيه الاشهاد بالعيان ولكن لما لم يجد محلا قابلا لم تظهر تلك المعجزة ولذلك قال الحافظ الزرقاني عند قوله صلى الله عليه وسلم : « أما انك لو

Marfat.com

سكت لناولتني ذراعا فذراعا ما سكت » أي مدة سكوتك ، لانه سبحانه يخلق ذراعا فذراعا معجزة له صلى الله عليه وسلم فحملت المناول عجلته المركبة في الانسان على قوله : انما للشاة ذراعان فانقطع المدد ، لانه انما كان من مدد الكريم سبحانه ، اكراما لخلاصة خلقه صلى الله عليه وسلم . فلو تلقاه المناول بالادب ساكتا مصغيا الى ذلك العجب لكان شكرا منه مقتضيا لتشريفه باجراء هذا المدد على يديه ، ولكنه تلقاه بصورة الانكار فرجع الكرم موليا ، لما لم يجد قابلا ، اذ لا تليق مشاهده هذه المعجزة العظيمة ــ التي في شهودها نوع تشريف للمطلع عليها ــ الا لمن كمل تسليمه ولم يبق فيه أدنى حظ ولا ارادة اهـ .

وهكذا في حادثة تأبير النخل ، لما مر صلى الله عليه وسلم بقوم يؤبرون النخل ، أراد أن يكرمهم ويتحفهم وأن يظهر لهم معجزة خارقة للعادة المطردة في اصلاح النخيل بالتأبير ، فيكرمهم خاصة بصلاحه دون تأبير . اذ هو صلى الله عليه وسلم ممن يعلم بموجب العادة حاجة النخيل الى تأبير كما يعلمون . لانه صلى الله عليه وسلم بينهم مطلع على أمورهم .

ولكن لما لم تقبل قلوب بعض أولئك النفر . ولم تستسلم كل الاستسلام الى قوله صلى الله عليه وسلم « لو لم تفعلوا ــ أي التأبير ــ لصلح » بل وقفوا عند معلوماتهم الدنيوية المطردة من فن زراعة النخيل . وأن صلاحه موقوف على التأبير . فلم يلق الكرم محلا قابلا فرجع .

ولذلك ردهم صلى الله عليه وسلم بعد ذلك الى الاسباب ــ المعتادة

Marfat.com

لديهم . المعلومة عندهم التى وقفوا عندها ولم يجاوزوها فقال لهم : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » أي : فارجعوا الى العمل بموجب علمكم بأمور دنياكم .

ويشهد لصحة ما قلناه . وصواب ما فهمناه من أنه صلى الله عليه وسلم لم يخطىء في ذلك ـ قول الشيخ العارف بالله تعالى . صاحب الابريز نفعنا الله تعالى بمعارفه . حين سئل عن حديث تأبير النخل ؟ فقال رضي الله عنه : قوله صلى الله عليه وسلم : « لو لم تفعلوا لصلحت » كلام حق وقول صدق وقد خرج منه هذا الكلام على ما عنده من الجزم واليقين بأنه تعالى هو الفاعل بالاطلاق . وذلك الجزم مبني على مشاهدة سريان فعله تعالى في سائر الممكنات . مباشرة بلا واسطة ولا سبب . بحيث انه لا تسكن ذرة ولا تتحرك شعرة . ولا يخفق قلب . ولا يضرب عرق . ولا تطرف عين . ولا يومىء حاجب الا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبى صلى الله عليه وسلم كما يشاهد غيره من سائر المحسوسات ولا يغيب ذلك عن نظره لا الا وهو تعالى فاعله مباشرة من غير واسطة وهذا أمر يشاهده النبى صلى الله عليه وسلم كما يشاهد غيره سائر المحسوسات ولا يغيب ذلك عن نظره لا في اليقظة ولا في المنام . لانه صلى الله عليه وسلم لا ينام قلبه الذى فيه هذه المشاهدة . ولا شك أن صاحب هذه المشاهدة تطيح الاسباب من نظره ، ويترقى عن الايمان بالغيب الى الشهود والعيان ، فعنده من قوله تعالى « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة دائمة لا تغيب ويقين يناسب هذه المشاهدة ، وهو أن يجزم بمعنى الآية جزما لا يخطر معه بالبال نسبة الفعل الى غيره تعالى ، ولو كان هذا الخاطر قدر رأس النملة .

Marfat.com

قا لولا شك أن هذا الجزم الذى يكون على هذه الصفة تخرق بـه العوائد ، وتنفعل به الاشياء ، وهو سر الله تعالى الذى لا يبقى معه سبب ولا واسطة .

فصاحب هذا المقام اذا أشار الى سقوط الاسباب ، ونسبة الفعل الى رب الارباب كان قوله حقا ، وكلامه صدقا .

قال : وأما صاحب الايمان بالغيب فليس عنده في قوله تعالى : « والله خلقكم وما تعملون » مشاهدة ، بل انما يشاهد نسبة الافعال الى من ظهرت على يده ، ولا يجذبه الى معنى الآية ونسبة الفعل اليه تعالى الا الايمان الذى وهبه الله تعالى ، فعنده جاذبان : أحدهما من ربه وهو الايمان الذى يجذبه الى الحق ، وثانيهما : من طبعه وهو مشاهدة الفعل من الغير الذى يجذبـه الى الباطل .

فهو بين هذين الامرين دائما ، لكن تارة يقوى الجاذب الايمانى فتجده يستحضر معنى الآية السابقة ساعة وساعتين ، وتارة يقوى الجاذب الطبيعى فتجده يغفل عن معناها اليوم واليومين وفي أوقات الغفلة ينتفى اليقين الخارق للعادة .

فلهذا لم يقع ما أشار اليه النبى صلى الله عليه وسلم لان أولئك النفر من الصحابة رضي الله عنهم فاتهم اليقين الخارق وقتئذ ، الذى اشتمل عليه باطنه صلى الله عليه وسلم ، وبحسبه خرج كلامه الحق ، وقوله الصدق صلى الله عليه وسلم .

Marfat.com

ولما علم صلى الله عليه وسلم العلة في عدم وقوع ما ذكره لهم ، وعلم أن زوال تلك العلة ليس من طوقهم رضي الله عنهم وقتئذ أبقاهم على حالتهم وقال : « أنتم أعلم بأمور دنياكم » اهـ كلام الابريز(١) •

وعلى كل حال فانه لا يقال : أخطأ صلى الله عليه وسلم في قصة تأبير النخل . كما لا يقال : انه صلى الله عليه وسلم أخطأ في قوله لابى عبيد « ناولنى الذراع » في المرة الثالثة . فان ذلك ليس من باب الخطأ بل من باب الصواب . وارادة الاكرام والاتحاف لاولئك النفر بأمر فيه اليمن والبركة على وجه خارق للعادة . ولكن تخلف ذلك لوجود المانع والعارض •

ونظير هذا : انقطاع مدد الاكرام والبركة من ظرف السمن الذى بارك فيه النبى صلى الله عليه وسلم لما عصرته أم مالك كما جاء في صحيح مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه : أن أم مالك الانصارية كانت تهدى النبى صلى الله عليه وسلم من عكة لها سمنا فيأتيها بنوها فيسألونها الادم ــ وفي رواية ــ فيسألون السمن وليس عندهم شيء ، فتعمد ــ أي تقصد ــ الى الظرف الذى كانت تهدى فيه ، فتجد فيه سمنا فما زال يقيم لها أدم بيتها حتى عصرته ــ أي عصرت الظرف فنفذ السمن ــ فأتت النبى صلى الله عليه وسلم ــ أي ذكرت له ذلك ــ فقال : عصرتيها ؟ قالت : نعم ، فقال : لو تركتيها ما زال ــ أي السمن ــ قائما •

---

١) انظر الابريز لسيدى عبدالعزيز الدباغ والشمائل لشيخنا الشيخ عبدالله سراج الدين .

Marfat.com

وروى مسلم عن جابر رضي الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبى صلى الله عليه وسلم يستطعمه ، فأطعمه شطر وسق من شعير ، فما زال يأكل منه وامرأته وضيفهما ــ أي اضيافهما الذين ينزلون عندهما ــ حتى كاله ــ أي فنقص ــ فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فأخبره ، فقال له : لو لم تكله لاكلتم منه أي دائما حتى يكفيكم ــ وأقام لكم ــ أي مدة الحياة من غير نقص ، فالكيل العارض منع المدد الفائض .

وقد بين الامام النووى حكمة ذلك كله حيث قال : قال العلماء : الحكمة في ذلك أن عصرها وكيله مضادة للتسليم والتوكل على رزق الله تعالى . ويتضمن التدبير والاخذ بالحول والقوة ، وتكلف الاحاطة بأسرار حكم الله تعالى وفضله ، فعوقب فاعله بزواله اهـ .

قال الحافظ الزرقانى : ولا يعارض هذا قوله صلى الله عليه وسلم « كيلوا طعامكم يبارك لكم فيه » لانه فيمن يخشى الخيانة ، أو كيلوا ما تخرجونه للنفقة لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل . أو كيلوا عند الشراء أو عند ادخاله المنزل اهـ .

Marfat.com

سحره صلى الله عليه وسلم لا ينافي كماله

ومن ذلك ما جاء في الاخبار الصحيحة أنه صلى الله عليه وسلم سحر . فعن عائشة رضي الله عنها قالت : « سحر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أنه ليخيل اليه أنه فعل الشي وما فعله » . وفي رواية اخرى : حتى كان يخيل اليه أنه كان يأتي النساء ولا يأتيهن . الحديث .

وقد اختلف الناس في هذا الحديث اختلافا كبيرا فمنهم من رده وطعن فيه . ومنهم من التبس عليه الامر فقدح في العصمة النبوية .

والحق أن حديث سحره صلى الله عليه وسلم صحيح متفق عليه وهو لا يقدح في عصمته صلى الله عليه وسلم .

وقد نزه الله الشرع والنبي عما يدخل في أمره لبسا ؛ وانما السحر مرض من الامراض وعارض من العلل يجوز عليه كأنواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح في نبوته .

وأما ما ورد من أنه كان يخيل اليه أنه فعل الشيء ولا يفعله فليس في هذا ما يدخل عليه داخلة في شيء من تبليغه أو شريعته أو يقدح في صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا . وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في أمر دنياه التى لم يبعث بسببها ؛ ولا فضل من أجلها وهو فيها عرضة

Marfat.com

للآفات كسائر البشر ، فغير بعيد أن يخيل اليه من أمورها ما لا حقيقة له ثم ينجلى عنه كما كان .

وأقرب دليل عندى في تأكيد حفظ قلبه وعقله من السحر هو انضباط أقواله في تلك الفترة وجريانها على نسقها الطبيعى بلا اختلال ولا تناقض ولا اضطراب ولا فساد بل على الكمال والتمام والانسجام التام ، مع وجود أعدائه وترقبهم لاحواله ، وحرصهم على حفظ أدنى كلمة او حرف يستنقصون به حاله ، ويشفون به غيظهم ولو ظفروا بمثل ذلك لنفخوا فيها وطاروا بها ولكنه لم يثبت شيء من هذا وحفظ الله نبيه صلى الله عليه وسلم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال .

بل الامر عندى على العكس ، وهو أن سحره صلى الله عليه وسلم وتأثر بعض ظاهره بذلك وسلامة قلبه وعقله واعتقاده وأقواله . أكبر دليل على كمال عصمة الله له ، وان نبوته محفوظة لا تتأثر بالعوارض البشرية مهما بلغت قوتها وأنه بالرغم من تأثر بشريته بذلك الا أن نبوته محفوظة مع ان النفس التى تحمل البشرية والنبوة واحدة وهى نفس محمد صلى الله عليه وسلم .

ومثال هذا مثال سارق دخل الى دار مملوءة بالدرر والجواهر وأنفس الذخائر ، فاستطاع بحيلته أن يدخل الى الدار ، ولكنه لم يستطع ان يتناول شيئا مما فيها من الكنوز بقوة قاهرة وسطوة ظاهرة ، من غير حجاب ولا باب

Marfat.com

ولا حارس أو بواب . فخرج كما دخل خائبا خاسرا . فالسحر أثر على شيء من بشريته صلى الله عليه وسلم ولم يؤثر على قلبه أو عقله .

وفي هذا اشارة الى أنه محفوظ بحفظ خاص ، مرعي برعاية خاصة ، ليس لاحد عليه سلطان . بل هو لله الواحد الديان . عرش حقائق . ومحل دقائق ومهبط أنوار وتنزل أسرار .

Marfat.com

هل يلعن صلى الله عليه وسلم أحدا

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « اللهم إنما محمد بشر يغضب كما يغضب البشر ، وانى قد اتخذت عندك عهدا لن تخلفنيه ، فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة »

وفي رواية : « فأيما أحد دعوت عليه دعوة » .

وفي رواية : « ليس لها بأهل » .

وفي رواية « فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته فاجعلها له زكاة وصلاة » .

فقد يقول قائل : كيف يصح ان يلعن النبى صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ، ويسب من لا يستحق السب ، ويجلد من لا يستحق الجلد أو يفعل مثل ذلك عند الغضب وهو معصوم من هذا كله ؟

فاعلم شرح الله صدرك أن قوله صلى الله عليه وسلم اولا : « ليس لها بأهل » أي عندك يا رب في باطن أمره فان حكمه صلى الله عليه وسلم على الظاهر ، كما قال .

وللحكمة التى ذكرناها فحكم صلى الله عليه وسلم بجلده أو أدبه بسببه أو لعنه بما اقتضاه عنده حال ظاهره . ثم دعا له صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

لشفقته على أمته ورأفته . ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها ، وحذره أن يتقبل الله فيمن دعا عليه دعوته أن يجعل دعاءه وفعله له رحمة ، وهو معنى قوله : « ليس لها بأهل » لا أنه صلى الله عليه وسلم يحمله الغضب ويستفزه الضجر لان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم .

وهذا معنى صحيح . ولا يفهم من قوله : « أغضب كما يغضب البشر » أن الغضب حمله على ما لا يجب . بل يجوز ان يكون المراد بهذا أن الغضب له حمله على معاقبته بلعنه أو سبه وأنه مما كان يحتمل ، ويجوز عفوه عنه أو كان مما خير بين المعاقبة فيه والعفو عنه .

وقد يحمل على أنه خرج مخرج الاشفاق وتعليم أمته الخوف والحذر من تعدى حدود الله .

وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ، ومن دعواته على غير واحد في غير موضع . على غير العزم والقصد . بل بما جرت به عادة العرب في محاوراتهم يدعون على مخاطبهم بنحو (قاتله الله) (وويل أمه) (ولا أب له) لمن قصد مدحه وتحسين فعله وهو مشهور في غير لسان العرب أيضا .

وليس المراد بها الاجابة .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « تربت يمينك » رواه الشيخان .

وقوله : « لا أشبع الله بطنك » قاله صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه فيما رواه مسلم عن ابن عباس ، ولفظه : « كنت مع الصبيان فجاء

Marfat.com

رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواريت خلف الباب ، فقال : اذهب فادع لي معاوية ، قال : فجئته وقلت هو يأكل ، فقال ثانيا : اذهب فادعه فجئته وقلت هو يأكل ، فأمرني فجئته وقلت هو يأكل ، فقال صلى الله عليه وسلم : « لا أشبع الله بطنه » ، وقوله : « عقرى حلقى » وقد قاله صلى الله عليه وسلم لصفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها في حجة الوداع وهو في البخارى بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم للحج ، فلما كانت ليلة النفر حاضت صفية فقال صلى الله عليه وسلم ما أراها الا حابستكم الخ .

وعقرى : دعاء عليها من العقر وهو عرقبة الدواب . وألفه للتأنيث كسكرى . أو من العقرة ، وهو رفع الصوت . وحلقى : دعاء عليها وهو وجع في حلقها .

وقدر ورد في صفته في غير حديث : « أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن فحاشا » وقال أنس : « لم يكن سبابا ولا فاحشا ولا لعانا » وكان يقول لاحدنا عند المعتبة « ماله ترب جبينه » .

فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم أشفق صلى الله عليه وسلم من موافقة امثالها اجابة فعاهد ربه ــ كما قال في الحديث ــ ان يجعل ذلك للمقول له زكاة ورحمة وقربة .

وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه ، وتأنيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبى صلى الله عليه وسلم . وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط .

Marfat.com

وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده أو سبه على حق وبوجه صحيح أن يجعل ذلك كفارة لما أصابه وتمحية لما اجترم ؛ وأن تكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو والغفران . كما جاء في الحديث الآخر : « ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة » .

Marfat.com

الحـــاصل

والحاصل أنه ينبغى للمسلم أن لا يسارع الى القول بجواز وقــوع الذنب منه صلى الله عليه وسلم ، لمجرد رؤيته لبعض النصوص التى فيهــا الاقرار منه صلى الله عليه وسلم بالتوبة والاستغفار والرجوع الى الله تعالى والخوف منه ؛ فيقع في سوء الاعتقاد وفساد الــرأي ؛ وهــو مرض خبيث « والعياذ بالله » .

وعليه أن يعلم أن درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عباده ، وعظم سلطانه وقوة بطشه ؛ مما يحملهم على الخوف منه جل وعلا والاشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم . وانهم في تصرفهم بأمور لــم ينهوا عنها ، ولا أمروا بها ، ثم أوخذوا عليها ، وعوتبوا بسببها . وحذروا من المؤاخذة ، وأتوها على وجه التأويل أو السهو ، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون وجلون وهى ذنوب بالاضافة الى علي منصبهم ، ومعاص بالنسبة الى كمال طاعتهم .

لا أنها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب مأخوذ من الشي الدنىء الــرذل .

ومنه « ذنب كل شيء » أي أخره . وأذناب الناس أرذالهم . فكان هذه أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجرى من أحوالهم لتطهيرها وتنزيههم وعمارة بواطنهم

Marfat.com

وفواهرهم بالعمل الصالح ، والكلم الطيب ، والذكر الظاهر والخفي ؛ والخشية لله واعظامه في السر والعلانية .

وغيرهم يتلوث من الكبائر والقبائح والفواحش ما تكون بالاضافة الى هذه الهنات في حقه كالحسنات وقال بعضهم : « يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر » لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الادب .

وهم يؤاخذون بذلك في الدنيا ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ؛ ويبتلون بذلك ليكون استشعارهم له سببا لزيادة رتبتهم ، كما قال : « ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى » .

وقال لداود : « فغفرنا له ذلك .. » الآية ، وقال بعد قول موسى : « تبت اليك » « انى اصطفيتك على الناس ... » وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته : « فسخرنا له الريح » الى قوله تعالى « وحسن مآب » .

وقال بعض المتكلمين : « زلات الانبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وقرب » .

وأيضا فلينبه غيرهم من البشر منهم، أو ممن ليس من درجته بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ، ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم .

وقد وقع في نفسي فيما يتعلق بالآيات القرآنية التى تتضمن العتاب والزجر والتهديد في خطابه صلى الله عليه وسلم أو يستفاد منها ما ينافي

Marfat.com

العصمة النبوية بأن هذا كله لا يحتاج الى جواب ولا اشكال فيه ، وذلك لانه خطاب من اللــه الى الانبياء وهــو مولاهم وسيدهم يخــاطبهم بما شــاء وبالاسلوب الذى يريد فيعاتبهم ويهددهم ويخطئهم ويؤدبهم ويحذرهــم . وهذا لا يبيح لغيرهم ان يخاطبهم بمثله أو أن يستفيد منه ما يبيح له نسبة مفهومه أو مدلوله لهم فيستفيد مثلا من العتاب جواز صدور المخالفة منهم ويستفيد من قوله عفا الله عنك جواز صدور الخطأ ، بل هذه جراءة ووقاحة وتطفل من هذا الدعى لان الاب قد يضرب ابنه أو يعاتبه أو يسبه ويشتمه . ولكنه لا يرضى من غيره ان يضربه ، أو يفعل معه كما فعل محتجا بأن أبــاه فعل معه كذلك ، فهذا ما لا يرضاه الاب ، والله سبحانه وتعالى يعامل انبيائه بما يشاء ويخاطبه بما يشاء ولكنه لا يرضى ان نعاملهم نحن بما عاملهم به فلينتبه لهذه المسألة .

Marfat.com

وانك لعلى خلق عظيم

كمال أخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة

Marfat.com

كمال رحمته صلى الله عليه وسلم

رحمتــه صــلى الله عليه وسلم للعــالم

قال تعالى : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » فهو صلى الله عليــه وسلم رسول الرحمة الذى ارســله الله تعالى رحمة لجميع العالمــين رحمة للمؤمنين ورحمة للكافرين ورحمة للمنافقين ورحمة لجميع بنى الانســان الرجال والنساء والصبيان ورحمــة للطير والحيوان فهو رحمة عامة لجميع خلق الله تعالى واما الشفقة والرأفة والرحمة لجميع الخلق فقد قال تعالى فيه : « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم » قال بعضهم مــن فضله صلى الله عليه وســلم ان الله تعالى أعطاه اسمين من اسمائه فقــال بالمؤمنين رؤف رحيم •

وقد روى ان أعرابيا جاءه يطلب منه شيئا فأعطاه ثم قال آحسنت اليك قال الاعرابى لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهــم ان كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قــال آحسنت اليك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال له النبى صلى الله عليه وسلم انك قلت ما قلت وفي نفس أصحابى في ذلك شيء فان أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدى حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابى قال

Marfat.com

ما قال فزدناه فزعم أنه رضي أكذلك قال نعم فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا فقال النبى صلى الله عليه وسلم مثلى ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها الناس فلم يزيدوها الا نفورا فناداهم صاحبها خلوا بينى وبين ناقتى فانى أرفق بها منكم وأعلم فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الارض فردها حتى جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها وانى لو تركتكم حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار . رواه أحمد .

وروى عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغنى أحد منكم عن أحد من اصحابى شيئا فانى أحب ان أخرج اليكم وانا سليم الصدر . رواه ابو داود في الادب .

ومن شفقته على امته صلى الله عليه وسلم تخفيفه وتسهيله عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله عليه الصلاة والسلام لولا ان أشق على أمتى لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلاة الليل ونهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا تتعنت امته ورغبته لربه أن يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبى فيتجوز في صلاته(١) .

ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربهم وعاهده فقال ايما رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا وقربة تقربه بها اليك يوم القيامة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه الصلاة والسلام فقال له ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد أمر ملك الجبال

---

(١) وكل هذا ثابت في الصحيح .

Marfat.com

لتأمره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبا لوسلم عليه وقال مرنى بما شئت ان شئت أن اطبق عليهم الاخشبين قال النبى صلى الله عليه وسلم بل ارجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا .

وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبى صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أمر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال أؤخر عن امتى لعل الله ان يتوب عليهم فقالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين الا اختار أيسرهما قال ابن مسعود رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السآمة علينا .

وعن عائشة انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق(١) .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم العامة رحمته للمنافقين بالامان من القتل والسبى نظرا لظاهر اسلامهم في الدنيا .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم العامة رحمته للكفار برفع عذاب الاستئصال عنهم في الدنيا وذلك ان الامم السابقة كانت اذا ارسل الله تعالى فيهم رسولا فكذبوه وكفروا به جاءهم العذاب فعمهم ، كما قص الله تعالى من اخبار قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وغيرهم كيف احاط بهم العذاب وحاق بهم ما كانوا يستهزئون .

---

(١) رواه مسلم في الصحيح .

Marfat.com

واما كفار هذه الامة المحمدية فقد رفع الله عنهم العذاب العام الـذى يستأصلهم كما استأصل وعم الكفار من الامم السابقة وذلك تكرمة لهـذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم الذى ارسله الله تعالى رحمة للعالمين .

Marfat.com

رحمته صلى الله عليه وسلم بالاهل والعيال

روى مسلم في صحيحه عن عمرو بن سعيد عن أنس رضي الله عنه قال : ما رأيت أحدا كان أرحم بالعيال من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان ابراهيم مسترضعا له في عوالى المدينة فكان ينطلق ونحن معه فيدخل البيت وانه ليدخن ــ أي يعلو منه الدخان ــ وكان ظئره قينا ، فيأخذه ــ أي فيأخذ النبى صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم المسترضع ــ فيقبله ثم يرجع قال عمرو : فلما توفى ابراهيم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان ابراهيم ابنى وانه مات في الثدى ــ أي في سن رضاع الثدى ــ وان له لظئرين ــ اي مرضعتين ــ تكملان رضاعه في الجنة » أي تتمان له رضاع سنتين فانه توفى وله ستة عشر شهرا او سبعة عشر شهرا اهـ من شرح النووي وفسر القين في النهاية بانه الحداد والصائغ .

ومن رحمته بأهله صلى الله عليه وسلم : انه كان يعاونهم في الامور البيتية .

فقد جاء ان الاسود قال سألت عائشة رضي الله عنها : ما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصنع في أهله ؟ فقالت : كان في مهنة أهله فاذا حضرت الصلاة قام الى الصلاة . فما كان صلى الله عليه وسلم من جبابرة الرجال .

Marfat.com

بل كثيرا ما كان يخدم نفسه بنفسه صلى الله عليه وسلم ففى مسند أحمد وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان النبى صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه . ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم .

Marfat.com

رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان واليتيم والارملة والمريض وغيرهم

روى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « انى لادخل في الصلاة اريد اطالتها ، فأسمع بكاء الصبى فأتجوز في صلاتى مما أعلم من شدة وجد أمه » .

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان : انه كان يمسح رؤوسهم ويقبلهم كما جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت : قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين ابنى على وعنده الاقرع بن حابس التميمى فقال الاقرع : ان لى عشرة ما قبلت منهم احدا قط ! فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من لا يرحم لا يرحم » .

وفي الصحيحين عن عائشةرضي الله عنها قالت : جاء أعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انكم تقبلون الصبيان وما نقبلهم ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أملك لك أن نزع الله الرحمة من قلبك ؟! يعنى ان من كان في قلبه رحمة للصبيان حملته على ان يقبلهم . ومن نزعت الرحمة من قلبه أمسك عن تقبيلهم .

وروى الشيخان والترمذى عن البراء رضي الله عنه قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحسن على عاتقه يقول صلى الله عليه وسلم « اللهم انى أحبه فأحبه » .

Marfat.com

وروى الترمذى عن أنس رضي الله عنه قال : سئل النبى صلى الله عليه وسلم : أي أهل بيتك أحب اليك ؟ قال : « الحسن والحسين » وكان يقول لفاطمة عليها السلام « ادعى لى ابني » ويضمهما اليه رضي الله عنهما .

ومن رحمته بالصبيان وحبه لادخال السرور عليهم : انه صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى بأول ما يدرك من الفاكهة يعطيه لمن يكون في المجلس من الصبيان كما روى الطبرانى عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا أتى بباكورة الثمرة ــ أي اولها ــ وضعها على عينيه ثم على شفتيه وقال : « اللهم كما أريتنا أوله فأرنا آخره » ثم يعطيه من يكون عنده من الصبيان . رواه ابن السنى عن أبى هريرة وقال الحافظ الهيثمى : رواه الطبرانى في الكبير والصغير ورجال الصغير رجال الصحيح اهـ .

ومن رحمته دمع عينيه صلى الله عليه وسلم لفراق ولده ابراهيم رضي الله عنه فعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على ابنه ابراهيم رضي الله عنه وهو يجود بنفسه ــ أي من حالة الاحتضار ــ فجعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذرفان ــ تدمعان ــ فقال له عبدالرحمن بن عوف : وانت يا رسول الله ! فقال : « يا ابن عوف انها رحمة » ثم اتبعها بأخرى فقال : « ان العين تدمع ، والقلب يحزن « ولا نقول الا ما يرضي ربنا وانا لفراقك يا ابراهيم لمحزونون ــ رواه البخارى وروى بعضه مسلم .

وعن اسامة بن زيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع اليه ابن ابنته وهو في الموت ، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم فقال له سعد : ماهذا يا رسول الله ! قال : هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب عباده وانما يرحم الله من عباده الرحماء ــ متفق عليه •

ومن رحمته انه كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضي لهما الحاجة(١) • وكان يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم(٢) وكان يحسن الى اليتامى ويبرهم ويوصي بكفالتهم والاحسان اليهم ويبين الفضائل المترتبة على ذلك بقوله أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا واشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما(٣) وان خير بيت في المسلمين البيت الذى فيه يتيم يحسن اليه(٤) •

ومن رحمته صلى الله عليه وسلم انه كان اذا رأى أحد أصحابه في حالة شدة وبأس يحزن لاجل ذلك حزنا شديدا ويرق قلبه ويبكى متأثرا من ذلك الموقف فلقد زار سعد بن عبادة ومعه عبدالرحمن بن عوف وغيره فلما رآه بكى فبكى من معه(٥) وقبل عثمان بن مظعون وهو ميت وهو صلى الله عليه وسلم يبكى حتى قالت عائشة فرأيت دموع النبى صلى الله عليه وسلم تسيل على خد عثمان(٦) وفي رواية انه قبل بين عينيه ثم بكى طويلا(٧) •

---

(١) رواه النسائى
(٢) رواه ابو يعلى والطبرانى
(٣) رواه البخارى
(٤) رواه ابن ماجه
(٥) رواه الشيخان
(٦) رواه الترمذى
(٧) رواه ابن الجوزى

Marfat.com

رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان

كان صلى الله عليه وسلم يوصي بالرحمة بالحيوان وينهى صاحبه ان يجيعه أو يدئبه ويتعبه بادامة الحمل عليه او اثقاله او يحسه بما فيه نوع من التعذيب له •

وقد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعير قد لحق ظهره ببطنه ــ أي ضمر من شدة الجوع ــ فقال صلى الله عليه وسلم : « اتقوا الله في هذه البهائم فاركبوها صالحة وكلوها صالحة(١) » •

ودخل يوما بستانا لرجل من الانصار فاذا فيه جمل فلما رأى النبى صلى الله عليه وسلم حن ــ الجمل ــ وذرفت عيناه فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه ــ موضع الاذنين من مؤخرة الرأس ــ فسكت الجمل فقال صلى الله عليه وسلم : « من رب ــ أي صاحب ــ هذا الجمل ؟ لمن هذا الجمل ؟» فجاء فتى من الانصار فقال له صلى الله عليه وسلم : « افلا تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله اياها ؟! فانه شكا الى انك تجيعه وتدئبه » أي تتبعه من كثرة العمل عليه واستعماله فوق طاقته(٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن ارهاق الحيوان بايقافه واطالة

---

(١) رواه ابو داود وابن خزيمة في صحيحه
(٢) رواه الامام احمد وابو داود والحاكم في المستدرك

Marfat.com

الجلوس عليه من غير ضرورة الى ذلك وقد دخل على قوم وهم وقوف على دواب لهم ورواحل ، فقال : « اركبوها سالمة ودعوها سالمة ولا تتخذوها كراسي لاحاديثكم في الطرق والاسواق فرب مركوبة خير من راكبها وأكثر ذكرا لله منه »(١) .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع وقال : « نقيقها تسبيح »(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الارض »(٣) .

ونهى عن التحريش بين البهائم وذلك بتسليط بعضها على بعض بالاذى وتهييجها بالافساد »(٤) .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحذر من ان يفجع الانسان الطيور بأولادها ، ولما أخذ بعضهم فرخى حمرة وهى طائر صغير وجاءت منزعجة قال : « من فجع هذه بولديها ؟ ردوا ولديها اليها » ورأى قرية نحل ـ أي مجتمع نحل ـ قد حرقها بعضهم فقال : « من حرق هذه ؟ قالوا : نحن ، قال : انه لا ينبغى ان يعذب بالنار الا رب النار »(٥) .

كما ورد أنه صلى الله عليه وسلم حذر من قتل الطير عبثا لا لمنفعة

---

(١) رواه الامام أحمد وابو يعلى والطبرانى .
(٢) رواه النسائي .
(٣) رواه البخارى وغيره .
(٥) رواه ابو داود والترمذى .
(٥) رواه ابو داود .

Marfat.com

أكل ونحوه بقوله : « من قتل عصفورا عج الى الله يوم القيامة يقول : يا رب ان فلانا قتلني عبثا ولم يقتلني منفعة(١) .

كما ورد أنه أوصى بالرفق في ذبح الحيوان والاحسان اليه في ذلك وقال لمن اضجع شاة وهو يحد شفرته « أتريد أن تميتها موتتين ؟ هلا حددت شفرتك قبل ان تضجعها ! »(٢) .

كما وأنه صلى الله عليه وسلم حذر من اتخاذ الحيوان وكل ذى روح غرضا أي هدفا للرمى »(٣) .

---

(١) رواه النسائي .
(٢) رواه الطبرانى .
(٣) كما رواه الشيخان .

Marfat.com

كمال حيائه صلى الله عليه وسلم

الحياء خلق يبعث على اجتناب القبح ، ويمنع من التقصير في حق ذى الحق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : « استحيوا من الله حق الحياء » فقالوا : انا لنستحي من الله والحمد لله ، قال : « ليس ذلك ، ولكن الحياء من الله هو ان تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى » الى تمام الحديث وفيه بيان ان الحياء يحمل صاحبه على فعل الكمال ، ويمنعه من النقصان . وقال صلى الله عليه وسلم « الحياء لا يأتى الا بخير » وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الناس حياء ، لانه أعظمهم ايمانا . وقد قال صلى الله عليه وسلم « الحياء من الايمان » وفي الصحيحين عن ابى سعيد الخدرى رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اشد حياء من العذراء في خدرها » .

وفي رواية البخارى « واذا كره شيئا عرف في وجهه صلى الله عليه وسلم » ومن المعلوم ان المرأة العذراء وهى البكر المستترة في حذرها اي في ناحية بيتها او خيمتها تكون شديدة الحياء . فلقد كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم اشد حياء منها . وقد بلغ من حياءه صلى الله عليه واله وسلم انه لم يواجه احدا بما يكره . بل يعرض بذلك . او بأمر بعض الصحابة من يصارح بذلك الرجل المقصر .

Marfat.com

روى ابو داود والترمذى وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال : « كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لا يواجه احدا بوجهه بشيء يكرهه ، فدخل عليه يوما رجل وعليه أثر صفرة ، فلما قام قال لاصحابه : « ولو امرتم هذا ان يغسل هذه الصفرة » .

وروى ابو داود عن عائشة رضي الله عنها قالت :: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان . ولكن يقول ما بال اقوام يقولون كذا وكذا » .

ومن ذلك حياؤه صلى الله عليه وسلم من القوم الذين اطالوا الجلوس عنده بعد الاكل . فاستحيا ان يقول لهم انصرفوا حتى نزلت الآية في ذلك ، كما في صحيح البخارى عن أنس رضي الله عنه انه قال : « كان رسول الله عليه واله وسلم عروسا بزينب فقالت لى أم سليم : لو اهدينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية ، قال انس فقلت لها افعلى ، فعمدت الى تمر وسمن واقط فاتخذت حيسة في برمة فارسلت بها معى ، فانطلقت بها اليه فقال : « ضعها » ثم امرنى فقال لى : « ادع رجالا سماهم وادع لى من لقيت » ففعلت الذى امرنى ، فرجعت فاذا البيت غاص بأهله ، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده في تلك الحيسة ، وتكلم ما شاء الله ، ثم جعل يدعو عشرة عشرة يأكلون منه ويقول لهم « اذكروا اسم الله ، وليأكل كل رجل مما يليه » حتى تصدعوا كلهم .

وفي رواية مسلم وكان النبى صلى الله عليه واله وسلم شديد الحياء أي استحيا ان يقول لهم انصرفوا ثم خرج النبى صلى الله عليه وسلم نحو

Marfat.com

الحجرات ، وخرجت من اثره ، فقلت : انهم قد ذهبوا فرجع النبى صلى الله عليه واله وسلم فدخل البيت وارخى الستر وانى لفى الحجرة وهو يقــول : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه ولكن اذا دعيتم فادخلوا ، فاذا طعمتم فانتشروا . ولا مستأنسين لحديث ان ذلكم كان يؤذى النبى ، فيستحي منكم ، والله لا يستحي مــن الحق » الآية .

والمراد انه صلى الله عليه واله وسلم يستحي حياء كرم ان يقول لهــم انصرفوا وهم جلوس عنده والله لا يستحي من بيان الحق الواجب اتباعه . وهذا لا ينافى انه سبحانه متصف بحياء الكرم اللائق بمقام ربوبيته تعالى .

كما قال صلى الله عليه واله وسلم : « ان ربكم حيي كريم يستحي من عبده اذا يرفع يديه اليه ان يردهما صفرا » أي خاليتين ــ رواه الترمــذى وغيره .

فباعتبار ان اطالة الجلوس كانت عنده صلى الله عليه واله وسلم في بيته استحيا منهم ان يصارحهم في الامر كرما منه ولكن الموقف يتطلب بيان الحق في ذلك لا محالة فجاء القرآن بالبيان من الملك الديان جل وعلا .

ومن حيائه صلى الله عليه وسلم انه كان اذا اراد الحاجة ابعد اي قصد مكانا بعيدا منعزلا ــ رواه ابن ماجه عن بلالا بن حرث ورمز في الجــامع الصغير لصحته .

ومن حيائه صلى الله عليه واله وسلم ايضا انه كان اذا اراد الحاجة لم يرفع ثوبه حتى يدنو من الارض رواه الترمذى وابو داود .

Marfat.com

ومن حيائه صلى الله عليه واله وسلم انه كان اذا اراد ان يدخل المرفق « الكنيف » لبس حذاءه وغطى رأسه رواه ابن سعد •

ومن حيائه صلى الله عليه واله وسلم ما رواه الامام الترمذي في الشمائل عن عائشة انها قالت ما نظرت الى فرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم وقالت ما رأيت فرج رسول الله صلى الله عليه واله وسلم . وذلك لشدة حيائه وكمال وقاره وتستره كل التستر وفي شرح الشمائل للشيخ القاري والشيخ محمد بن قاسم جسوس روى ابو صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قالت عائشة رضي الله عنها ما أتى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم واحدا من نسائه الا مقنعا يرخي الثوب على رأسه وما رأيت منه ولا رأى مني(١) •

واخرج البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغتسل من وراء الحجرات وما راى احد عورته قط . قال القاري في شرح الشمائل اسناده حسن •

---

(١) قال شيخنا عبدالله سراج الدين اورده ابن الجوزى في الوفا

Marfat.com

كمـال جـوده

الكرم والجود والسخاء هو الانفاق عن رضا فيما يعظم نفعه وخطره او بذل المال في سبيل من سبل الخير والبر .

وقد كان الكرم من سجايا النبى عليه الصلاة والسلام فطرة وتربيـة الهية وتوجيها من القرآن فكان يحض على الكرم ويشجع ويقول : « السخى قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة والبخيل بعيد من الله بعيـد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار »(١) ويقول : « ما من يوم يصبح العباد فيه الا ملكان ينزلان فيقول احدهما . اللهم اعط منفقا خلفا . ويقول الآخر : اللهم اعط مسكا تلفا »(٢) ويقول : « اياكم والشح فانه اهـلك من كان قبلكم »(٣) .

ولم يكن جوده لكسب محمدة او اتقاء منقصة ولم يكن للمباهـاة او الاستغلال او لاجتذاب المادحين بل كان في سبيل الله وابتغاء مرضاة الله .

كان في حماية الدين وفي مؤازرة الدعوة وفي محاربة الذين يصـدون عن سبيل الله .

---

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة .
(٢) رواه مسـلم .
(٣) رواه ابو داود والحـاكم .

Marfat.com

وكان في الانفاق على الفقراء من المسلمين الذين فقدوا اموالهم في سبيل الله او عجزوا عن الكسب •

وكان في رعاية اليتامى والايامى وكان في تحرير الارقاء الذين كاتبوا ملاكهم على مال وكان في اجتذاب من يرى تألف قلوبهم من غير المسلمين ليتقوى باجتذابهم الاسلام •

وكان كرم النبى صلى الله عليه وسلم ايثارا على نفسه واهله فهو يعطى حوج ما يكون الى ما يعطيه ويبذل الكثير وهو محتاج الى القليل •

وكان ينفق في سبيل الله ما استطاع ان ينفق وهو يستقل ما أنفق وكان يعطى لعطاء الجزل فلا يستكثر ما أعطى وما سئل عن شيء قط على الاسلام الا أعطاه . وما سئل شيئا قط فقال لا •

وبلغ به الكرم انه كان يستحيى ان يرد سائله خالى اليدين معتذرا بالفاقه جاءه رجل فسأله فقال ما عندى شيء ولكن ابتع على فاذا جاءنا شيء قضيته(١) فقال عمر يا رسول الله قد أعطيته فما كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره صلى الله عليه وسلم قول عمر فقال رجل من الانصار : يا رسول الله انفق ولا تخف من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرف في وجهه البشر بقول الانصارى ثم قال صلى الله عليه وسلم : بهذا امرت رواه الترمذى •

---

(١) يعنى اشتر على حسابى بالدين .

Marfat.com

وروى مسلم عن أنس رضي الله عنه قال : ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا الا أعطاه فجاء رجل ــ وهو صفوان بن امية ــ فأعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال يا قومى أسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخاف الفقر وفي رواية من لا يخشى الفقر . وأعطى يوم حنين صلى الله عليه وسلم أناسا من الطلقاء يتألف قلوبهم على الاسلام أعطاهم مائة مائة من الابل وكان من جملة من أعطى مالك بن عوف فامتدحه بقصيدة .

وروى الترمذى عن سعيد بن المسيب عن صفوان بن امية انه قال : لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطانى وانه لابغض الناس الى فما برح يعطينى حتى انه لاحب الناس الى .

وفي مغازى الواقدى ان صفوان طاف معه صلى الله عليه وسلم يتصفح الغنائم يوم حنين اذ مر بشعب مملوء ابلا وغنما فأعجبه فجعل ينظر اليه فقال صلى الله عليه وسلم : أعجبك هذا الشعب يا أبا وهب ؟ قال : نعم فقال هو لك بما فيه فقال صفوان : اشهد أنك رسول الله ما طابت بهذا نفس أحد قط الا نفس نبى .

روى الترمذى ان النبى صلى الله عليه وسلم حمل اليه تسعون الف درهم ووضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد سائلا حتى فرغ منها .

وعن ابى سعيد رضي الله عنه قال : سأل ناس من الانصار رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه ثم سألوه فأعطاهم ما سألوه حتى اذا نفد ما عنده قال : ما يكون عندى فلن ادخره عنكم ومن يستعفف يعفه الله ومن يستغن يغنه الله ومن

Marfat.com

يتصبر يصبره الله وما أعطى أحد أعطاه هو خير له وأوسع من الصبر ــ رواه الستة .

روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يكل صدقته الى غير نفسه حتى يكون هو الذى يضعها في يد السائل .

وروى ابن سعد عن زياد مولى عياش عن أبى ربيعة قال : خصلتان كان لا يكلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحد : الوضوء من الليل حين يقوم . والسائل يقوم صلى الله عليه وسلم فيعطيه بنفسه .

وفي سنن ابى داود والبيهقى عن عبدالله الهوزنى قال : لقيت بلالا فقلت يا بلال حدثنى كيف كانت نفقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ما كان له شيء وكنت أنا الذى ألى ذلك منه ــ أي انا المتولى امر ماله صلى الله عليه وسلم ــ منذ بعثه الله تعالى حتى توفى وكان عليه السلام اذا أتاه الانسان مسلما فرآه عاريا يأمرنى فانطلق أستقرض فأشترى له البردة فأكسوه وأضعه وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير من الريح المرسلة .

Marfat.com

كمال وفائه صلى الله عليه وسلم

الوفاء خلق رفيع لا يتخلق به الا من حسنت سيرته وصلحت سريرته وقد دعا اليه وحض عليه صلى الله عليه وسلم .

ولعل من أروع مظاهر الوفاء بالعهد ما حدث في صلح الحديبية فقد صالح النبى صلى الله عليه وسلم المشركين يوم الحديبية على أشياء منها : أن من أتاه من المشركين رده اليهم . ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه وفي أثناء كتابة المعاهدة جاء أبو جندل يحجل في قيوده فرده اليهم وفاء بالعهد الذى لم يتم توقيعه وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أأرد الى المشركين يفتنونى في دينى ؟ فزاد ذلك الناس الى ما بهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا جندل اصبر واحتسب فان الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا(١) » .

ثم رجع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا العهد الذى جعلت لنا فدفعه الى الرجلين فخرجا حتى بلغا ذا الحليفة فنزلوا يأكلون من تمر لهم فقال ابو بصير لاحد الرجلين والله انى لارى سيفك هذا يا فلان جيدا فاستله الاخر . فقال أجل والله انه لجيد لقد جربت ثم جربت فقال أبو بصير ارنى

---

(١) انظر البخارى باب الصلح وسيرة ابن هشام

Marfat.com

أنظر اليه فأمكنه منه فضربه حتى برد وفر الاخر حتى أتى المدينة . فدخل المسجد يعدو فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه لقد رأى هذا ذعرا فلما انتهى الى النبى صلى الله عليه وسلم قال : قتل والله صاحبى وانى لمقتول . فجاء أبو بصير فقال : يا نبى الله قد والله اوفى الله ذمتك قد رددتنى اليهم ثم انجانى منهم . قال النبى صلى الله عليه وسلم : ويل امه مسعر حرب لو كان له أحد . فلما سمع ذلك عرف انه سيرده اليهم فخرج حتى اتى سيف البحر . ثم انفلت منهم أبو جندل بن سهيل فلحق بأبى بصير فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم الا لحق بأبى بصير حتى اجتمعت منهم عصابة فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش الى الشام الا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم . فأرسلت قريش الى النبى تناشده الله والرحم لما أرسل اليهم فمن آتاه فهو آمن فأرسل اليهم(١) •

لقد حافظ النبى صلى الله عليه وسلم على عهده ووفى بشرطه وظهر فضل النبى صلى الله عليه وسلم وبعد نظره •

عن عبدالله بن ابى الحمساء قال : بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فوعدته ان آتيه بها في مكانه فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال : يا فتى لقد شققت على أنا ههنا منذ ثلاث انتظرك(٢) •

وجاءت عجوز الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال لها : من أنت ؟ قالت :

---

(١) رواه ابو داود

(٢) رواه ابن الجوزى في الوفا .

Marfat.com

انا جثامة المزينة ، قال : بل انت حسانة المزينة ، كيف كنتم بعدنا ؟ قالت : بخير بأبى انت وأمى يا رسول الله فلما خرجت قلت يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الاقبال ؟ قال انها كانت تأتينا ايام خديجه وان حسن العهد من الايمان(١)

وكان جالسا يوما فأقبل أبوه من الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم أقبلت امه فوضع لها نصف ثوبه من جانبه الآخر فجلست عليه ثم أقبل أخوه من الرضاعة فقام له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسه بين يديه(٢) ولا يخفى موقفه من هوازن وفيهم عماته وخالاته من الرضاعة وحواضنه وقد قال له أحدهم لو انا أرضعنا للنعمان بن المنذر رجونا عطفه وانت خير المكفولين فمن عليهم وجبر خاطرهم(٣) وهو أكبر شاهد على وفائه ومروءته •

ولقد عرف النبى ما يجب للوالدين من بر وتكريم وايثار مهنديا بما أمر به القرآن الكريم وبما توحى به المشاعر الظاهرة والخلق الكريم والوفاء بالجميل •

قالت اسماء بنت ابن بكر : قدمت على أمى وهى مشركة حينما عاهد رسول الله قريشا عهد الحديبية ــ وكان أبوبكر قد طلقها في الجاهلية ومعها

---

(١) انظر في الاستيعاب

(٢) رواه ابو داود

(٣) انظر سيرة ابن هشام

Marfat.com

هدية لى فبعثت الى رسول الله أستفتيه . فقلت : ان امى قدمت على وهى راغبة افأدخلها بيتى ؟ فأرسل الى يقول : نعم أدخلى امك وصليها(١) .

وجاء رجل الى النبى يستأذن في الجهاد فسأله رسول الله أحي والداك ؟ قال : نعم . قال : فارجع فاستأذنهما . فان أذنا لك فجاهد والا فبرهما(٢) . وأمر بأن يود الابن من كان أبوه صديقا له لان هذا ضرب من الوفاء للاب .

وجاء رجل الى النبى فقال يا رسول الله ان لى مالا وولدا وان أبى يحتاج مالى فقال انت ومالك لابيك ان اولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب اولادكم(٣) .

ومن وفائه صلى الله عليه وسلم وفاؤه لزوجته خديجة التى كان يذكرها بالخير على مسمع من السيدة عائشة فتغار منها حتى لقد قالت له مرة : هل كانت الا عجوز أبدلك الله خيرا منها ؟ فغضب . وقال : لا والله ما أبدلنى الله خيرا منها آمنت بى اذ كفر الناس وصدقتنى اذ كذبنى الناس وواستنى بمالها اذ حرمنى الناس ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء(٤) .

وكان اذا أتى بهدية قال : اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة لخديجة انها كانت تحب خديجة . وكان يذبح الشاة فيهديها الى خلائل خديجه واستأذنت عليه اخت خديجة فارتاح اليها ودخلت عليه امرأة فهش

---

(١) رواه البخارى
(٢) رواه البخارى .
(٣) رواه ابن ماجه والطبرانى .
(٤) أصل الحديث في الصحيحين وله روايات كثيرة وهو في مناقبها .

Marfat.com

لها واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال : انها كانت تأتينا ايام خديجة وان كرم العهد من الدين ومن وفائه صلى الله عليه وسلم انه قدمت حليمة السعدية عليه بعد زواجه من السيدة خديجة فاستعانت به على اعباء الدهر فكلم السيدة خديجة فمنحتها بعيرا وأربعين شاة ثم وفدت عليه بعد غزوة حنين فلما رآها قال مرحبا بأمي وبسط لها ردائه وأجلسها عليه •

وكانت له مرضعة اخرى اسمها ثوبية كانت أرضعته أياما قبل ان يصير الى حليمة فلما كبر وعلم ذلك حفظ لها جميلها فجعل النبى يواليها بمعروفه مدة اقامته بمكة ، ولما هاجر الى المدينة لم يغفل عن صلتها وكسوتها . ولما جيء باخته من الرضاع ــ الشيماء ــ في سبايا هوازن وتعرفت له بسط لها رداءه وقال : ان أحببت أقمت عندى مكرمة محببة وها هو ذا يأمر بالوفاء للحيوان لقاء ما عمل وخدم فقد اقبلت ليلى امرأة ابى ذر على ناقة من ابل رسول الله بعد غزوة ذى قرد فقالت : يا رسول الله انى قد نذرت لله ان أنحرها ان نجانى الله عليها فآكل من كبدها وسنامها فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بئس ما جزيتها ان حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها انه لا نذر في معصية الله ولا فيما لا تملكين انما هى ناقة من ابلى فارجعى الى اهلك على بركة الله •

Marfat.com

كمال صبره صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : « فاصبر كما صبر اولوالعزم من الرسل ولا تستعجل لهم » الآيـة .

كان صبره صلى الله عليه وسلم في سبيل الله تعالى يفـوق صبر الصابرين وتحمله لانواع أذى المعاندين له يعلو تحمل العالمين . فكم لقـى من سفهاء قريش واشدائهم من الغلظة والسفاهة والجفاء والشدة ؟!

ولا ريب ان الكلام البذيء المسيىء له كلام في اصحاب النفـوس الابية والاخلاق الرضية . ويتأثرون به أضعاف ما يتأثر به غـيرهم ، وان الافعال المؤذية لتعمل في نفوسهم اضعاف ما تعمل في غيرهم ممن لاخلاق له ولا خلق فما ظنك بنفسية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى مجمع الكمال والافضال ومصدرها ؟! ومع ذلك كان يتقبل ذلك بصدر رحب .

وما ظنك بتأثره من الكلام المؤذى . والفعل المسيىء اليه روى الامام احمد والترمذى عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليـه وسلم لقد اخفت في الله وما يخاف أحد ولقد اوذيت في الله وما يؤذى أحد ولقد أتت علي ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبـد الا شيء يواريه ابط بلال .

وكان المشركون يتصدون له بالعداوة ويقابلونه بأنواع الاذى بجموعهم

Marfat.com

وجماهيرهم وبأفرادهم ونسائهم وصبيانهم ، روى الامام الطبراني عن الحارث قال قلت لابى : ما هذه الجماعة ؟ قال هؤلاء القوم الذين اجتمعوا على صابىء لهم ، قال فنزلنا فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الى توحيد الله عز وجل والايمان وهم يردون عليه ويؤذونه حتى انتصف النهار وانصدع الناس عنه فأقبلت امرأة قد بدا ـ أي ظهر ـ نحرها ـ أي صدرها وهى تحمل قدحا ومنديلا فتناوله صلى الله عليه وسلم منها فشرب وتوضأ ثم رفع رأسه فقال يا بنية خمرى عليك ـ أي غطى ـ نحرك ولا تخافي على أبيك : قلنا ، من هذه ؟ قالوا هذه زينب بنته رضي الله عنها .

وعن عروة ابن الزبير عن عبدالله ابن عمرو قال : قلت له ما اكثر ما رأيت قريشا أصابت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانت تظهر من عداوته ؟ قال : حضرتهم وقد اجتمع اشرافهم في الحجر فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرجل قط ، سفه احلامنا وشتم أباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب ألهتنا ! لقد صبرنا منه على امر عظيم .

فبينما هم في ذلك اذ طلع عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا وثبة رجل واحد فأطافوا به يقولون : انت الذى تقول كذا وكذا ؛ لما كان يبلغهم من عيب ألهتهم ودينهم ، قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم انا الذى أقول ذلك . قال فلقد رأيت رجلا منهم آخذ بمجمع ردائه صلى الله عليه وسلم وقام ابوبكر دونه يقول : أتقتلون رجلا ان يقول ربى الله ؟ ثم انصرفوا عنه قال فان ذلك لاشد ما رأيت قريشا بلغت منه قط

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال بينا رسول الله صلى

Marfat.com

الله عليه وسلم يصلى عند البيت وابو جهل واصحابه جلوس وقد نحرت جزور ــ اي بعير ــ بالامس فقال ابو جهل ايكم يقوم الى سلا ــ أي كرش جزور بن فلان فيضعه بين كتفي محمد اذا سجد ؟ فانبعث اشقى القوم عقبة بن ابى معيط فأخذه فلما سجد النبى صلى الله عليه وسلم وضعه على كتفه فاستضحكوا وجعل بعضهم يميل على بعض •

قال ابن مسعود . وانا قائم انظر لو كانت لي منعة ــ أو قوة او جماعة طرحته عن ظهره صلى الله عليه وسلم والنبى صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة رضي الله عنها فجاءت وهى جويرية فطرحته عنه صلى الله عليه وسلم ثم اقبلت عليهم تشتمهم . ولما مات عمه صلى الله عليه وسلم ابو طالب اشتد ايذاء المشركين للنبى صلى الله عليه وسلم وقابلوه بأنواع العداوة والشدائد فتوجه صلى الله عليه وسلم الى الطائف لعل ثقيفا يكونون له ردا وعونا وانصارا على قومه في مكة فاذا بهم يقابلونه اسوأ مقابلة ويردون عليه اقبح رد وانما قصدهم ــ كما قال المقريزي ــ لانهم كانوا أخواله ولم يكن بينه وبينهم عداوة •

روى الشيخان عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت يا رسول الله هل أتى عليك يوم كان أشد من يو أحد ؟ قال : لقد لقيت من قومك ما لقيت وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبديالیل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت وانا مهموم على وجهي فلم أستفق الا وانا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد اظلتنى فنظرت

Marfat.com

فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادانى فقال : ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وما ردوه عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فنادانى ملك الجبال وسلم علي ثم قال يا محمد ان الله تعالى قد سمع قول قومك لك وانا ملك الجبال قد بعثنى اليك لتأمرنى بأمرك . زاد الطبرانى فما شئت ؟ ان شئت اطبقت عليهم الاخشبين . فقال صلى الله عليه وسلم بل ارجوه ان يخرج من اصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئا . وروى ابو نعيم في الدلائل عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال : ومات ابو طالب وازداد من البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم شدة فعمد الى ثقيف يرجو ان يؤووه وينصروه فوجد ثلاثة نفر منهم سادة ثقيف وهم اخوة . عبديالبل بن عمرو وخبيب بن عمرو ومسعود بن عمرو فعرض عليهم نفسه صلى الله عليه وسلم وشكا اليهم البلاء وما انتهك قومه منه فقال احدهم . انا أسرق ثياب الكعبة ان كان الله بعثك بشيء قط . وقال الآخر . والله لا أكلمك بعد مجلسك هذا كلمة واحدة ابدا لئن كنت رسولا لانت اعظم شرفا وحقا من ان أكلمك . وقال الآخر أيعجز الله ان يرسل غيرك ! وأفشوا ذلك في ثقيف الذى قال لهم : واجتمعوا يستهزئون برسول الله صلى الله عليه وسلم وقعدوا له على صفين على طريقه فأخذوا بأيديهم الحجارة فجعل لا يرفع رجله ولا يضعها الا رضخوها بالحجارة وهم في ذلك يستهزئون ويسخرون فمضى خلص من صفيهم وقدماه تسيلان الدماء عمد صلى الله عليه وسلم الى حائط من كرومهم فأتى ظل حبلة من الكرم فجلس في أصلها مكروب موجع تسيل قدماه الدماء .

Marfat.com

وذكر ابن اسحاق ــ ورواه الطبرانى أيضا ــ عن عبدالله بن جعفر رضي الله عنهما : لما توفى ابو طالب خرج النبى صلى الله عليه وسلم ماشيا الى الطائف فدعاهم الى الاسلام فلم يجيبوه فأتى ظل شجرة ــ أي من عنب ــ فصلى ركعتين ثم قال : اللهم اليك أشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس يا ارحم الراحمين أنت ارحم الراحمين وانت رب المستضعفين الى من تكلنى الى عدو بعيد يتجهمنى أم الى قريب ملكته أمرى ؟ ان لم تكن غضبانا ــ وفي رواية : ان لم تكن سخطا ــ وفي رواية : ان لم يكن بك سخط ــ وفي رواية : ان لم يكن بك غضب علي فلا أبالى غير ان عافيتك اوسع لى اعوذ بنور وجهك الكريم الذى أضاءت له السموات والارض واشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ان ينزل بى غضبك او يحل بى سخطك ــ وفي رواية ان يحل علي غضبك او ينزل علي سخطك ولك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك .

Marfat.com

كمال زهـــده

كان صلى الله عليه وسلم ازهد الناس ويكفيك في تعريف ذلك ان فقره كان فقر اختيار لا فقر اضطرار لانه صلى الله عليه وسلم فتحت عليه الفتوح وجلبت اليه الاموال وهو معرض عن الدنيا كل الاعراض ينام على الحصير حتى يرى أثره في جنبه الشريف فاذا قيل له الا نبسط تحتك ألين منه يقـول ما لي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا مثل راكب سار في يوم صائف فقال تحت شجرة ثم راح وتركها(١) •

وقد عرض الله عليه بطحاء مكة ذهبا فقال لا يا رب ولكن اجوع يوما وأشبع يوما فاذا شبعت حمدتك وشكرتك واذا جعت تضرعت اليك ودعوتك •

وكان صلى الله عليه وسلم يقنع باليسير من الدنيا ويقول اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا(٢) •

تقول السيدة عائشة ما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم قط عشاء الغداء ولا غداء العشاء ــ ولا اتخذ من شيء زوجين ولا قميصين ولا ردآئين ولا ازارين ولا من النعال •

وكان صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لنفسه وما جاء انه ادخـر

---

(١) قال أي استراح وقت الظهيرة من القيلولة
(٢) أخرجـه الشيخـان .

Marfat.com

فهو انما كان لاهله وما شبع صلى الله عليه وسلم واهله ثلاثة ايام تباعا من خبز حنطة حتى فارق الدنيا ـ (أحمد ومسلم) •

وما أكل خبزا منخولا منذ بعثة الله الى ان قبض •

وكان يمر به الشهر والشهران وما يوقد في بيته نار . انما هو التمر والماء وجاءته فاطمة بكسرة خبز فقال ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة فقال أما انه اول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام •

ولقد قبض صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل يهودي على ثلاثين صاعا من شعير أخذها رزق لعياله •

يقول جابر مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه وهم يحفرون الخندق ثلاثا لم يذوقوا طعاما قالوا يا رسول الله ان ههنا كديه من الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رشوها بالماء وفي الحديث فان جابر فحانت مني التفاتة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجرا(١) •

وتقول السيدة عائشة : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يملأ بطنه في يوم من طعامين كان اذا شبع من التمر لم يشبع من الشعير واذا شبع من الشعير لم يشبع من التمر(٢) •

ويقول عتبة بن غزوان لقد رأيتني وانى لسابع سبعة مع رسول الله

---

(١) أخرجه الشيخان والكديه صخره كبيرة .
(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم ما لنا طعام الا ورق السمر حتى تقرحت اشداقنا(١) •

وتقول السيدة عائشة : لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين(٢) •

ويقول أنس : ما اعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رغيفا مرققا حتى لحق بالله عز وجل ولا رأى شاة سميطا بعينه حتى لحق بالله عز وجل(٣) والرغيف المرقق الملين . والسميط هو الذى ازيل شعره بالماء السخن وشوى بجلده •

---

(١) السمر هو شجر عظيم له شوك والحديث رواه مسلم .
(٢) رواه مسلم .
(٣) رواه البخارى .

Marfat.com

كمال عفوه صلى الله عليه وسلم

العفو عند المقدرة مرآة تتجلى فيها أحسن صور النفس وسمو المقصد وقد ندب القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق الكريم من قوله سبحانه : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فتحقق صلى الله عليه وسلم بهذا الخلق في اقواله وافعاله ودعا اليه وحث عليه بقوله ولا يخفى معاملته لاهل مكة والطائف ورؤساء الفتنة وزعماء الشر لما دخل مكة المكرمة فاتحا مظفرا منصورا فشمل عفوه البلاد والسادة والزعماء الذين عتوا في الارض واسرفوا في ايذائه واضطهاده •

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ولكن عكرمة بن ابى جهل وصفوان بن امية وسهيل بن عمرو ومن جمعوا من الناس ابوا الا قتالا فهزموا وفروا ثم استأمنوا فآمنوا بل عفى عنهم بل اعطوا من غنائم هوازن تأليفا لقلوبهم •

وهذا صفوان بن امية العدو بن العدو يفر الى جدة ليبحر الى اليمن فيأتى عمير بن وهب لرسول الله فيقول : يا نبى الله ان صفوان بن أمية سيد قومه قد خرج هاربا منك ليقذف نفسه في البحر فأمنه قال : هو آمن قال يا رسول الله فأعطنى آية يعرف بها أمنك ، فاعطاه الرسول عمامته التى دخل فيها مكة فخرج بها عمير حتى ادركه وهو يريد ان يركب البحر فقال

Marfat.com

يا صفوان فداك أبي وأمي ! الله الله في نفسك ان تهلكها ! فهذا أمان رسول الله قد جئتك به ، قال انى أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذاك واكرم فرجع معه حتى قدم به على رسول الله فقال صفوان ان هذا يزعم انك قد أمنتني ؟ قال صدق ، قال : فاجعلني فيه بالخيار شهرين ، قال : انت بالخيار اربعة أشهر •

وهذا رجل آخر جاءه قبيل الفتح ، وكان عاقا مسرفا في هجوه وايذائه للرسول وهو أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وطلب الاذن عليه فقال . لا حاجة لي به وقد هتك عرضي ! وكان مع ابى سفيان بني له . فقال : والله ليأذنن لى اولاخذن بيد بني هذا لنذهبن في الارض حتى نموت عطشا وجوعا فلما بلغ ذلك رسول الله رق له فدخل عليه وعفا عنه فقال :

لعمرك انى يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليلة ... فهذا أوانى حين اهدى واهتدى

وفي مكة وهو طائف بالبيت اراد فضالة بن عمير أن يقتله فلما دنا منه قال : أفضالة ؟ قال نعم فضالة يا رسول الله . قال ما كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لا شيء . كنت اذكر الله عز وجل فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ثم قال : استغفر الله ! ثم وضع يده على صدره . فسكن قلبه . فكان فضالة يقول . والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شيء أحب الي منه ولما اطمأن الناس بعد الفتح قام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة فقال : لا اله لا اله الا الله وحده لا شريك

Marfat.com

له صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده . الاكل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين الا سدانة البيت وسقاية الحاج . يا معشر قريش . ان الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم من تراب . ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » ثم قال : يا معشر قريش : ما تظنون اني فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأنتم طلقاء وها هي ذي ثقيف كلها بين يديه ووفدها في مدينة وقد اكلتها العرب . وهانت على الناس . فماذا فعل بها وفي وفدها رجل مثل دليل بن عمرو بن عمير الذي طرده من الطائف ؟ أم مالك بن عوف فذاك من سبق اليه عفوه . فرد اليه ماله وأولاده .

فرد الرسول سبيها واشتراه دينا عليه لاصحابه . ليعطيه أعداءه الذين كادوا يقضون على الاسلام يوم حنين .

ومن حلمه صلى الله عليه وسلم أن حبرا من احبار اليهود وهو زيد بن سعنة درس صفات النبوة وعرف علاماتها في رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقيت علامتان يريدان يخبرهما الاولى ان يسبق حلمه غضبه . والثانية انه لا تزيده شدة الجهل عليه الا حلما . فكان زيد ينطلق ويخالط رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد ان يختبره ، وفي ذات يوم جاء أعرابي يشكو لرسول الله صلى الله عليه وسلم شدة العيش في احدى القرى . وزيد يسمع فقال زيد لرسول الله صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم أنا أشتري منك كذا وكذا وسقا بكذا وكذا . واخرج المال وأعطى ثمانين دينارا فدفعها الى الرجل . واتفقا على موعد معلوم يقضيه فيه حقه ولكنه جاء قبل الموعد . يقول زيد : فدنوت من النبى صلى الله عليه وسلم وجذبت برديه جذبة شديدة حتى سقط عن عاتقه ثم أقبلت بوجه غليظ فقلت الا تقضيني يا محمد فوالله انكي يا بنى عبدالمطلب لمطل ولقد كان لى بمخالطتكم علم فغضب عمر وقال أي عدو الله أتقول هذا لرسول الله ؟ فوالذى بعثه بالحق لولا ما أخاف فوته لسبقنى رأسك ورسول الله ينظر الى عمر ويبتسم لقوله . ثم قال : لانا وهو احوج الى غير هذا أن تأمرنى بحسن الاداء . وتأمره بحسن التقاضي . اذهب به يا عمر فاقض حقه وزده عشرين صاعا من تمر مكان ما رعته(١) .

وهنا سكنت نفس زيد واطمأنت حيث وجد العلامات التى كان يبحث عنها فذهب به عمر فقضاه دينه وزاده صواعا من تمر . قال زيد : اتعرفنى يا عمر ؟ قال : لا . فمن أنت ؟ قال : انا زيد بن سعنة . قال : الحبر قلت : الحبر . قال : فما دعاك الى ان تفعل برسول الله صلى الله عليه وسلم ما فعلت وتقول له ما قلت ؟

ومن كمال عفوه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس رضي الله تعالى عنه قال : كنت مع النبى صلى الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجذبه أعرابى بردائه جذبة شديدة حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه الشريفة

---

(١) اي في مقابلة تخويفك له .

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم . ثم قال الاعرابي : يا محمد احمل لي على بعيري هذين من مال الله الذي عندك . فانك لا تحمل لي من مالك ولا من مال ابيك !

فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : المال مال الله وأنا عبده . ثم قال : ويقاد(١) منك يا اعرابي ما فعلت بي . قال : لا . فسأله النبي صلى الله عليه وسلم . ولم ؟ قال : لانك لا تكافي بالسيئة السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر .

وفي غزوة بدر فقد صفوان بن أمية أباه وأخاه وأسر وهب ولد عمير ابن وهب فاتفق صفوان مع ابن عمه عمير ابن وهب في الحجر من البيت الحجراء على اغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرط ان يقضي صفوان ديون عمير وان يتولى شأن أولاده من بعده وطلب عمير من صفوان أن يكتم ما دار بينهما لئلا يفشو الخبر ويصل الى المدينة وأعد صفوان سيفا وامر بصقله وسقاه سما ناقعا واعطاه لعمير ورحل هذا لمهمته وصل عمير المدينة فنزل بباب المسجد وعقل راحلته وأخذ السيف فعمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : ما أقدمك يا عمير ؟ قال قدمت على أسيرى عندكم(١). قال صلى الله عليه وسلم : أصدقني ما أقدمك ؟ قال : ما قدمت الا في أسيرى . قال صلى الله عليه وسلم : فماذا شرطت لصفوان بن أمية في الحجر؟ ففزع عمير وقال : ماذا شرطت له ؟ قال صلى الله عليه وسلم : تحملت له

---

(١) ويقتص .

(١) أي : قدمت لافتداء أسيرى وهب .

Marfat.com

بقتلي على أن يعول بيتك والله حائل بينك وبين ذلك ، قال عمير : أشهد انك رسول الله ان هذا الحديث كان بيني وبين صفوان في الحجر لم يطلع عليه احد غيرى وغيره فأخبرك الله به أمنت بالله ورسوله ، وهذا من كمال عفوه صلى الله عليه وسلم عمن يريد قتله .

ولما خرج صلى الله عليه وسلم الى حنين خرج ضمن الناس شيبة بن عثمان بن طلحه وكان قد قتل ابوه وعمه في غزوة أحد ، قال شيبة : قلت أسير مع قريش الى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فأكون انا الذى قمت بثأر قريش كلها !

وكان يقول : لو لم يبق من العرب والعجم احد الا أتبع محمدا ما أتبعته ابدا ، قال شيبة : فكنت مترصد لما خرجت له لا يزداد الامر في نفسي الا قوة ووجد الفرصة سانحة حين تفرق المسلمون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فأصلت السيف ودنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفى حتى كدت أسوره فرفع لي شواظ من نار كالبرق كاد يمحشنى فوضعت يدي على بصرى خوفا عليه .

وفي رواية ابن اسحق قال : فاردت برسول الله لاقتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادى فلم أطق ذلك .

قال : فنادانى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا شيبة ادن منى . فدنوت ، فمسح صدرى ثم قال : اللهم اعذه من الشيطان وقال : فوالله

Marfat.com

لهو كان ساعتئذ أحب الي من سمعي وبصري ونفسي وأذهب الله ما كان بي . ثم قال صلى الله عليه وسلم أدن فقاتل . قال : فتقدمت امامه أضرب بسيفي الله يعلم اني أحب ان أقيه بنفسي كل شي ولو لقيت تلك الساعة أبي لو كان حيا لاوقعت به السيف .

Marfat.com

كمال عدله صلى الله عليه وسلم

المراد بالعدل اعطاء كل ذى حق حقه بغير تفرقة بين المستحقين ومؤخذة المسيء او المقصر على قدر اساءته وتقصيره بدون اعنات أو محاباة .

وقد استقى النبى صلى الله عليه وسلم العدل من التربية الالهية والاخلاق القرآنية وكانت فطرته السليمة مهيأة للعدل منذ شبابه فقد اشترك في حلف تعاهدت فيه قريش على مقاومة الظلم وانصاف المظلومين وهو المسمى بحلف الفضول ، قال لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب ان لي به حمر النعم ولو أدعى به في الاسلام لاجبت . لقد كان صلى الله عليه وسلم يتحرى العدل ويطبقه على أهله دون نظر الى جاه او قرابة ولما اراد رجال من الانصار ان يتنازلوا عن ما يخصهم من فداء العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرض صلى الله عليه وسلم وقال لا تدعون منها درهما(١) أما عفوه عن زوج زينب ابنته فما ذاك الا لما تجلى من فقره فتدبر هذا ، بخلاف العباس فانه علم يساره فلم يطلق سراحه حتى أخذ فديته وفدية الاسرى من اقربائه . واذا كان عفوه قد عم البرية وشمل العباد فأقل ما في الامر ان يكون زوج ابنته داخلا في هذا العموم كغيره من الناس .

---

(١) رواه البخارى

Marfat.com

ومن كمال عدله صلى الله عليه وسلم عتابه للانصارى صاحب الجمل بقوله اتق الله في هذه البهيمة فانه شكا الى أنك تجيعه وتدئبه(١) وأمره برد فرخى الطائر الذى جاء منزعجا(٢) وفي هذا تتجلى روح النبى صلى الله عليه وسلم في محاربة الظلم ولو وقع على كاهل طائر او حيوان •

ومن كمال عدله صلى الله عليه وسلم ان قريشا أهمهم شأن المخزومية التى سرقت فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : ومن يجترىء عليه الا اسامة ابن زيد رضي الله عنهما حب رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فكلمه اسامة رضي الله عنه فقال : اتشفع في حد من حدود الله تعالى ؟ ثم قام فاختطب ثم قال : انما اهلك الذين من قبلكم انهم كانوا اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها(٣) •

ومن عدله صلى الله عليه وسلم انه بينما يقسم قسما أقبل رجل فأكب عليه فطعنه صلى الله عليه وسلم بعرجون كان معه فجرح وجهه ثم قال له : تعال فاستقد قال : بل عفوت عنك يا رسول الله(٤) •

ومن عدله صلى الله عليه وسلم ما جاء عن رجل من العرب قال : مشيت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وفي رجلى نعل

(١ـ٢) كما ثبت ذلك في ابى داود
(٣) اخرجه الخمسة
(٤) اخرجه ابو داود والنسائي

Marfat.com

كثيفة فوطئت بها على رجله فنفحنى نفحة بسوط في يده وقال : باسم الله أوجعتنى ، فبت لنفسي لائما أقول ، أوجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبت ليلة كما يعلم الله فلما أصبحنا اذا رجل يقول : اين فلان ؟ فقلت هـذا الذى والله كان مسنى بالامس فانطلقت وأنا متخوف . فقال لى صلى الله عليه وسلم انك وطئت رجلي بالامس فأوجعتنى فنفحتك بسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها(١) .

ومن عدله صلى الله عليه وسلم انه صعد المنبر في مرض وفاته فقال : أيها الناس من كنت جلدت له ظهرا فهذا ظهري فليستقد منه ومن كنت أخذت له مالا فهذا مالى فليستقد منه ومن كنت شتمت له عرضا فهذا عرضي فليستقد منه لا يقولن رجل انى أخشى الشحناء من قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وان الشحناء ليست من طبيعتى ولا من شأنى الا وان احبكم الى من اخذ حقا كان له أو حللنى(٢) فلقيت الله وانا طيب النفس فقام اليه رجل فقال يا رسول الله ان لي عندك ثلاثة دراهم قال : أما انا لا نكذب احد او لا نستحلفه فيم صارت لك عندى ؟ قال تذكر يوم مر بك مسكين فأمرتنى ان ادفعها اليه قال ادفعها اليه يا فضل يعنى ابن عمه العباس(٣) .

---

(١) اخرجه ابن اسحاق .
(٢) أي جعلنى في حل وسامحنى .
(٣) اخرجه ابو يعلى والطبرانى .

Marfat.com

كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم

التواضع لغة التذلل والخضوع . وعرفا : خروج الانسان عن مقتضى جاهه وعظمته وتنزله من مرتبة أمثاله . وعند المحققين ان لا يرى العبد لنفسه قدرا ولا قيمة ولا مزية . وان يرى الحالة التى هو فيها أعظم من ان يستحقها

قال أبو زيد رضي الله عنه : ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر منه فهو متكبر . فقيل له : فمتى يكون متواضعا ؟ قال : اذا لم ير لنفسه مقالا ولا حالا . وقال في الحكم : ليس المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه فوق ما صنع . ولكن المتواضع الذى اذا تواضع رأى انه دون ما صنع •

والتواضع تارة يكون عن شهود عظمة ربه . وهذا هو التواضع الحقيقى الذى لا يمكن ارتفاعه ، وتارة يكون لرؤية العبد نقص نفسه •

والتواضع الاول هو الذى يخمد النفس ويذيبها ويبطل انانيتها وتنقلع به شجرة الرياسة والكبر من النفس ، فلا يأخذه الزهو والغرور ، والثانى يؤدى الى ترقى العبد الى مدارج الفضيلة ونبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو سيد المتواضعين وله في ذلك المثل الكامل والحظ الوافر •

فمن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم انما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله • رواه البخارى •

Marfat.com

فقوله « لا تطرونى » اى لا تبالغوا في مدحى بالكذب كما بالغت النصارى في مدح سيدنا عيسى فجعلوه الها وابن اله . فان هؤلاء انما عميت ابصارهم عن دلائل الحدوث وشواهده وقوله : انما انا عبد فقولوا عبدالله ورسوله ــ وفي نسخة ــ انما انا عبدالله : معناه انما انا عبد ورسول بدليل قوله فقولوا عبدالله ورسوله . وفي هذا القول اشارة الى قوله تعالى « قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي » ثم لا يلزم من كونه عبدالله ورسوله مساواة غيره له صلى الله عليه وسلم في العبودية لله تعالى التى هى شهود الربوبية وعدم الغفلة عنها لانه صلى الله عليه وسلم اكمل الخلق في هذا الوصف الذى هو عين الكمال الانسانى •

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك رضي الله عنه : ان امرأة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له : ان لي اليك حاجة فقال اجلسي في أي طريق المدينة شئت اجلس اليك : رواه الترمذى . وفي رواية مسلم زاد فخلا معها في بعض الطريق حتى فرغت من حاجتها . وزاد أنس انه خلا بها بحيث غاب عن ابصار الناس من كان معه . والغرض من البعد ان لا يسمع شكواها أحد من حضر معها او من كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر البخارى ان الأمة كانت تأخذ بيده صلى الله عليه وسلم فتنطلق في حاجتها . وفي هذا من كمال تواضعه ما لا يخفى وعند النسائى كان صلى الله عليه وسلم لا يأنف ان يمشي مع الارملة والمسكين فيقضى له الحاجة •

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خيره بين أن يكون

Marfat.com

نبيا عبدا أو نبيا ملكا فاختار العبدية تواضعا لله تعالى . وهذا ثابت من حديث أبى هريرة ولفظه جلس جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم فنظر الى السماء فاذا ملك ينزل فقال له جبريل هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة فلما نزل قال يا محمد أرسلنى اليك ربك املكا أجعلك أم عبدا رسولا فقال له جبريل : تواضع لربك يا محمد . فقال صلى الله عليه وسلم لا بل عبدا رسولا . كذا في الترغيب وقال رواه ابن حبان في صحيحه .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود المرضى ويشهد الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد ، وكان يوم بنى قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه اكاف من ليف . رواه الترمذى . فقوله بركب الحمار أي مع قدرته على ما فوقه من المراكب وقوله على (حمار مخطوم) أي ذى خطام من حبل من ليف ، والخطام بكسر الخاء هو الزمام الذى يوضع في فم الحيوان لقيادته وقوله « بحبل من ليف » والليف هو نسيج النخل الذى يكون في أصل الجريد ومنه تصنع الحبال والفرش الخشنة ، قوله « وعليه اكاف من ليف » واكاف بكسر الهمزة أي برذعة والبرذعة لذوات الحافر بمنزلة السرج للفرس ، وفي هذا غاية التواضع .

وكان صلى الله عليه وسلم يدنو من المريض ويجلس عند رأسه ويسأله عن حاله ويقول : كيف تجدك او كيف اصبحت او كيف امسيت ويقول : لا

Marfat.com

بأس عليك طهور باذن الله ، وقد يضع يده على المكان الذى يألم منه المريض ويقول باسم الله من كل داء يؤذيك الله يشفيك و

وفي « مختصر السيرة » للطبرى انه صلى الله عليه واله وسلم ركب حمارا عريا الى قباء ومعه أبو هريرة فقال احملك فقال ما شئت يا رسول الله فقال اركب فلم يقدر فأمسكه رسول الله صلى الله عليه واله وسلم فوقعا جميعا ثم ركب ، وقال له مثل ذلك ، ففعل فوقعا ثم ركب وقال له مثل ذلك فقال « أي ابو هريرة » والذى بعثك بالحق ما رميتك ثالثا .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه انس بن مالك رضي الله عنه أيضا قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعى الى خبز الشعير والاهالة السنخه فيجيب . رواه الترمذى . والاهالة بكسر الهمزة هى كل دهن يؤتدم به أو يختص بدهن الشحم والالية او هى الدسم الجامد .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه أيضا قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على رحل رث وعليه قطيفة لا تساوى أربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة . رواه الترمذى في الشمائل والرحل بفتح الراء وسكون الحاء ما يوضع على ظهر البعير للركوب عليه وهو القتب وهو للبعير كالسرج للفرس والبرذعة للحمار وقوله رث أي بال بمعنى خلق اى قديم . قوله « وعليه قطيفة لا تساوى اربعة ادرهم . أي على الرحل كساء له لا يساوى اربعة ادرهم ، وبذلك يكون الراكب عليه في أعظم حالات التواضع ليناسب الحج لان الحج

Marfat.com

حالة تجرد واقلاع. قوله « فقال اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة . بأن يكون خالصا لوجه الله تعالى وابتغاء مرضاته لا ليراه الناس او يسمعوا به ويكرمونه بحسان او مدح او يعظم جاهه في قلوبهم وهو دعاء والدعاء من عظيم تواضعه صلى الله عليه وسلم وعده نفسه كواحد من الناس . اذ السمعة وتريده لا تتفرقان الى المعصومين بل تتفرقان لمن حج على المراكب نفيسة ولبس ملابس الفاخرة .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه ايضا قال : لم يكن شخص أحب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وكانوا اذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك . أي لم يقوموا له لما يعلمون من انه يكره ذلك . وذلك لكمال تواضعه وحسن معاشرته لهم فآثروا ارادته على ارادتهم وتعليل كراهته لقيامهم له هو حبه للتواضع واعترافا بجميل الربوبية وان القيام لا يكون الا لرب العالمين . وهذا لا ينافي القيام لاهل الفضل من الصالحين . فقد ورد ايضا أنهم قاموا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ويقال في توجيه الحديث : انهم اذ رأوه من بعد غير قاصد لهم لم يقوموا او انه اذا تكرر قيامه وعوده اليهم لم يقوموا فلا ينافي انهم اذا قدم عليهم اولا قاموا واذا انصرف عنهم قاموا .

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو اهدى الي كراع لقبلت(١) ولو دعيت

---

(١) رواه أحمد والترمذي وابن حبان وهو صحيح .

Marfat.com

عليه لاجبت ؛ والكراع بضم الكاف هو ما دون الركبة او دون الكعب من الدواب وقيل مستدق الساق من الغنم والبقر •

ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم ما جاء عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان صلى الله عليه وسلم بشرا من البشر يفلى ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه ؛ وفي رواية : يخيط ثوبه ويخصف نعله . وفي رواية اخرى يرقع ثوبه . ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم ؛ وفي رواية اخرى ايضا : يعمل عمل البيت واكثر ما يعمل الخياطة أي كان يعمل في بيته ما يعمله عامة البشر(١) أي تواضعا وارشادا الى التواضع ولا يترفع عن الاعمال العادية تكبرا كعادة الملوك ودفعت بذلك ما رأته من اعتقاد الكفار انه لا يليق بمنصبه ان يفعل ما يفعله غيره من العامة . وقد عددت عائشة بعض الاعمال التى كان يعملها فقالت :

« كان يفلى ثوبه » أي يفتش ثوبه ليلتقط منه نحو الشوك او يرقع ثوبه من نحو خرق . وليس المراد بأنه كان يفتش ثوبه ليلتقط منه نحو قمل كما وهم بعضهم . لان اجساد الانبياء لا تغشاها الحشرات . وقالت « كان يحلب شاته » بضم اللام ويجوز كسرها أي يأخذ منها اللبن . « وكان يخدم نفسه» أي يحضر الوضوء ويوضىء نفسه ونحو ذلك مما يلزمه . «وفي رواية يخيط ثوبه » أي يرقعه كما مر . « وكان يخصف نعله » أي يخيط ويرتق ما به من فتق •

---

(١) اكثر هذه الاحاديث رواها الترمذى في الشمائل .

Marfat.com

وفي مختصر السيرة للطبرى انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة ذبحت فقال رجل : على سلخها . وقال آخر علي طبخها . فقال صلى الله عليه وسلم علي جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل . قال : قد علمت انكم تكفونني ولكنى اكره ان أتميز عليكم وان الله يكره من عبده أن يراه متميزا عن أصحابه •

وهذه الاحاديث ظاهرة الدلالة على غاية تواضعه صلى الله عليه وسلم ورغبته دائما في المبالغة في التواضع والخضوع وفي التقليل من زخرف الدنيا ونعيمها واظهار انها حقيرة وان ما عند الله خير وابقى فانه صلى الله عليه وسلم ما كان يحب أن يمجده اصحابه او يطروه كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فجعلوه الها او ابن اله فزاغوا وضلوا وكان يعنى بذوى الحاجات ويستمع اليهم ويعمل على قضاء حاجاتهم ولو كان صاحب الحاجة عبدا أو امرأة وكان أمينا على أسرار ذوى الحاجات فلا يذيعها ولا ينشرها وينأى عن مواطن سمع الغير لها •

وكان يكتم حاله عن أصحابه ولا يشكو حتى أنه رهن درعه عند يهودى على ثلاثين صاعا من شعير أخذها لأهله الى غير ذلك مما تقدم تفصيله •

Marfat.com

كمال آدابه العامة وسمته

كان صلى الله عليه وسلم يستعمل يده اليمنى في طعامه وطهوره وأخذه وعطائه ويستعمل يده اليسرى لخلائه وما به من أذى وكان اذا عطس خمر وجهه وأخفى عطسته وتلقاها بثوبه وكان اذا جلس قد يحتبى بيديه والاحتباء أن يجمع بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها وقد يتكىء على يساره . وكان أحيانا يستلقى في المسجد واضعا احدى رجليه على اخرى . وكان اذا مشى كأنه ينحط من صبب ــ أي يمشي بهمة وقوة . يقول أبو هريرة : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فكنت اذا مشيت سبقني واذا هرولت سبقته . ويقول ما رأيت احدا أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وانه غير مكترث . وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل الحسن من القول وكان يعجبه اذا خرج لحاجته ان يسمع يا راشد يا نجيح وسمع كلمة فأعجبته فقال للقائل أخذنا فألك من فيك(١) وكان اذا سره أمر استنار وجهه كأنه قطعة قمر . واذا غضب احمر وجهه واذا كره شيئا عرف ذلك في وجهه . واذا اشتد وجده أكثر من مس لحيته . وكان يكره الاسماء القبيحة ويغيرها وقد جاءته امرأة اسمها عاصية فقال : أنت جميلة وغير كثيرا من اسماء الصحابة من العاصي الى عبدالله .

---

(١) رواه أبو داود وقد رمز السيوطى لحسنه وهو له شواهد .

Marfat.com

وكانت يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا ومقلب القلوب » وكان يقول ايضا « والذى نفسي بيده » وتارة يقول « لا واستغفر الله » .

وكان اذا جلس مع اصحابه ثم اراد ان ينهض قال سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك . ويقول : هذا كفارة ما يكون في المجلس .

وقد لبس الصوف وحتذى المخصوف ولبس خشنا وأكل شبعا يقول انس فسألنا الحسن ما الشبع ؟ قال غليظ الشعير ما كان يشبعه الا بجرعة ماء .

وكان اذا أراد لبس ثوب جديد لبسه يوم الجمعة ويقول عند لبسه اللهم لك الحمد كما كسوتنيه اسألك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له .

وكان له صلى الله عليه وسلم خاتم من فضة نقشت فيه (محمد رسول الله) (محمد) في سطر (رسول) في سطر (ولفظ الجلالة) في سطر .

وكان في يده ثم كان في يد ابى بكر من بعده ثم كان في يد عمر ثم كان في يد عثمان حتى وقع منه بعد في بئر أريس(١) واختلفت الرواية هل كان يلبسه في يمينه او في يساره .

وكان صلى الله عليه وسلم يخضب احيانا بالحناء ، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر تسريح لحيته ورأسه بالماء .

---

(١) هو البئر الذى كان امام مسجد قباء وخبره في الصحيح وقد ردم الآن .

Marfat.com

يقول أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا أخذ مصجعه من الليل وضع له سواكه وطهوره ومشطه فاذا أهبه الله من الليل استاك وامتشط وكان يكثر دهن رأسه وينظر في المرآة ويقول الحمد لله الذى حسن خلقى وخلقى وزان منى ما شان من غيرى . الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين .

وكان يأخذ من طول لحيته وعرضها ويجز شاربه . وكان يحب الطيب ويقول حبب الي النساء والطيب وجعلت قرة عينى في الصلاة(١) وكان يتعطر بالمسك والعنبر ولكن كان العود كما تقول السيدة عائشة هو أحب الطيب اليه .

---

(١) رواه أحمد وهو حديث حسن .

Marfat.com

آدابــه في طعامــه

وكان من احب الطعام اليه الدباء والثريد والحلواء والعسل ومن اللحم الذراع ولحم الظهر والكتف والبقل واكل الخبز اليابس بالخل وأكل القثاء بالرطب والبطيخ بالرطب والقثاء بالملح . ومن انواع الطعام التى اكل منها صلى الله عليه وسلم الحيس والسمن والاقط والقديد والشواء ولحم الدجاج ولحم الحبارى وجمار النخل والتمر والرطب والعنب والخبيص وهو خليط من التمر والعسل والدقيق يطبخ على النار وكان يجتنب ما يؤذى ريحه كالثوم ونحوه او ما تعافه نفسه كالضب ولا يذم طعاما او يعيبه ان اشتهاه كله والا تركه ولا يأكل الصدقة ولا يأكل متكئا •

وكان يأكل مما يليه ويجلس على الارض ويأكل على الارض واذا فرغ من طعامه ورفعت مائدته قال : الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا . ويقول ايضا الحمد لله الذى يطعم ولا يطعم من علينا فهدانا وأطعمنا وسقانا الحمد لله الذى أطعم من الطعام وسقى من الشراب وكسى من العرى وهدى من الضلالة وبصر من العمى •

وكان يحمل اليه الماء العذب من اطراف المدينة المنورة •

وكان يختار الماء البائت لبرودته ؛ وكان يبرد له الماء في القرب الجلدية القديمة لانها تساعد على التبريد •

Marfat.com

وكان يشرب في قدح له من خشب غليظ مضبب بحديد وقدح آخر من زجاج وقد يتوضأ منه .

وكان يشرب فيه اللبن والسويق والعسل والنبيذ .

وكان أحب الشراب اليه اللبن ويقول اذا شربه اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وفي غيره اللهم بارك لنا فيه وابدلنا به ما هو خير منه(١) وكان احيانا يخلط اللبن بالماء ، وكان اذا شرب تنفس ثلاثا يحمد الله بعد فراغ شربه . واحيانا يحمد الله على كل نفس ويشكره عند آخرهن . وكان يشرب قاعدا وهو اكثر حاله وقد يشرب قائما وكان يسقى اصحابه بنفسه ثم يشرب بعدهم ويقول ساقى القوم آخرهم شربا(٢). وكان اذا شرب يناول من عن يمينه وقد جلس يوما عن يمينه غلام صغير وعن يساره كبار أصحابه فأتى بشراب فشرب منه وقال للغلام اتأذن في ان اعطى هؤلاء فقال لا اوثر بنصيبى منك أحدا . وكان صلى الله عليه وسلم يسمر مع نسائه يحدثهن ويستمع الى حديثهن قبل نومه ، وكان قبل نومه يتوضأ ويكتحل في كل عين ثلاثة امياك وينام على شقه الايمن ثم يقول اللهم انى اسلمت نفسي اليك ووجهت وجهى اليك وألجأت ظهرى اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجأ ولا منجى منك الا اليك آمنت بكتابك الذى انزلت ونبيك الذى ارسلت ويقول ان من قالهن ثم مات من ليلته مات على الفطرة(٣) فاذا استيقظ في نصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل

---

(١) رواه الترمذى وحسنه وابن ماجه والبيهقى في الشعب .
(٢) رواه أبو داود في الاشربه .
(٣) رواه البخارى .

Marfat.com

مسح وجهه بيده ثم قرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة آل عمران ثم توضأ وقام يصلى •

وكان صلى الله عليه وسلم اذا نام انما تنام عيناه ولا ينام قلبه الشريف •

وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم وينصح بالحجامة ويقول ان افضل ما تداويتم به الحجامة(١) •

وكان يتداوى بالحناء فاذا أصابته قرحة او نكبه امر أن يوضع عليها من الحناء . وكان يحب السفر في يوم الخميس والاثنين . واذا خرج يقول اللهم انت الصاحب في السفر والخليفة في الاهل اللهم انى اعوذ بك من الفتنة في السفر والكآبة في المنقلب اللهم اقبض لنا الارض وهون علينا السفر(٢) •

واذا ركب قال سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين(٣) واذا ودع مسافرا قال له استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك زودك الله التقوى وغفر ذنبك ولقاك الخير حيث توجهت(٤) واذا نزل في الطريق ليلا قال محاطبا تلك الارض : ربى وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ومن شر والد وما ولد(٥) •

---

(١) أخرجه الشيخان .
(٢) أخرجه مسلم .
(٣) أخرجه مسلم .
(٤) أخرجه الترمذى وهو صحيح .
(٥) أخرجه ابو داود والترمذى .

Marfat.com

وكان يصلى على راحلته في السفر ولكن صلاة النافلة لا الفريضة وكان اذا قدم من السفر قال آيبون تائبون لربنا حامدون(٦) فاذا دخل على اهله قال أوبا أوبا لربنا توبا لا يغادر علينا حوبا(٧) .

وكان لا يقدم من سفر الا نهارا في الضحى فاذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس يستقبل اصحابه للسلام عليه .

وكان لا يطرق أهله ليلا الا اذا كان عندهم علم او خبر عن قدومه .

وكان ينهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك .

---

(١) اخرجه الشيخان .

(٢) رواه البزار وابو يعلى .

Marfat.com

ولسوف يعطيك ربك فترضى

كمال مناقبه الحميدة وخصائصه الفريدة

Marfat.com

كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهره

اختص الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بأنواع من الفضائل والكرامات . وسنذكر اشهرها واصحها باختصار . وقد ذكرنا بعضها مفصلا في مواضع متفرقة من كتابنا هذا لكنا احببنا هنا اعادة ذكرها لتكون مجتمعة في موضع واحد .

فمنها انه اول النبيين خلقا وانه كان نبيا وادم بين الروح والجسد(١) .

وان الله اخذ الميثاق على النبيين آدم فمن بعده ان يؤمنوا به وينصروه قال الله تعالى : واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما أتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه » وانه وقع التبشير به في الكتب السالفة وانه لم يقع في نسبه من لدن آدم سفاح(٢) .

وانه رأت امه عند ولادته نورا خرج منها اضاء له قصور الشام(٣) وانه ظللته الغمامة في الحر(٤) وانه مال اليه فيء الشجرة اذ سبق اليه(٥) وانه شق صدره الشريف صلى الله عليه وسلم(٦) وانه غطه جبريل عند ابتداء الوحي ثلاث غطات وان الله تعالى ذكره في القرآن عظموا عظموا فذكر قلبه بقوه

---

(١) رواه الترمذى
(٢) رواه البيهقى وغيره .
(٣) رواه الامام أحمد .
(٤) رواه أبو نعيم وغيره .
(٥) رواه البيهقى .
(٦) رواه مسلم وغيره .

Marfat.com

« ما كذب الفؤاد ما رأى » وقوله « نزل به الروح الامين على قلبك » ولسانه بقوله « وما ينطق عن الهوى » وبقوله « فانما يسرناه بلسانك » وبصره بقوله « ما زاغ البصر وما طغى » ووجهه بقوله « قد نرى تقلب وجهك في السماء » ويده وعنقه بقوله « ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك » وظهره وصدره بقوله « الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك » وانه اشتق اسمه من اسم الله المحمود وقال حسان :

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

وانه سمى أحمد ولم يسم به احد قبله(١) .

وانه صلى الله عليه واله وسلم كان يبيت جائعا ويصبح ظاعما يطعمه ربه ويسقيه . وانه كان يرى من خلفه كما يرى من امامه(٢) . وانه كان يرى في الليل في الظلمة كما يرى بالنور والضوء(٣) . وان ريقه كان يعذب الماء الملح(٤) . وانه عليه الصلاة والسلام كان يبلغ صوته وسمعه ما لا يبلغ صوت غيره ولا سمعه . وأنه كان تنام عينه ولا ينام قلبه(٥) . وانه ما تثاءب قط(٦) . وانه صلى الله عليه واله وسلم ما احتلم قط وكذلك الانبياء(٧) . وان عرقه صلى الله عليه واله وسلم كان اطيب من المسك(٨) . وانه اذا مشى

---

(١) رواه مسلم
(٢) رواه مسلم
(٣) رواه البيهقى
(٤) رواه ابو نعيم
(٥) رواه البخارى
(٦) رواه ابن ابى شيبه وغيره واخرج الخطابى ما تثاءب نبى قط
(٧) رواه الطبرانى
(٨) رواه ابو نعيم وغير

Marfat.com

مع الطويل طاله(١) •

وان الكهنة انقطعوا عند مبعثه صلى الله عليه واله وسلم كما انقطع استراق السمع •

وانه صلى الله عليه واله وسلم اتى بالبراق ليلة الاسراء مسرجا ملجما قيل وكانت الانبياء عليهم الصلاة والسلام تركبه عريانا وانه اسرى به صلى الله عليه واله وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وعرج به الى المحل الاعلى ، وأراه الله تعالى من آياته الكبرى وحفظ في المعراج حتى ما زاغ البصر وما طغى واحضر الانبياء له عليهم الصلاة والسلام وصلى بهم وبالملائكة اماما واطلعه على الجنة والنار وانه رأى الله تعالى وجمع له بين الكلام والرؤية وكلمه تعالى في الرفيق الاعلى وكلم موسى بالجبل وان الملائكة تسير معه حيث سار يمشون خلف ظهره وقاتلت معه في غزوة بدر وحنين •

وانه يجب علينا ان نصلي ونسلم عليه صلى الله عليه واله وسلم الآية « ان الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » •

وانه أوتي الكتاب العزيز وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة •

وان الله تعالى حفظ كتابه المنزل عليه وهو القرآن من

---

(١) رواه البيهقي .

Marfat.com

التبديل والتحريف قال تعالى : « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » وقال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » أي من التحريف والزيادة والنقصان فلو حاول احد ان يغيره بحرف او نقطة لقال له أهل الدنيا هذا كذاب حتى ان الشيخ المهيب لو اتفق له تغيير في حرف منه لقال الصبيان كلهم أخطأت أيها الشيخ وصوابه كذا ولم يتفق ذلك لغيره من الكتب فانه لا كتاب الا وقد دخله التصحيف والتحريف والتغيير سواه مع ان دواعي الملحدة واليهود والنصارى متوفرة على ابطاله وافساده وان كتابه يشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب . وانه تعالى يسر حفظه على متعلميه قال تعالى « ولقد يسرنا القرآن للذكر » فحفظه ميسر للغلمان في اقرب مدة وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد منهم فكيف بالعجم الغفير . وانه انزل على سبعة احرف تسهيلا علينا وتيسيرا ؛ وانه آية باقية ما بقيت الدنيا وانه عليه الصلاة والسلام خص بآية الكرسي وبالمفصل وبالمثاني وبالسبع الطوال اما المفصل فآخره قل أعوذ برب الناس وفي اوله خلاف ورجح النووي انه سورة الحجرات والمثاني هي سورة الفاتحة(١) والسبع الطوال اولها البقرة وآخرها الانفال .

وانه صلى الله عليه واله وسلم اعطى مفاتيح الخزائن ؛ قال بعضهم وهي خزائن اجناس العالم ليخرج لهم بقدر ما يطلبونه لذواتهم فكل ما ظهر من رزق العالم فان الاسم الالهي لا يعطيه الا عن يد محمد صلى الله عليه واله

---

(١) رواه البخاري من حديث ابي هريرة

Marfat.com

وسلم الذى بيده المفاتيح كما اختص تعالى بمفاتيح الغيب فلا يعلمها الا هو واعطى هذا السيد الكريم منزله الاختصاص باعطائه مفاتيح الخزائن . وانه صلى الله عليه واله وسلم اوتى جوامع الكلم •

وانه صلى الله عليه واله وسلم بعث الى الناس كافة •

فقد جاء في حديث جابر وغيره عنه صلى الله عليه واله وسلم انه قال كان النبى يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى كل احمر واسود • وفي رواية : الى الناس كافة . ونصره صلى الله عليه وسلم بالرعب مسيرة شهر . واحلال الغنائم ولم تحل لاحد قبله . وجعل الارض له ولامته مسجد وطهورا •

وان معجزته صلى الله عليه وسلم مستمرة الى يوم القيامة ومعجزات سائر الانبياء انقرضت لوقتها فلم يبق الا خبرها والقرآن العظيم ثم تبقى حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة •

وانه صلى الله عليه وسلم خاتم الانبياء والمرسلين •

وانه صلى الله عليه وسلم أكثر الانبياء معجزة . وان شرعه مؤبد الى يوم الدين وناسخ لجميع شرائع النبيين . وانه صلى الله عليه واله وسلم اكثر الانبياء تابعا يوم القيامة . وانه صلى الله عليه واله وسلم لو ادركه الانبياء لوجب عليهم اتباعه . وانه صلى الله عليه واله وسلم ارسل الى الجن اتفاقا . وانه صلى الله عليه واله وسلم أرسل الى الملائكة في احدى

Marfat.com

القوا ين ورجحه السبكى . وانه صلى الله عليه واله وسلم ارسل رحمة للعالمين •

وان الله تعالى خاطب جميع الانبياء بأسماءهم في القرآن فقال يا آدم • يا نوح • يا ابراهيم • يا داود • يا زكريا • يا يحيى • يا عيسى• ولم يخاطبه هو فيه الا بيا أيها الرسول ويا أيها النبى ويا أيها المزمل ويا أيها المدثر . وانه صلى الله عليه واله وسلم حرم على امته نداؤه باسمه قال الله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » ــ أي لا تجعلوا نداءه وتسميته كنداء بعضكم بعضا باسمه ورفع الصوت به ولكن قولوا : يا رسول الله يا نبى الله مع التوقير والتواضع وخفض الصوت ؛ وانه صلى الله عليه واله وسلم يحرم الجهر له بالقول قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون » وانه صلى الله عليه واله وسلم يحرم نداؤه من وراء الحجرات قال الله تعالى : « ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون.ولو انهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم» وانه صلى الله عليه واله وسلم حبيب الله تعالى وجمع له بين المحبة والخلة وانه تعالى اقسم على رسالته وبحياته وببلده وعصره • وانه صلى الله عليه واله وسلم كلم بجميع اصناف الوحى •

وانه صلى الله عليه واله وسلم هبط عليه اسرافيل ولم يهبط على نبى قبله اخرجه الطبرانى من حديث ابن عمر

Marfat.com

سمعت رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يقول لقد هبط علي ملك من السماء ما هبط على نبى قبلى ولا يهبط على أحد بعدى وهو اسرافيل فقال أنا رسول ربك اليك امرنى ان أخيرك ان شئت نبيا عبدا وان شئت نبيا ملكا فنظرت الى جبريل فأومأ الي ان تواضع فلو أنى قلت نبيا ملكا لصارت الجبال معى ذهبا •

وانه صلى الله عليه واله وسلم سيد ولد آدم . رواه مسلم من حديث ابى هريرة بلفظ انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر ؛ وانه صلى الله عليه واله وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؛ قال تعالى « ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر » قال البيضاوى أي جميع ما فرط منك مما يصح ان تعاتب عليه وانه صلى الله عليه واله وسلم اكرم الخلق على الله فهو أفضل من كل المرسلين وجميع الملائكة المقربين •

وانه صلى الله عليه واله وسلم اسلم قرينه(١) وان الميت يسأل عنه صلى الله عليه واله وسلم في قبره •

وانه صلى الله عليه واله وسلم حرم نكاح ازواجه من بعده قال تعالى : « وازواجه امهاتهم » أي هن في الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة وخصوصية وان اولاد بناته صلى الله

---

(١) رواه مسلم

Marfat.com

عليه واله وسلم ينسبون اليه قال عليه الصلاة والسلام في الحسن ان ابني هذا سيد وان كل نسب وسبب منقطع يوم القيامة الا نسبه وسببه . قال عليه الصلاة والسلام : كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة الا سببي ونسبي والنسب وبالولادة والسبب بالزواج .

وانه لا يجوز التزوج على بناته لان ذلك يؤذيه واذيته صلى الله عليه وآله وسلم حرام بالاتفاق . فعن المسور ابن مخرمة ان علي بن أبي طالب خطب بنت ابي جهل وعنده فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان قومك يتحدثون انك لا تغضب لبناتك وهذا علي ناكح ابنة ابي جهل قال المسور . فقام النبي صلى الله عليه وسلم فسمعته حين تشهد قال : أما بعد فاني انكحت أبا العاص بن الربيع فحدثني فصدقني وان فاطمة بنت محمد بضعة مني وانا أكره ان يفتنوها وانه : والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد ابدا . قال : فترك علي الخطبة(١) . وفي رواية للشيخين عن المسور أيضا فان ابنتي بضعة مني يريبني ما رابها ويؤذيني ما آذاها .

وانه صلى الله عليه وسلم لا يجتهد احد في محرابه صلى الله عليه وآله وسلم بسنة ولا بسرة .

وانه صلى الله عليه وسلم من رآه بالمنام فقد رآه حقا فان

---

(١) اخرجه الشيخان

Marfat.com

الشيطان لا يتمثل به ، وفي رواية مسلم : من رآني في المنام فسيراني في اليقظة ، وليس لاحد ان يتكنى بكنية ابى القاسم سواء كان اسمه محمد أم لا عند الشافعي وجوزه مالك •

ومن خصائصه عليه الصلاة والسلام انه تثبت الصحبة لمن اجتمع به لحظة بخلاف التابعى مع الصحابى فلا تثبت الا بطول الاجتماع معه على الصحيح عند اهل الاصول ، والفرق عظم منصب النبوة ونورها فبمجرد ما يقع بصره على الاعرابى الجلف ينطق بالحكمة وان اصحابه كلهم عدول قال الله تعالى خطابا للموجودين حينئذ « وكذلك جعلناكم امة وسطا » أي عدولا وقال عليه الصلاة والسلام لا تسبوا اصحابى فو الذى نفسي بيده لو انفق احدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه . وقال عليه الصلاة والسلام خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم •

ومن خصائصه صلى الله عليه وسلم ان المصلى يخاطبه بقوله السلام عليك ايها النبى ولا يخاطب غيره . وانه كان يجب على من دعاه وهو في الصلاة ان يجيبه . وان الكذب عليه ليس كالكذب على غيره فمن كذب عليه لم تقبل روايته ابدا وان تاب على المشهور عند اهل الاصول وانه صلى الله عليه واله وسلم معصوم من الذنوب كبيرها وصغيرها عمدها وسهوها وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام . وانه لا يجوز عليه الجنون ولا الاغماء الطويل الزمن ولا العمى لانه نقص وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام وان من سبه او انتقصه

Marfat.com

قتل(١) .

ومن خصائصه صلى الله عليه واله وسلم انه كان يخص من شاء بما شاء من الاحكام كجعله شهادة خزيمة شهادة رجلين فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى من اعرابى فرسا فجحده الاعرابى فجاء خزيمة فقال يا أعرابى انا اشهد عليك انك بعته فقال الاعرابى ان شهد علي خزيمة فأعطنى الثمن ، فقال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يا خزيمة انك لم تشهد فكيف تشهد قال انا أصدقك على خبر السماء الا اصدقك على خبر هذا الاعرابى فجعل رسول الله صلى الله عليه واله وسلم شهادته بشهادة رجلين فلم يكن في الاسلام من تعدل شهادته شهادة رجلين الا خزيمة .

ومن ذلك ترخيصه في النياحة لام عطية . روى مسلم عنها قالت لما نزلته هذه الآية « يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا الى قوله ولا يعصينك في معروف » قالت كان منه النياحة فقلت يا رسول الله الا آل فلان فانهم كانوا أسعدونى في الجاهلية فلا بد لي من أن أسعدهم فقال الا آل فلان .

ومن ذلك ترك الا حداد لاسماء بنت عميس أخرج ابن سعد عن اسماء بنت عميس قالت لما أصيب جعفر ابن ابى طالب قال لى رسول الله صلى الله

---

(١) ذكره القاضي عياض في الشفاء وغيره واستدلوا له بالكتاب والسنة والاجماع . وقال الخطابى لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما ومذهب المالكية يقتل حدا لا ردة ولا تقبل توبته ولا عذره ان ادعى سهوا او غلطا ومذهب الشافعية ان ذلك ردة تخرج من الاسلام الى الكفر فهو مرتد كافر قطعا .

Marfat.com

عليه وسلم تسلبى ثلاثا ثم اصنعى ما شئت(١) •

ومن ذلك الاضحية بالعناق لابى بردة بن نيـــار(٢) وفي اعتبار ذلك خصوصية خلاف •

ومن ذلك انكاح ذلك الرجل بما معه من القرآن فقد زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة على سورة من القرآن ــ وفي اعتبار ذلك خصوصية خلاف ــ وقال لا تكون لاحد بعدك مهرا •

وانه صلى الله عليه وسلم كان يوعك كما يوعك رجلان لمضاعفة الثواب والوعك : أذى الحمى ووجعها في البدن •

وانه صلى الله عليه وسلم صلى عليه الناس افواجا أفواجا بغير امـــام وبغير دعاء الجنازة المعروف(٣) وترك بلا دفن ثلاثة أيام وفرش له في لحـــده قطيفة والامران مكروهان في حقنا •

وأنه لا يبلى جسده الشريف صلى الله عليه وسلم وكـــذلك الانبيـــاء عليهم الصلاة والسلام(٤) •

وانه صلى الله عليه وسلم لا يورث وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام لا يورثون قال صلى الله عليه وسلم : انا معاشر الانبياء لا نورث(٥) •

---

(١) وقوله تسلبى أي البسى ثوب الحداد وهو السلاب وتسلبت المرأة اذا لبسته وهو ثوب اسود تغطي به المحد رأسها .
(٢) العناق الانثى من ولد المعز قبل استكمالها الحول .
(٣) ذكره البيهقي وغيره .
(٤) رواه ابو داود وغيره .
(٥) رواه النسائي من حديث الزبير مرفوعا وأصله في الصحيح .

Marfat.com

وانه وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملك يبلغه صلاة المصلين عليه(١) وصححه الحاكم بلفظ : ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغونني عن امتي السلام . وعند الاصبهاني عن عمار : ان لله ملكا اعطاه سمع العباد كلهم فما من أحد يصلي علي الا أبلغنيها . وانه تعرض اعمال امته صلى الله عليه وسلم عليه ويستغفر لهم .

فقد ثبت انه ليس من يوم الا وتعرض على النبي صلى الله عليه وسلم اعمال امته غدوة وعشية فيعرفهم بسيماهم وأعمالهم(٢) وان منبره صلى الله عليه وسلم على حوضه كما في الحديث . وفي رواية : ومنبري على ترعة من ترع الجنة(٣) ولم يختلف احد من العلماء انه على ظاهره . وانه حق محسوس موجود فان القدرة صالحة لا عجز فيها وكل ما اخبر به الصادق صلى الله عليه وسلم من أمور الغيب فالايمان به واجب . وان ما بين منبره وقبره صلى الله عليه وسلم روضة من رياض الجنة(٤) .

وانه صلى الله عليه وسلم أول من ينشق عنه القبر قال صلى الله عليه وسلم : أنا أول من تنشق عنه الارض(٥) .

وانه صلى الله عليه وسلم يحشر في سبعين الفا من الملائكة وما من فجر يطلع الا نزل سبعون الف ملك يحفون بقبره

---

(١) رواه الامام أحمد وغيره .
(٢) رواه ابن المبارك عن سعيد بن المسيب .
(٣) واصل الترعة الروضة على المكان المرتفع خاصة فان كانت في المطمئن فهي روضة .
(٤) رواه البخاري بلفظ ما بين بيتي ومنبري .
(٥) رواه مسلم .

Marfat.com

صلى الله عليه وسلم يضربون بأجنحتهم حتى اذا أمسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم وهو صلى الله عليه وسلم اول من يجوز على الصراط(١) وانه يحشر راكبا البراق(٢) •

وانه صلى الله عليه وسلم يكسي في الموقف اعظم الحلل من الجنة . قال صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة فأكون أنا وامتى على تل ويكسونى ربى حلة خضراء(٣) •

وانه صلى الله عليه وسلم يقوم على يمين العرش مقاما لا يقومه غيره يغبط فيه الاولون والآخرون(٤) •

وانه صلى الله عليه وسلم يعطى المقام المحمود •

---

(١) رواه البخارى
(٢) رواه الحافظ السلفى
(٣) رواه كعب بن مالك
(٤) رواه ابن مسعود

Marfat.com

افضليته على سائر الانبياء

أول ما يدل على ذلك اوليته صلى الله عليه وسلم ومعناها خلق نفسه قبل خلق نفوسهم ومما يدل على اوليته صلى الله عليه وسلم ما رواه عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : ان الله عز وجل كتب مقادير الخلق قبل ان يخلق السموات والارض بخمسين الف سنة وكان عرشه على الماء •

ومن جملة ما كتب في الذكر وهو ام الكتاب ــ ان محمدا خاتم النبيين اخرجه مسلم ــ وفي رواية اني عند الله خاتم النبيين وان آدم مجندل في طينته رواه احمد والبيهقي والحاكم وقال صحيح الاسناد •

وفي رواية انه قيل له : متى وجبت لك النبوة ؟ فقال : وآدم بين الروح والجسد رواه الترمذي وحسنه •

وفي رواية كنت اول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث قال السخاوي : رواه ابو نعيم في الدلائل وابن أبي حاتم في تفسيره وابن لال ومن طريقه عن أبي هريرة مرفوعا وله شاهد صححه الحاكم وآخر في صحيحي ابن حبان والحاكم وثالث عند الترمذي وقال عنه حسن صحيح •

٢ ــ ومن ذلك : انه أخذ له الميثاق على الانبياء فقال عز وجل :

Marfat.com

« واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه »(١) .

فجعل الانبياء كاتباع له والهمهم الانقياد فلو ادركوه وجب عليهم اتباعه.

وقد قال عليه الصلاة والسلام «لو كان موسى حيا ما وسعه الا اتباعى».

وقدم ذكره على الانبياء فقال عز وجل « انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده »(٢) .

٣ ــ وخاطب كل نبى باسمه فقال تعالى « يا آدم اسكن(٣) . يا نوح اهبط(٤) ، يا ابراهيم اعرض(٥) ، يا موسى انى اصطفيتك على الناس(٦) . يا داود انا جعلناك(٧) . يا عيسى بن مريم(٨) . يا زكريا انا نبشرك(٩) . يا يحيى خذ الكتاب(١٠) ، ولم يخاطب نبينا بالاسم تعظيما له بل قال : يا ايها النبى(١١) . يا ايها الرسول(١٢) ، فلما ذكر اسمه للتعريف قرنه بذكر الرسالة قال تعالى « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل(١٣) وقال محمد رسول الله(١٤) وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق(١٥) ولما ذكره مع الخليل ذكر الخليل باسمه وذكره باللقب فقال تعالى ان اولى الناس بابراهيم اللذين اتبعوه وهذا النبى(١٦) .

---

(١) سورة آل عمران ٨١
(٢) سورة النساء ١٦٣
(٣) سورة البقرة ٣٥
(٤) سورة هود ٤٨
(٥) سورة هود ٧٦
(٦) سورة الاعراف ١٤٤
(٧) سورة ص ٢٦
(٨) سورة المائدة ١١٠
(٩) سورة مريم ٧
(١٠) سورة مريم ١٣
(١١) سورة الحزب ١
(١٢) سورة المائدة ١٢
(١٣) سورة آل عمران ١٤٤
(١٤) سور ةالفتح ٢٩
(١٥) سورة محمد ٣
(١٦) آل عمران ٦٨

Marfat.com

٤ ـ وأخبر الله تعالى ان الامم كانوا يخاطبون انبياءهم بأسمائهم كقولهم : يا هود ما جئتنا ببينة(١) . يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا(٢) يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة(٣) يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك(٤) ونهى امته ان يخاطبوه بمثله فقال تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا »(٥) .

عن ابن عباس في قوله تعالى « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » قال : لا تقولوا يا محمد قولوا : يا رسول الله .

وقد كانت الانبياء يجادلون امتهم عن انفسهم يقول قوم نوح « انا لنراك في ضلال مبين(٦) فقال دافعا عن نفسه : ليس بي ضلالة . وقال قوم هود : انا لنراك في سفاهة . فقال : ليس بي سفاهة(٧) . وقال فرعون لموسى : اني لاظنك يا موسى مسحورا(٨) . فقال موسى : اني لاظنك يا فرعون مثبورا(٩) » .

ولكن الله تولى المجادلة عن نبيه صلى الله عليه وسلم فلما قالوا

---

(١) سورة هود ٥٣
(٢) سورة هود ٦٢
(٣) سورة الاعراف ٣٨
(٤) سورة المائدة ١١٣
(٥) سورة النور ٦٣
(٦) سورة الاعراف ٦٠
(٧) سورة الاعراف ٦٧
(٨) سورة الاسراء ١٠١
(٩) سورة الاسراء ١٠٣

Marfat.com

هو شاعر قال الله تعالى : وما علمناه الشعر(١) ، ولما قالوا : كاهن . قال الله تعالى : ولا بقول كاهن(٢) ، ولما قالوا : ضال ، قال الله تعالى : ما ضل صاحبكم(٣) ، ولما قالوا : مجنون . قال الله تعالى : ما انت بنعمة ربك بمجنون(٤) • ولما قالوا « انما أنت مفتر » قال في الرد عليهم « بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس » وقال « انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون » سورة النحل • ولما قالوا « انما يعلمه بشر » قال في الرد عليهم « لسان الذى يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين » سورة النحل•

٦ ــ واقسم الحق سبحانه وتعالى بحياته وانما يقع القسم بالمعظم ــ عن ابن عباس قال : ما خلق الله تعالى وما ذرأ نفسا هى اكرم من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره فقال : لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون(٥) •

٧ ــ قال ابن عقيل : واعظم من قوله لموسى : واصطنعتك لنفسى(٦) قوله : ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله(٧) •

٨ ــ وقوله : لا أقسم بهذا البلد . وانت حل بهذا البلد(٨) . المعنى . اقسم لا بالبلد فان اقسمت بالبلد فلأنك فيه « انتهى » •

أقول وظهر لى معنى آخر . وهو أن الحق تبارك وتعالى يقول لا اقسم

---

(١) سورة يس ٦٩
(٢) سورة الحاقة ٤٢
(٣) سورة النجم ٢
(٤) سورة ن ٢
(٥) سورة الحجر ٧٢
(٦) سورة طه ٤١
(٧) سورة الفتح ١٠
(٨) سورة البلد ١ ، ٢

Marfat.com

بهذا البلد . أي ان هذا البلد ولو كان عظيما فلا أقسم به لانك حل به يا محمد وانت أعظم منه فانا أقسم بـك انت اذ كيـف اقسم بالعظيم وفيه الاعظم والاكـرم .

٩ ـ وقد اشار الله تعالى الى احوال الانبياء ثم ذكر التوبة عليهم . قال الله تعالى : وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى(١) وقال في حق موسى : انى قتلت منهم نفسا(٢) . ثم قال رب اغفر لى فغفر له ـ وقال في حق داود : لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه وان كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض(٣) . ثم قال فغفرنا له ذلك . وقال : ولقد فتنـا سليمان(٤) . ثم قال : واناب وأخبر تعالى بغفران ذنب نبينا من غير ان يذكر له ذنبا فقال : ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر(٥) .

١٠وقد كان الانبياء يطلبون تحقيق بعض المراتب والكمالات لانفسهم بخلاف سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فان الله من عليه بتلك المقامـات وتفضل بها عليه من غير طلب وهذا باب من العلم جليل القدر وفيه من الفضل ما شرح الله تعالى به صدرى وسأورد ما ورد على قلبى من تلك الامثلة :

فان كان ابراهيم كسر الاصنام فقد رمى نبينا صلى الله عليه وسـلم هبل من أعلى الكعبة ثم أشار الى ثلاثمائة وستين صنما فوقعت يوم الفتـح كما ثبت في الصحيح .

---

(١) سورة طه ١٢١ ـ ١٢٢
(٢) سورة القصص ٣٣
(٣) ص ٣٤
(٤) ص ٣٤
(٥) سورة الفتح ٢

Marfat.com

وان كان هود نصر على قومه بالدبور فقد نصر نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبا فمزقت اعداءه يوم الخنـــدق •

وان كان لصالح ناقة فقد سجدت الابل لنبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ثبت ذلك في السنة المطهرة •

وان اعطى يوســف نصف الحســن فقــد اعطيَ صــلى الله عليــه وسلم ــ الحسن كله ــ كما جاء في الحديث •

وان كان الحجر انفجر لموسى فقد نبع الماء من بين اصابع نبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أعجب لانه لا غرابة في خروج الماء من الحجارة بل الشأن في خروج الماء من بين لحم ودم •

وان كان لموسى عليه السلام عصا فان خوار الجذع وحنينه اعجب من ذلك وقصة حنين الجذع ثابتة في الصحيح وهو انه صلى الله عليه وسلم كان يخطب عند جذع جعل له ، فلما بنى له المنبر ترك الجذع فحن الجذع اليه حتى كان يسمع له انين كانين الثكلى •

وان كانت الجبال سبحت مع داود فقد ثبت ان الحصا سبحت في كف نبينا صلى الله عليه وسلم •

وان كان سليمان اعطى ملك الدنيا فقد جيء لنبينا صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الارض فأباها •

وان كانت الريح سخرت لسليمان غدوها شهر ورواحها شهر فنبينـا صلى الله عليه وسلم سار الى بيت المقدس مسيرة شهر في بعض ليلة وسار

Marfat.com

الرعب بين يديه مسيرة شهر كما قال في الحديث الصحيح نصرت بالرعب مسيرة شهر وعرج به مسيرة خمسين الف سنة الى العرش •

وان كان سليمان فهم كلام الطير فقد فهم نبينا صلى الله عليه وسلم كلام البعير الذى جاء يشتكى صاحبه وفهم كلام الحجر لما سلم عليه وغير ذلك •

وان كانت الجن سخرت لسليمان فقد جاءت الى نبينا صلى الله عليه وسلم طائفة من الجن مؤمنة به كما ثبت ذلك في القرآن •

وقد كان سليمان يصفد من عصاه منهم فلما تفلت عفريت على نبينا صلى الله عليه وسلم تمكن منه وأسره ثم أطلقه وقال لولا ان أخى سليمان قال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من العالمين لربطته في سارية من سوارى المسجد يلعب به الصبيان او كما قال وهو في الصحيح •

وقد كانت الجن اعوانا لسليمان يخدمونه ونبينا صلى الله عليه وسلم اعوانه الملائكة يقاتلون بين يديه ويدفعون اعداءه كما ثبت ذلك في بدر وحنين

وان كان عيسى يخبر بالغيوب فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم كثير من ذلك مع كثير من الناس •

Marfat.com

كمال تفضيله في الآخرة بأوليات ليست لغيره

هو أول من تنشق عنه الارض وأول شافع وأول مشفع وأول من يؤذن له بالسجود واول من ينظر الى رب العالمين والخلق محجوبون عن رؤيته اذ ذاك واول الانبياء يقضى بين امته واولهم اجازة على الصراط بأمته وأول داخل الى الجنة وأمته أول الامم دخولا اليها وزاده من لطائف التحف ونفائس الطرف ما لا يحد ولا يعد .

فمن ذلك انه يبعث راكبا وتخصيصه بالمقام المحمود ولواء الحمد تحته آدم فمن دونه من الانبياء واختصاصه ايضا بالسجود لله تعالى أمام العرش وما يفتحه الله عليه في سجوده من التحميد والثناء عليه ما لم يفتحه على أحد قبله ولا يفتحه على أحد بعده زيادة فى كرامته وقربه وكلام الله له يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع ولا كرامة فوق هذا الا النظر اليه تعالى .

ومن ذلك تكراره الشفاعة وسجوده ثانية وثالثة وتجديد الثناء عليه سبحانه بما يفتح الله عليه من ذلك وكلام الله تعالى له في كل سجدة يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع .

ومن ذلك : قيامه عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق

Marfat.com

يقوم ذلك المقام غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون وشهادته بين الانبياء وامتهم بأنهم بلغوهم وسؤالهم منه الشفاعة ليريحهم من غمهم وعرقهم وطول وقوفهم وشفاعته في اقوام قد امر بهم الى النار . ومنها الحوض الذى ليس في الموقف اكثر او انى منه وان المؤمنين كلهم لا يدخلون الجنة الا بشفاعته •

ومنها انه يشفع في رفع درجات اقوام لا تبلغها اعمالهم وهو صاحب الوسيلة التى هى اعلى منزلة في الجنة الى غير ذلك مما يزيده الله تعالى به جلالة وتعظيما وتبجيلا وتكريما على رءوس الاشهاد من الاولين والآخرين والملائكة جميعين ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم •

فاما تفضيله صلى الله عليه وسلم بأولية انشقاق القبر المقدس عنه وغيره مما تقدم ذكره فاليك بعض نصوص الاحاديث الواردة في ذلك •

فروى مسلم من حديث أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة وانا اول من ينشق عنه القبر واول شافع واول مشفع •

وفي حديث ابى سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدى لواء الحمد ولا فخر وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائى وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر رواه الترمذى وقال حسن صحيح •

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا أول من تنشق عنه الارض ثم ابوبكر ثم عمر ثم آتى اهل البقيع فيحشرون

Marfat.com

معى ثم انتظر اهل مكة حتى نحشر بين الحرمين . رواه ابو حاتم . وقال الترمذى حسن صحيح ومعنى نحشر نجتمع .

وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا وانا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا أيسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدى ولواء الحمد يومئذ وأنا أكرم ولد آدم على ربى يطوف على (بتشديد الياء) ألف خادم كأنهم بيض مكنون او لؤلؤ منثور رواه الدرامى والترمذى وقال غريب.

وفي حديث رواه صاحب كتاب حادى الارواح العلامة ابن القيم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادى بالاذان .

واخرج الحاكم والطبرانى من حديث ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تبعث الانبياء على الدواب وابعث على البراق ويبعث بلال على ناقة من نوق الجنة ينادى بالاذان محضا وبالشهادة حقا حتى اذا قال أشهد ان محمدا رسول الله شهد له المؤمنون من الاولين والآخرين وفي رواية فاذا سمعت الانبياء وامسها اشهد ان محمدا رسول الله قالوا نحن نشهد على ذلك .

وعن كعب ابن الاحبار انه دخل على عائشة رضي الله عنها فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كعب ما من فجر يطلع الا نزل سبعون الفا من الملائكة حتى يحفون بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم حتى اذا امسوا عرجوا وهبط سبعون الف ملك يحفون

Marfat.com

بالقبر ويضربون بأجنحتهم ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم سبعون الفا بالليل وسبعون الفا بالنهار حتى اذا انشقت عنه الارض خرج في سبعين الفا من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وسلم •

وعن ابى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنشق عنه الارض فاكسي حلة من حلل الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيرى ، رواه الترمذى وقال حسن صحيح . وفي رواية كعب حلة خضراء •

وأخرج البيهقى أول من يكسي من الجنة ابراهيم يكسي حلة من الجنة ويؤتى بكرسي فيطرح عن يمين العرش ثم يؤتى بى فأكسي حلة من الجنة لا يقوم لها البشر وفيه انه يجلس على الكرسي عن يمين العرش •

وفي حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عند الشيخين حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن ورائحته أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه شربة لا يظمأ ابدا •

وفي رواية مسلم وزواياه سواء طوله كعرضه وزاد في حديث امامة ولم يسود وجهه ابدا وزاد في حديث أنس ومن لم يشرب منه لم يرو أبدا . رواه البزار والطبرانى في الاوسط وفي حديث ثوبان عند الترمذى وصححه الحاكم اكثر الناس عليه ورودا فقراء المهاجرين قال القرطبى في التذكرة ذهب صاحب القوت وغيره الى أن الحوض يكون بعد الصراط وذهب آخرون الى العكس •

Marfat.com

وفي حديث ابى ذر ما رواه مسلم ان الحوض يشجب فيه ميزابان من الجنـــة •

وعن أنس قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشفـع لى يوم القيامة فقال انا فاعل انشاء الله قلت فأين اطلبك قال اول ما تطلبنـى على الصراط قلت فان لم ألقك على الصراط قال فاطلبنى عند الميزان قلت فان لم القك عند الميزان فاطلبنى عند الحوض فانى لا اخطىء هذه الثلاثـة مواطن ، رواه الترمذى وحسنه •

قال القرطبى في المفهم مما يجب على كل مكلف ان يعلمه ويصدق به انه تعالى قد خص نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم بالحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه في الاحاديث الصحيحة الشهيرة التى يحصل بمجموعها العـلم القطعى اذ روى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم من الصحابة نيف على ثلاثين منهم في الصحيحين ما يزيد على العشرين وفي غيرهما بقية ذلك كما صح نقله واشتهرت رواته ثم رواه عن الصحابة المذكورين من التابعين امثالهم ومن بعدهم اضعاف اضعافهم وهلم جرا واجتمع على اثباته السلف واهل السنة من الخلف •

وفي رواية مسلم من حديث ابى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ترد على امتى الحوض وانا أذوذ الناس عنه كما يذود الرجل عن ابلـه قالوا يا رسول الله تعرفنا قال نعم لكم سيما ليست لاحد غيركم تردون على غرا محجلين من آثار الوضوء •

وفي حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال : لحوضى اربعة اركان

Marfat.com

الاول بيد ابى بكر الصديق والثانى بيد عمر الفاروق والثالث بيد عثمان ذى النورين والرابع بيد على بن ابى طالب فمن كان محبا لابى بكر مبغضا لعمر لا يسقيه ابوبكر ومن كان محبا لعلي مبغضا لعثمان لا يسقيه علي رواه ابو سعيد النيسابورى •

واما تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام المحمود فقد قال تعالى « عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا » •

واتفق المفسرون على ان كلمة (عسى) من الله واجب وقد اختلف في تفسير المقام المحمود على أقوال اولها ورجحه الفخر الرازى واجمع عليه المفسرون كما قاله الواحدى انه مقام الشفاعة ووردت الاخبار الصحيحة في تقرير هذا المعنى كما في البخارى من حديث ابن عمر . قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المقام المحمود فقال هو الشفاعة وفيه ايضا عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الناس يصيرون يوم القيامة جثى اي جماعات كل أمة تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا حتى تنتهى الشفاعة الي فذلك المقام المحمود ومما يؤيد هذا الدعاء المشهور وابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والآخرون •

القول الثانى قال حذيفة يجمع الله الناس في صعيد واحد فلا تكلم نفس فأول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهتدى من هديت وعبدك بين يديك وبك واليك ولا ملجأ منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا هو المراد من

Marfat.com

قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا رواه الطبرانى قال ابن منده حديث مجمع على صحة اسناده وثقة رجاله •

القول الثالث : مقام تحمد عاقبته فان قلت اذا قلنا بالمشهور ان المراد بالمقام المحمود الشفاعة فاى شفاعة هى فالجواب ان الشفاعة التى وردت في الاحاديث في المقام المحمود نوعان :

النوع الاول العامة في فصل القضاء . والثانى في الشفاعة في اخراج المذنبين من النار لكن الذى يتجه رد هذه الاقوال كلها الى الشفاعة العامة فان اعطاءه لواء الحمد وثناءه على ربه وكلامه بين يديه هى صفات للمقام المحمود الذى يشفع فيه ليقضي بين الخلق . واما الشفاعة في اخراج المذنبين من النار فمن توابع ذلك وقد جاءت الاحاديث التى بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبى المؤمنين فعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أريت ما تلقى أمتى من بعدى وسفك بعضهم دماء بعض فأحزننى وسبق لهم من الله ما سبق للامم فسألت الله ان يوتينى فيهم شفاعة يوم القيامة ففعل •

وفي حديث ابى هريرة لكل نبى دعوة مستجابة يدعو بها واريد ان اختبىء دعوتى شفاعة لامتى في الآخرة وفي رواية أنس فجعلت دعوتى شفاعة لامتى وهذا من مزيد شفقته صلى الله عليه وسلم علينا وحسن تصرفه حيث جعل دعوته المجابة في أهم اوقات حاجاتنا جزاه الله عنا احسن الجزاء •

وقد قال النووى الشفاعات خمس :

Marfat.com

الاولى : في الاراحة من هول الموقف •

الثانية في ادخال قوم الجنة بغير حساب •

الثالثة في ادخال قوم حوسبوا واستحقوا العذاب ان لا يعذبوا •

الرابعة : في اخراج من ادخل النار من العصاة •

الخامسة : في رفع الدرجات في الجنة •

والمختص به صلى الله عليه وسلم الاولى والثانية •

واما تفضيله بانه أول من يقرع باب الجنة وأول من يدخلها ففى صحيح مسلم في كتاب الايمان عن أنس قال قال صلى الله عليه وسلم انا اكثر الناس تابعا يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة •

وفي الصحيح ايضا يقول صلى الله عليه وسلم آتى باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد قبلك •

وهذه الاولية تنالها الامة المحمدية ايضا اكراما لنبيها محمد صلى الله عليه وسلم فهم ايضا أول من يدخل الجنة من الامم كما جاء في صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم نحن الآخرون الاولون يوم القيامة ونحن اول من يدخل الجنة •

وعند الطبرانى في الاوسط والدار قطنى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة حرمت على الانبياء كلهم حتى ادخلها وحرمت على الامم حتى تدخلها امتى •

واما تفضيله بالكوثر فهو ثابت في الصحيح قال صلى الله عليه وسلم

Marfat.com

اتدرون ما الـكوثر قلنا الله ورسوله أعلم قال انه نهر وعدنيه ربى وقـد سمى بالكوثر لكثرة مائه وعظم قدره وخيره ، قال الحافظ بن كثير ـ قـد تواتر يعنى حديث الكوثر من طرق تفيد القطع عن كثير من أئمة الحديث .

واما تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والفضيلة فروى مسلم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ان رسـول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا اللـه لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغى الا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون انا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة .

والوسيلة درجة عند الله علم على اعلى منزلة في الجنة وهى منزلـة رسول الله صلى الله عليه وسلم وداره في الجنة وهى اقرب امكنة الجنـة الى العرش .

ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم الخلق عبودية لربـه واعلمهم به وأشدهم له خشية واعظمهم له محبة كانت منزلته اقرب المنازل الى الله تعالى وهى اعلى درجة في الجنة وامر صلى الله عليه وسلم امته ان يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء الزلفى وزيادة الايمان .

Marfat.com

كمال فضله الثابت بكتاب الله

ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تتضمن عظم قدره ورفعة ذكره وجليل مرتبته وعلو درجته وتشريف منزلته صلى الله عليه وسلم فمن ذلك قوله تعالى : ان الله وملائكته يصلون على النبي . يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما •

وهذا اخبار بمنزلة النبي صلى الله عليه وسلم في الملأ الاعلى بأنه يثني عليه عند الملائكة وان الملائكة تصلي عليه ثم امر العالم السفلي بالصلاة والتسليم عليه فيجتمع الثناء عليه من الله واهل العالمين العلوي والسفلي •

ومن ذلك قوله تعالى : انا اعطيناك الكوثر •

وفي هذه الآية منقبة ظاهرة له صلى الله عليه وسلم اذ عبرت عن ذلك بلفظ الماضي ولم يقل سنعطيك ليدل على أن هذا الاعطاء حصل في الزمان الماضي . ولا شك ان من كان في الزمان الماضي عزيزا مرعى الجانب اشرف ممن سيصير كذلك كأنه سبحانه وتعالى يقول يا محمد قد هيأنا أسباب سعادتك قبل دخولك في هذا الوجود فكيف امرك بعد وجودك واشتغالك بعبوديتنا يا أيها العبد الكريم . انا لم نعطك هذا الفضل العظيم لاجل طاعتك وانما اخترناك بمجرد فضلنا واحساننا من غير موجب •

---

(١) قد ورد كثير من مسائل هذا الفصل في مواطن متعددة من هذا الكتاب . ولكنا أحببنا جمعها في موضع واحد خاص بها .

Marfat.com

ومن ذلك انه تعالى أقسم على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلى بقوله : والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى .

ومن ذلك قوله تعالى : الم نشرح لك صدرك .

ومن ذلك اخباره تعالى بالعفو عنه ملاطفة قبل ذكر العتاب في قوله تعالى : عفا الله عنك لم اذنت لهم .

ومن ذلك اخباره تعالى بتمنى اهل النار طاعته صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : يوم تقلب وجوههم في النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا .

ومن ذلك ان الله سبحانه وتعالى وصفه بالشهادة وشهد له بالرسالة في قوله جل وعلا حكاية عن ابراهيم واسماعيل عند بناء البيت : ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا امة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ــ فاستجاب الله دعاءهما وبعث في اهل مكة منهم رسولا بهذه الصفه وقد اجمع المفسرون على انه صلى الله عليه وسلم هو المراد بهذه الآية ويؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم أنا دعوة أبى ابراهيم وبشارة عيسى قالوا واراد بالدعوة هذه الآية وبشارة عيسى هى ما ذكر في سورة الصف « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » .

ومن ذلك ان الله امتن على المؤمنين ببعث هذا النبى منهم فقال : « لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم

Marfat.com

ويعلمهم الكتاب (الآية) » فليس لله منة على المؤمنق أعظم من ارسـاله محمدا صلى الله عليه وسلم يهدى الى الحق والى طريق مستقيم وانما كانت النعمة على هذه الامة بارساله أعظم النعم لان النعمة به صلى الله عليه وسلم تمت بها مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذى رضيه لعباده •

وفي قوله تعالى « انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى اللـه باذنه وسراجا منيرا » •

وفي قوله جل ذكره « والله يشهد انك لرسوله » •

وفي قوله : « لكن الله يشهد بما أنزل اليك انزله بعلمه والملائكـة يشهدون وكفى بالله شهيدا » •

ومن ذلك ان الله اخبر انه صلى الله عليه وسلم مبعوث لكافة الخلق بقوله :

« قل يا أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » وقوله : « ومـا ارسلناك الا كافة للناس » •

ومن ذلك ان الله تعالى أخبر أنه جعله كله رحمة فقال : « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وسماه باسمين من اسماءه فقال لقد جاءكم رسول مـن انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » قال ابن عباس : فهو رحمة للبر والفاجر لان كل نبى اذا كذب أهلك الله من كذبـه اما نبينا صلى الله عليه وسلم فهو رحمة للمؤمنين بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير العذاب ؛ قال الله تعالى : « وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم » •

Marfat.com

ومن ذلك ان الله تعالى اخبر ان الرسالة والنبوة قد انقطعت فلا رسول بعده صلى الله عليه وسلم ولا نبى بقوله جل ذكره « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين » •

ومن ذلك أن الله تعالى أخبر أن الكتب السابقة كالتوراة والانجيل اشتملت على التنويه برسالته صلى الله عليه وسلم بقوله : « الذين يتبعون الرسول النبى الامى الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل » •

ومن ذلك ان الله تعالى وصفه في القرآن بانه بلغ أكمل درجات الاخلاق بقوله «وانك لعلى خلق عظيم» •

والى هذا اشارت عائشة رضي الله عنها بقولها : كان خلقه القرآن فكان كلامه مطابقة للقرآن تفصيلا وتبيينا وعلومه علوم القرآن وارادته واعماله ما اوجبه وندب اليه القرآن واعراضه وتركه لما منع منه القرآن ورغبته فيما رغب فيه وزهده فيما زهد فيه وكراهته لما كرهه ومحبته لما احبه وسعيه في تنفيذ اوامره فترجمت رضي الله عنها لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها : كان خلقه القرآن •

ومن ذلك انه سبحانه وتعالى اقسم بالضحى على ما انعم به عليه واظهره من قدره العلى لديه بقوله « والضحى والليل اذا سجى ما ودعك قلى »•

وكان هذا في مقابلة قول أعدائه « ودع محمدا ربه » وذلك لما انقطع الوحى عنه فترة فجاءت هذه الآيات متضمنة هذه الفضائل والمنح الربانية والتى نفى فيها سبحانه ان يكون ودع نبيه او قلاه فالتوديع الترك والقلى

Marfat.com

البغض اي ما تركك منذ اعتنى بك ولا ابغضك منذ احبك « وللآخرة خير لك من الاولى » وهذا يعم احواله صلى الله عليه وسلم ويدل على ان كل حالة يرقيه اليها هي خير له مما قبلها كما ان الدار الآخرة هي خير له مما قبلها ثم وعده صلى الله عليه وسلم بما تقربه عينه وينشرح به صدره وهو ان يعطيه فيرضى وهذا يعم ما يعطيه من القرآن والهدى ونشر دعوته واعلاء كلمته على اعدائه في مدة حياته وايام خلفائه ومن بعدهم وما يعطيه في موقف القيامة من الشفاعة والمقام المحمود وما يعطيه في الجنة من الوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر بالجملة فقد دلت هذه الآية على انه تعالى يعطيه صلى الله عليه وسلم كل ما يرضيه • وقد جاء في الصحيح أن الله تعالى قال له انا لن نخزيك في امتك • وفي ذلك يقول بعضهم :

قرآنا في الضحى ولسوف يعطى فسر قلوبنا ذاك العطاء
وحاشا يا رسول الله ترضى وفينا من يعذب أو يساء

ثم ذكره سبحانه بنعمه عليه او امره ان يقابلها بما يليق بها من الشكر فقال تعالى : « الم يجدك يتيما فآوى » الى آخر السورة •

ومن ذلك انه تعالى اقسم على تصديقه وتنزيهه عن الهوى في نطقه بقوله « والنجم اذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى » فاقسم تعالى بالنجم على براءة رسوله مما نسبه اليه اعداؤه من الضلال والغي وتأمل قوله تعالى : « ما ضل صاحبكم » ولم يقل محمدا تأكيدا لاقامة الحجة عليهم بأنه صاحبهم وهم أعلم الخلق به وبحاله واقواله وأعماله

Marfat.com

وانهم لا يعرفونه بـكذب ولا غي ولا ضلال ولا ينقصون عليه امرا واحـدا وقد نبه تعالى على هذا المعنى بقوله عز وجل « ام لم يعرفوا رسولهم » ثم نزه نطق رسوله صلى الله عليه وسلم عن ان يصدر عن هوى فقا تعالى : « وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى » وذكر الاوزاعي عن حسان بن عطية قال : كان جبريل ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسنة كما ينزل عليه بالقرآن يعلمه اياها ثم اخبر تعالى عن وصف من علمه صلى الله عليه وسلم الوحي والقرآن فقال : « علمه شديد القـوى » وهو جبريـل ولا شك ان مدح المعلم مدح للمتعلم وهذا نظير قوله تعالى : « ذي قوة عند ذي العرش مكين » ثم قال تعالى : « فاوحى الى عبده ما اوحى ما كذب الفؤاد ما رأى » فاخبر سبحانه عن تصديق فؤاده صلى الله عليه وسلم لمـا رأته عيناه وان القلب صدق العين وليس كمن رأى شيئا على خلاف ما هو به فكذب فؤاده بصره بل ما رآه ببصره صدقه الفؤاد .

ومن ذلك ان الله تعالى وصف حقيقة تلقي النبي صلى الله عليه وسلم وكيفية اخذه له وبين سنده في ذلك قوله : « فلا اقسم بالخنس . الجـوار الكنس . والليل اذا عسعس . والصبح اذا تنفس . انه لقول رسول كريم ذي قوة » كما قال في النجم علمه شديد القوى فيمنع بقوته الشياطين ان يدنو منه وان يزيدوا فيه أو ينقصوا منه « عند ذي العرش مكين » أي متمكن المنزلة وهذه العندية عندية الاكرام والتشريف والتعظيم (مطاع) في ملائكة الله تعالى المقربين يصدرون عن امره ويرجعون الى رأيه (ثم) هناك (أمين) على وحي الله ورسالته فقد عصمه الله من الخيانة والزلل فهذه خمس صفات

Marfat.com

تتضمن تزكية سند القرآن وانه سماع محمد صلى الله عليه وسلم من جبريل وسماع جبريل من رب العالمين فناهيك بهذا السند علوا وجلالة فقد تولى الله تزكيته بنفسه ثم نزه رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وزكاه مما يقول فيه اعداؤه فقال : « وما صاحبكم بمجنون » وهذا امر يعلمونه ولا يشكون فيه وان قالوا بألسنتهم ــ خلافه فهم يعلمون انهم كاذبون ثم أخبر عن رؤيته صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام بقوله : « ولقد رآه بالافق المبين » وهذا يتضمن انه ملك موجود في الخارج يرى بالعيان ويدرك بالبصر « وما هو على الغيب بضنين » قال ابن عباس ليس ببخيل بما أنزل الله واجمع المفسرون على أن الغيب ههنا القرآن والوحى وقرىء « بظنين » ومعناه المتهم والمعنى ما هذا الرسول وهو محمد صلى الله عليه وسلم على القرآن بمتهم بل هو أمين فيه لا يزيد ولا ينقص منه •

ومن ذلك ان الله تعالى أقسم به فقال لعمرك انهم لفى سكرتهم يعمهون واقسم ببلده فقال : لا أقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد ــ والبلد هى أم القرى واقسم بعصره فقال : والعصر ان الانسان لفى خسر •

ومن ذلك ان الله تعالى وصفه بالنور والسراج المنير صلى الله عليه وسلم فقال : قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وامر بطاعته واتباع سنته فقال يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله فجعل طاعته طاعة رسوله وقرن طاعته بطاعته وجعل بيعته بيعته فقال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله •

ومن ذلك ان الله تعالى في كتابه العزيز امر بالادب معه صلى الله عليه

Marfat.com

وسلم فقال : يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله أي لا تفتاتوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيء حتى يقضيه الله تعالى على لسانه وانظر ادب الصديق رضي الله عنه معه عليه الصلاة والسلام في الصلاة لما تقدم بين يديه كيف تأخر فقال ، ما كان لابن ابى قحافة ان يتقدم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيف اورثه الله مقامه والامامة بعده •

وقال الضحاك : لا تقضوا امرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره : لا تأمروا حتى يأمر ولا تنهوا حتى ينهى •

فمن الادب ان لا يتقدم بين يديه بأمر ولا نهى ولا اذن ولا تصرف حتى يأمر هو وينهى ويأذن كما أمر الله تعالى بذلك في هذه الآية وهذا باق الى يوم القيامة لم ينسخ ، فالتقدم بين يدى سنته وبعد وفاته كالتقدم بين يديه في حياته ولا فرق بينهما عند ذى عقل سليم •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا ترفع الاصوات فوق صوته كما قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض » وافاد انه ينبغى ان لا يتكلم المؤمن عنده صلى الله عليه وسلم كما يتكلم العبد عند سيده اى بل يكون صوته دون صوته مع سيده واذا كان رفع الاصوات فوق صوته صلى الله عليه وسلم موجبا لحبوط الاعمال فما الظن برفع الآراء ونتائج الافكار على سنته وما جاء به صلى الله عليه وسلم ، وروى ان ابابكر لما نزلت هذه الآية قال : والله يا رسول الله لا اكلمك الا كاخى السرارى — أي الكلام

Marfat.com

الخفى الذى يراد كتمه ـ وان عمر رضي الله عنه كان اذا حدثه حدثه كأخى السرارى ما كان يسمع النبى صلى الله عليه وسلم حديثه بعد هذه الآية حتى يستفهمه •

وروى ان أبا جعفر أمير المؤمنين ناظر مالكا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له مالك : يا أمير المؤمنين لا ترفع صوتك في هـذا المسجد فان الله عز وجل أدب قوما فقال : لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى . ومدح قوما فقال : ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله وذم قوما فقال : ان الذين ينادونك من وراء الحجرات الآية ـ وان حرمته ميتـا كحرمته حيـ ـ فاستكان لها ابو جعفر •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم ان لا يجعل دعاؤه كدعاء بعضنا بعضا قال تعالى : **لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا** ـ وفيه قولان للمفسرين :

أحدهما : **لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا بل قولوا : يـا** رسول الله ـ يا نبى الله مع التوقير والتواضع •

والثانى : ان المعنى لا تجلوا دعاءه لكم منزلة دعاء بعضكم بعضـا ان شاء المدعو أجاب وان شاء ترك بل اذا دعاكم لم يكن لكم بد من اجابتـه ولم يسعكم التخالف عنها البتة فان المبادرة الى اجابته واجبة والمراجعـة بغير اذنه محرمة •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انهم اذا كانوا معه على امـر جامع من خطبة او جهاد او رباط لم يذهب احد مـذهبا في حاجة لـه حتى

Marfat.com

يستأذنه كما قال الله تعالى : انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله واذا كانوا معه على امر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه •

ومن الادب معه صلى الله عليه وسلم انه لا يستشكل قوله بل تستشكل الآراء بقوله ولا يعارض نصه بقياس بل تهدر الاقيسة وتلقى لنصوصه ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال مخالف تسميه اصحابه معقولا نعم هو مجهول وعن الصواب معزول ولا يتوقف قبول ما جاء به على موافقة احد فكل هذا من قلة الادب معه وهو عين الجرأة عليه صلى الله عليه وسلم . ورأس الادب معه صلى الله عليه وسلم كمال التسليم له والانقياد لامره وتلقى خبره بالقبول والتصديق دون ان يحمله معارضة خيال باطل على ان يقدم عليه اراء الرجال فيوحد التحكيم والتسليم والانقياد للرسول كما وحد المرسل بالعبادة فهما توحيدان لا نجاة الا بهما •

والقرآن مملوء بالآيات المرشدة الى الادب معه صلى الله عليه وسلم(١) لما قال المشركون : « يا أيها الذى نزل عليه الذكر انك لمجنون » أجاب تعالى عنه عدوه بنفسه من غير واسطة فقال : « ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون » •

ولما قالوا : « افترى على الله كذبا » اجاب تعالى عنه فقال : « بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد » •

ولما قالوا : « لست مرسلا » اجاب الله تعالى عنه فقال : « يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين »•

---

(١) تقدم طرف من هذا البحث في فصل فضل النبى في القرآن وأعدناه بزيادة لمناسبة أخرى .

Marfat.com

ولما قالوا : « انا لتاركوا الهتنا لشاعر مجنون » اجاب تعالى عنه فقال : «بل جاء بالحق وصدق المرسلين » فصدقه ثم ذكر وعيد خصمائه فقال : « انكم لذائقوا العذاب الاليم » •

ولما قالوا : « أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون » اجاب الله تعالى عنه فقال : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له ان هو الا ذكر وقرآن مبين » •

ولما حكى الله عنهم قولهم : « ان هذا الا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون » اجاب الله تعالى عنه فقال : « فقد جاءوا ظلما وزورا » وقال ردا لقولهم اساطير الاولين: « قل انزله الذى يعلم السر في السموات والارض » •

ولما قالوا يلقيه اليه الشيطان قال تعالى : « وما تنزلت به الشياطين » •

ولما تلا عليهم نبأ الاولين قال النضر بن الحارث : « لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين » اجاب الله تعالى عنه فقال : « قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا » •

ولما قال الوليد بن المغيرة : » ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر « أجاب تعالى عنه فقال : « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون » تسلية له عليه الصلاة والسلام •

ولما قالوا : » محمد قلاه ربه « اجاب الله تعالى عنه فقال : « ما ودعك ربك وما قلى »•

Marfat.com

ولما قالوا : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الاسواق » أجاب الله تعالى عنه فقال : « وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق » •

ولما حسدته اعداء الله اليهود على كثرة النكاح والزوجات وقالوا : « ما همته الا النكاح » أجاب الله تعالى عنه فقال : « ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد اتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما » •

ولما استبعدوا ان يبعث الله رسولا من البشر بقولهم الذى حكاه الله تعالى عنهم » وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا « وجهلوا ان التجانس يورث التآنس وان التخالف يورث التباين •

اجاب الله تعالى عنه فقال : « قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا» أي لو كانوا ملائكة لوجب ان يكون رسولهم من الملائكة لكن لما كان اهل الارض من البشر وجب ان يكون رسولهم من البشر •

Marfat.com

كمال احواله في العبادة

كانت عبادات النبى صلى الله عليه وسلم دائمة مستمرة متواصلة في الليل والنهار سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها كيف كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ هل كان يخص شيئا من الايام ـ أي ويترك العمل في ايام ـ فقالت : لا كان عمله ديمة وايكم يستطيع ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستطيع(١) ؟! ولم يدع رسول الله صلى الله عليه وسلم نوافله وتطوعاته طيلة عمره كما جاء عن أم سلمة قالت : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان اكثر صلاته ـ أي التطوع ـ وهو جالس وكان أحب العمل اليه ما داوم عليه العبد وان كان شيئا يسيرا(٢) . وكان له صلى الله عليه وسلم اكمل ذوق الحلاوة في العبادة والذ راحة ونعيم بها .

وقد كان يقول صلى الله عليه وسلم : قم يا بلال ارحنا بالصلاة(٣) ويقول صلى الله عليه وسلم : وجعلت قرة عيني في الصلاة(٤) وكان منهاجه صلى الله عليه وسلم **في العبادة : انه اذا عمل عملا أثبته وداوم عليه .**

كما جاء عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) رواه ابو داود
(٢) رواه ابن حبان في صحيحه
(٣) رواه أحمد وغيره
(٤) رواه أحمد وغيره

Marfat.com

قال : اكلفوا من العمل ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا ؛ وان احب العمل الى الله ادومه وان قل ؛ وكان صلى الله عليه وسلم اذا عمل عملا أثبتـــه(١) •

وكان صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل . وكان اغلب قيامه لصلاة الليل في اول النصف الثانى من الليل ، تقول السيدة عائشة . كان ينام اول الليل ويحيى آخره(٢) •

وهذا القيام بعد هذا النوم حكم له النبى صلى الله عليه وسلم بانه احب القيام بقوله : واحب القيام الى الله قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه(٣) وذلك ليستريح من نصب القيام فانه بعد القيام يريح البدن ويذهب ضرر السهر وذبول الجسم بخلاف السهر الى الصباح •

وفيه من الحكمة ايضا : استقبال صلاة الصبح واذكار النهار بنشاط واقبال ؛ وهذا بالنسبة للصلاة ايضا اقرب الى عدم الرياء لان من نام السدس الاخير اصبح ظاهر اللون سليم الصدر ؛ فهذا اقرب الى اخفاء عمله في الليل كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح . وبذلك يكون المتهجد قد نال فضائل تجليات الرب عز وجل في الثلث الثانى والثلث الاخير •

وكانت له اوراد وقراءات قبل ان ينام . فقد جاء انه كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل — أي سورة الاسراء — والزمر(٤) •

---

(١) رواه ابـو داود
(٢) رواه الشيخـان
(٣) رواه الشيخـان
(٤) رواه الترمذى واحمـد

Marfat.com

وجاء انه كان لا ينام حتى يقرأ : الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك(١) . وجاء انه كان يقرأ المسبحات قبل ان يرقد وقال فيهن آية افضل من الف آية(٢) •

وكان صلى الله عليه وسلم يواظب على صلاة الضحى وكان تارة يصليها ركعتين وهو أقلها وتارة اربعا وهو الاغلب وتارة ستا وتارة ثمانية وتارة اثنى عشرة ركعة وذلك أفضلها واكثرها •

وكان اذا صلى الفجر تربع في مجلسه يذكر الله حتى تطلع الشمس(٣) وكانت له نوافل مطلقة بعد المغرب فتارة يصلى من بعد المغرب الى العشاء(٤) وتارة يصلى بعد المغرب ست ركعات ويقول : ان من واظب عليها غفرت له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر(٥) ويقول من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن بعبادة ثنتي عشرة سنة(٦) •

وكان يكثر من الدعاء ويحث عليه ، وكان اذا دعا يرفع يديه حذو منكبيه مشيرا بباطن كفيه نحو السماء تارة ان كان الدعاء بنحو تحصيل شيء وبظاهرهما الى السماء تارة ان دعا بنحو دفع بلاء(٧) ، وكان يبالغ في رفع يديه في الاستسقاء وفي مواقف الاستغاثة بالله عز وجل والاستنصار على

---

(١) رواه الترمذى والنسائي
(٢) رواه احمد واصحاب السنن
(٣) رواه مسلم
(٤) قال المنذر رواه النسائي باسناد جيد
(٥) رواه الطبرانى
(٦) رواه ابن ماجه والترمذى وقال غريب انظر الترغيب
(٧) رواه ابو داود

Marfat.com

الاعداء ، وكان اذا رفع يديه في الدعاء لم يحطهما حتى يمسح بهما وجهه(١) وكان يستقبل القبلة في دعائه(٢) وكان يعجبه ان يدعو ثلاثا ويستغفر ثلاثا(٣) وكان يستحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك(٤) والمراد بجوامع الدعاء ما جمع مع وجازتـــه خيري الدنيا والآخرة فمن جوامع ادعيته اللهم ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار(٥) .

ومن جوامع ادعيته اللهم اصلح لى دينى الذى هو عصمة امري واصلح لي دنياي التى فيها معاشي واصلح لى أخرتى التى فيها معادى واجعل الحياة زيادة لي من كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر .

ومنها انه كان يقول اللهم انى اعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الاخلاق(٦) وقد ذكرت كتب السنن والاثار الكثير من ادعيته الجامعـــة والتى كان يقولها في المناسبات المختلفة والازمنة والاحوال .

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من التسبيح في الليل والنهار ، يقول ربيعة بن كعب كنت اخدمه نهارى فاذا كان الليل اويت الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فبت عنده فلا أزال اسمعه يقول سبحان الله سبحـــان ربى حتى تغلبنى عينى فأنام(٧) .

---

(١) رواه الترمذى والحاكم
(٢) رواه الترمذى
(٣) رواه ابو داود
(٤) رواه ابو داود والحاكم
(٥) رواه الشيخان
(٦) رواه ابـــو داود
(٧) رواه الطبـــرانى

Marfat.com

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الاستغفار في الليل والنهار في الصلوات ووراء الصلوات وفي سائر مجالسه واحواله ويقول والله انى لاستغفر الله وأتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة(١) ويقول ابن عمر كنا نعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس الواحد : رب اغفر لي وتب علي انك انت التواب الرحيم . مائة مرة(٢) . وفي رواية : انك انت التواب الغفور •

وكان تارة يقول : استغفر الله الذى لا اله الا هو الحي القيوم وأتوب اليه مائة مرة في مجلس واحد(٣) . وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من الصيام فيتابع الصوم احيانا حتى يقول القائل لا يفطر ويترك ذلك احيانا حتى يقول القائل لا يصوم •

وكان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وكان يصوم الاثنين والخميس ويتحرى صيامهما ويقول انهما تعرض فيهما الاعمال فأحب ان يعرض عملي وانا صائم •

وكان صلى الله عليه وسلم يعظم يوم مولده الشريف وهو يوم الاثنين فيصومه ويقول ذلك يوم ولدت فيه كما رواه مسلم في صحيحه •

وكان يعتنى بصيام اكثر شهر شعبان ؛ وكان يواصل الصيام أحيانا واذا دخل شهر رمضان اجتهد في قيامه أكثر من غيره ثم اجتهد في عشره الاخير أكثر وأكثر بالاعتكاف واحياء كل الليل •

---

(١) رواه البخارى
(٢) رواه ابو داود وابن حبان وصححه والترمذى
(٣) اخرجه النسائى بسند جيد

Marfat.com

كمال خشيته من الله

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية من الله تعالى. وذلك لانه قال الله تعالى : « انما يخشي الله من عباده العلماء » الآية . وهو أعلم العلماء كما جاء في الحديث .

ففى الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا ترخص فيه ، وتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ؟ فوالله انى لا علمهم بالله ، وأشدهم له خشية .

وفي هذا الحديث بيان منه صلى الله عليه وسلم واعلان أفضليته على جميع العباد بالعلم بالله تعالى والخشية من الله تعالى وان الله تعالى قد أعطاه أفضل وأكمل مقام في المعرفة والخشية .

يقول أنس رضي الله عنه قال : وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط . فقال : لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا . ولبكيتم كثيرا ، ثم قال : عرضت علي الجنة والنار فلم أر كاليوم في الخير والشر ، ولو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا . ولبكيتم كثيرا .

فما اتى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أشد منه غطوا رؤوسهم ولهم حنين .

Marfat.com

وفي هذا دليل على عظيم خوفه من الله تعالى وكثرة بكائه من خشية الله تعالى ومن كمال خشيته صلى الله عليه وسلم انه كان صلى الله عليه وسلم دائم الانكسار والتواضع لربه تعالى في سائر مواقفه الكريمة ومشاهده العظيمة في صلواته وسائر عباداته وسائر شؤونه وقضاياه •

وقد بلغ من خشوعه في صلاته انه سمع لجوفه أزيد كأزيز المرجل ؛ ويقول علي رضي الله عنه ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ؛ ولقد رأيتنا وما فينا الا نائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يبكي وهو يصلي حتى أصبح ولما دخل مكة يوم الفتح دخلها خاشعا لربه تعالى وصلى الله عليه افضل واشرف صلاته وعلى آله وصحبه •

Marfat.com

يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم

كمال حكمته السياسية وقيادته الحربية

Marfat.com

كمال حكمته في تصريف الامور السياسية

في سيرة نبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم صور واضحة تدل على كمال حكمته وعظيم سياسته في تصريف الامور بحل المشاكل ومواجهة المواقف وعقد العقود وابرام العهود وحسن التخلص وبعد النظر مما يحقق حصول المصالح الظاهرة والباطنة وجلب المنفعة ودرء المفسدة وسد الذرائع ووضع الامور في نصابها والنجاح الذى لم يؤته أحد قبله . ذلك النجاح المقطوع النظير الذى لم يبدل من حاله ناسكا متعبدا وزاهدا متواضعا وبرا رحيما . والحق الذى لا مراء فيه ان في حياته وقيادته للامة وتولى الحكم وادائه الرسالة الدليل الاكبر الذى ارانا بالفعل لا بالقول ماذا يجب ان يكون به الحاكم في كل المناسبات والاحوال •

لقد جاء صلى الله عليه وسلم الى المدينة والاوس والخزرج فيها حديثوا عهد بواقعه بعاث والعداوة القديمة بينهما تثير الاحداث الجديدة واليهود يذكون نار الفتنة ويخشون سوء المنقلب واصحابه الذين هاجروا الى المدينة ليس لهم حول ولا قوة الا حول اللاجىء المستظل بجوار القوم الذين لا يحبون اهلهم وعشيرتهم •

فكان مركزه بذلك على جانب عظيم من الدقة ولكنه تناول الموقف بحكمته وحسن تدبيره وكمال عقله مما برهن على أنه أهل لكل جليل في الامر

Marfat.com

فشرع في الحال ببناء المسجد وفيه كانت الاسس التى وضعها لصلاح الدين والدنيا وأصبح مكانا للعبادة ومركزا للقيادة ومنه تصدر الدعوة الى الله وفيه يتربى المؤمنون على أكمل الخلال في أشرف الاحوال وفيه توضع جميع الخطط والتدابير الادارية والسياسية والعسكرية وفيه تستقبل الوفود ويلقى العلم .

ومن سياسته صلى الله عليه وسلم الرشيدة في حياته الاولى في المدينة انه لما رأى عدم تجانس افراد المجتمع لاختلاف عقائدهم شرع في وضع نظام يضمن حقوق الجميع ويكفل حرية العقيدة وحرمة الدماء والاموال والاعراض وتجعلهم جميع مكلفين بالدفاع عن البلاد امام اية اعتداءات عليه متكافئين في الحرب والسلم ، وسطر ذلك في صحيفة .

جاء فيها بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب : ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم انهم امة واحدة من دون الناس .

ثم تقرر ان من تبعنا من يهود فان له النصر والاسوة غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، وان يهود بنى عوف امة مع المؤمنين ، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وانفسهم ، ثم تقرر لبقية اليهود المعاهدين ما ليهود بنى عوف ثم تذكر الصحيفة ان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة وان بينهم النصح والنصيحة والبر دون الاثم . الى ان تقول ، وان يثرب حرام جوفها لاهل هذه الصحيفة وان

Marfat.com

الجار كالنفس غير مضار وآثم وانه لا تجار حرمة الا باذن اهلها ، وان ما كان بين اهل هذه الصحيفة من حدث او اشتجار يجاف فساده ، فان مرده الى الله عز وجل والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بهذه الصحيفة انقادت الى النبى سلطة يثرب الزمنية دون قصد فقد اقتضت العهود ان تنص على الحكم في حالة الخلاف ولم يكن الا هو ليحكم ومنذ تلك الساعة وضع الحجر الاساسي لدولة الاسلام .

فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفوضى والاباحة للقوة ، وجعل مرجع اقامة الحدود الى الله ، أي الى شريعته والى رسوله منفذ هذه الشريعة . وكانت الى ذلك الحين تتولاها القوة الغاشمة وحدها ، قوة العصبية لا تفرق بين المذنب والبرىء .

ومن مواقفه السياسية الرائعة الرشيدة انه حصلت فتنة بين رجل من الانصار وأجير لعمر بن الخطاب ، وذلك في غزوة بنى المصطلق ، فاستنصر الانصارى بالانصار ، واستنصر الاجير بالمهاجرين وكادت تقع حروب ضروس اراد ان يشعلها ابن ابى بن سلول رأس المنافقين ، فقام وقد اشتغل الموقف وعنده زيد بن أرقم غلام بالغ يقول اوقد فعلوها ؟ قد كاثرونا وناقرونا في بلادنا ما مثلنا معهم الا كما قال الاول « سمن كلبك يأكلك » والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل فنقل ابن أرقم مقالة ابن ابى بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر : مر به يا رسول الله من يقتله، فقال السيد الحكيم « فكيف يا عمر اذا تحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه » ولكنه اكتفى بان أمر بالرحيل ، فرحل الرسول بالجيش في وقت لم يكن

Marfat.com

يرحل فيه وسار بهم يومهم ذلك حتى امسى وليلهم حتى اصبح ، وصار يومهم التالى حتى اذتهم الشمس واعياهم الجهد ونال منهم التعب ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الارض حتى وقعوا نياما .

وكان الغرض النبوى الحكيم من موالاة السير ليلا ونهارا ان لا يشغلوا أنفسهم بما وقع من اثارة الفتنة وزعزعت القلو بوبذلك وقاهم الله شرها نتيجة لهذه السياسة الرائعة الحكيمة ، ولما علم عبدالله ابنه وكان من خيار المسلمين بما قال أبوه جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال انه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أبى فيما بلغك عنه . فان كنت فاعلا فمرنى وانا آتيك برأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها ابر بوالده منى . وانى أخشى ان تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى ان انظر الى قاتل أبى يمشى في الناس فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار ترى ماذا يكون جواب الرسول الحكيم والرؤف الرحيم الخبير بطبائع النفوس ؟ يقول في هدوء ورفق « لا يا عبدالله بل تترفق بأبيك ونحسن صحبته ما دام معنا » .

ولقد كان لهذه السياسة اثرها البعيد في درء الشرور . فقد كان ابن ابي المنافق كلما احدث حدثا أقبل عليه قومه يعاتبونه ويعنفونه ويأخذونه بسوء صنع ويذكرونه بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولقد أراد الرسول الكريم في هذا أن يبين لعمر رضي الله عنه عمق سياسته المتئدة المتزنة فقال « كيف ترى يا عمر أما والله لو قتلته يوم قلت لى لارعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته وقلبهم يفيض بالحب والتقدير لرسول الله : والله لقد علمت لامر رسول الله اعظم بركة من امرى » .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم الحميدة التى تدل على سياسته

Marfat.com

الرشيدة موقفه يوم الحديبية وموافقته على شروط الصلح التى كان في ظاهرها ضيم وذلة ولذلك تأثر بعضهم ومنهم سيدنا عمر رضي الله عنه ذلك لان المسلمين لم يكونوا قد تنبهوا للحكمة الجليلة والسياسة الرشيدة التى كان ينظر اليها صلى الله عليه وسلم ولكن ما ان مضت فترة من الزمان حتى اخذ المسلمون يستشفون أهمية هذه الهدنة وعظيم ما انطوت عليه من خير •

ومن أهم تلك الخيرات حقن المستضعفين في مكة من المسلمين وحقن دمائهم لاختلاطهم بالكفار •

ومن فوائده ايضا اسلام كثير من كفار قريش باختلاطهم بالمسلمين ومجيئهم الى المدينة معقل الايمان والاسلام وسماعهم من المؤمنين أقواله عليه الصلاة والسلام ومعجزاته الظاهرة وحسن سيرته واعلام نبوته الباهرة الى غير ذلك مما جعلهم يدخلون في دين الله أفواجا وعلم المسلمون بعد ذلك ان صدهم عن البيت ورجوعهم كان في الظاهر هضما وفي الباطن عزا لهم وقوة فاذل الله المشركين من حيث ارادوا العزة وقهروا من حيث ارادوا الغلبة •

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » •

Marfat.com

كمال شجاعته صلى الله عليه وآله وسلم

الشجاعة : فضيلة من اسمى الفضائل . وان شئت فقل انها حارسة الفضائل والذائدة عنها كل ما يريد ان يمسها ؛ ولقد اختص ربنا سبحانه وتعالى انبياءه عليهم الصلاة والسلام بالحظ الاوفر من هذه الشجاعة كما اختصهم من جميع الاخلاق الفاضلة بأعظم نصيب .

وانما اختصهم بذلك القدر الذى لا يسامي من الشجاعة جريا على عادته الحكيمة انه اذا أراد ان يقيم مخلوقا في عمل هيأه وأعده لهذا العمل وآتاه من القوة ما به يستطيع ان يقوم به وعمل الانبياء الذى اقامهم تعالى فيه هو دعوة الخلق الى الحق وهذه الدعوة لا تكون الا بمواجهة النبي امته بما جاء به وطلبه منهم ان يخضعوا له وينبذوا ما هم عليه نبذا لا رجوع معه اليه أبـدا .

ومن أحب ان يعرف مقدار شجاعة الانبياء فليقرأ ما جاء في القرآن الكريم متعلقا بذلك فهذا سيدنا هود صلى الله عليه وسلم يحكى عنه رب العزة قوله لقومه « انى أشهد الله واشهدوا انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون » .

وهذا سيدنا موسى لما قال له قومه « انا لمدركون » يقول في شجاعته « كلا ان معى ربى سيهدين » .

Marfat.com

فالانبياء أشجع الناس وهو صلى الله عليه واله وسلم من الانبياء فهو اذا مثلهم أشجع الناس بل هو أشجع الانبياء لانه أرسل الى الناس كافة . وقد كان الانبياء قبله يرسلون الى اقوامهم خاصة .

والحكمة الالهية تأبى ان تسوى في الشجاعة من يقف امام طائفة من الناس بمن يقف امام كل الناس .

وقد كان عليه الصلاة والسلام من الشجاعة والاقدام والثبات امام الاهوال في أشدها بالمكانة العليا التي لا يدانيه فيها أحد ولا يعلم مقدار سموها الا من وهب حبت كسته وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم كل ما حضر من الغزوات في كل حياته الجهادية وما حفظ عنه مرة انه هم بالتأخر عن مقامه قدما أو أصبعا الامر الذى جعله بين اصحابه ملء العيون والصدور قائدا مطاعا يبتدر الصغير منهم والكبير اشارته لا لانه رسول الله فقط بل ولما كانوا يرون منه من الشجاعة التي كانوا يرون انفسهم بالنسبة لها عدم صرف وفيهم الابطال الذين كانت تضرب بشجاعتهم الامثال وها هو ذا سيدنا علي بن ابى طالب كرم الله وجهه يعترف بهذه الحقيقة في صراحة تامة اذ يقول : انا كنا اذا اشتد البأس واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه واله وسلم ـ وهو أقربنا الى العدو . رواه احمد والطبرانى والنسائي .

فمن ذلك ما يحكيه سيدنا جابر رضي الله عنه اذ يقول : كنا مع النبى صلى الله عليه واله وسلم بذات الرقاع فلما أتينا على شجرة ظليلة تركناها للنبى صلى الله عليه واله وسلم فجاء رجل من المشركين وسيف النبى صلى الله

Marfat.com

عليه واله وسلم معلق بالشجـرة فاخترطه فقال له : تخافنى . فقال له : لا . قال : من يمنعك منى ؛ قال : الله ؛ رواه البخارى ومسلم •

ومن ذلك ما كان منه صلى الله عليه واله وسلم مع أبي بن خلف في غزوة أحد اذ شد ذلك اللعين وهو على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين فقال النبى صلى الله عليه والـه وسلم : هكذا أي خلوا طريقه . وتناول الحربة من الحارث بن الصمة فانتفض بهـا انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبلـه النبى صلى الله عليه وسلم فطعنه في عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مـرارا فرجع الى قومه يقول قتلنى محمد وهم يقولون لا بأس بك فقال لو كان ما بى بجميع الناس لقتلهم أليس قد قال اقتلك . والله لو بصق عـلي لقتلنى . رواه عبدالرزاق وابن سعد والبيهقى •

ومن ذلك ما رواه الشيخان عن سيدنا أنس رضي الله عنه انه قـال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس وأشجع الناس لقد فزع أهل المدينة ليلة فانطلق الناس قبل الصوت فتلقاهم رسـول الله صلى الله عليه وسلم راجعا على فرس لابى طلحة عرى والسيف في عنقه وهو يقول لم تراعوا •

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم المشهورة الضخمة . وكل مواقفـه صلى الله عليه وسلم ــ ضخمة ــ موقفه يوم حنين . روى البخارى ومسلم وحكى القرآن ان اصحابه رضي الله عنهم الا القليل منهم ولوا عنه يومئـذ

Marfat.com

مدبرين رضي الله عنهم واتفقا(١) على انه صلى الله عليه وسلم كان راكبا بغلة. ولفظ مسلم من رواية العباس رضي الله عنه . فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته قبل الكفار . قال العباس وانا آخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفها ان لا تسرع •

واتفق على انه صلى الله عليه وسلم رمى وجوه الكفار بكف من تراب . ولفظ مسلم عن سيدنا سلمة بن الاكوع رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم نزل عن بغلته وقبض قبضة من تراب فقال شاهت الوجوه ورمى بتلك القبضة وجوههم فما خلق الله منهم انسانا الا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل •

وفي رواية اخرى لمسلم عن سيدنا العباس فوالله ما هو الا ان رماهم بحصيته فما زلت أرى حدهم كليلا وامرهم مدبرا . وفي رواية اخرى لمسلم انه قال عند رمى تلك الحصيات انهزموا ورب الكعبة انهزموا ورب الكعبة •

واتفق على انه كان يقول في ذلك الوقت الحرج :

انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب

واتفقا على ان اعداءهم كانوا رماة واتفقا وحكى القرآن ان العاقبة كانت للمؤمنين . واتفقا على ان ذلك كان بعد ان عاد اصحابه اليه صلى الله عليه وسلم بنداء عمه العباس بأمره صلى الله عليه وسلم •

---

(١) أي البخاري ومسلم .

(١) أي البخاري ومسلم .

Marfat.com

كمال قيادته الحربية

والناظر في سيرته صلى الله عليه وسلم في غزواته ومعاملاته لاعدائه يرى مواقف كثيرة تدل على عظيم قيادته وكمال معرفته وخبرته باساليب الحروب وحسن تعرفه وادارته للجيوش مع انه لم يتعلم الفنون الحربية ولا الهندسة العسكرية في مدرسة أو كلية وتتجلى تلك الصور في المعارك الحربية التى خاضها وفي الخطط الدفاعية التى رسمها والنظم الحربية التى سنها لقد انتصر على قلة جيشه في مواقع كثيرة ودخل مكة مصدر الهجوم ومنبع المؤامرات فاتحا وقضى على اليهود وتتبعهم حتى قضى على نفوذهم بعدما غدروا كثيرا بمعاهداته ولم يكفوا عن المؤامرات والمكايد ولم تكن سياسته سياسة اعتداء وقهر وظلم وانما كانت سياسة دفاع ومقاومة وعدل .

وبذلك جمع الله له بين كمال الاخلاق وحسن السياسة وتصريف الامور ووضعها في مواضعها .

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم الجليلة التى تدل على براعته العسكرية وقيادته الحربية ورعايته بنفسه تنظيم الصفوف واستعراض الجنود فقد كان يوم بدر يعدل صفوف اصحابه بنفسه وفي يده قدح يعدل به القوم فكان يقول لهذا تقدم ويشير للآخر تأخر وحدث انه كان اثناء ترتيبه وتعديله مر بسواد بن غزيه وهو خارج عن الصف فطعن في بطنه بالقدح وقال استو

Marfat.com

يا سواد فقال يا رسول الله اوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني(١) قال فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال استقد قال فاعتنقه فقبل بطنه فقال ما حملك على هذا يا سواد قال يا رسول الله حضر ما ترى فاردت ان يكون آخر العهد بك ان يمس جلدي جلدك فدعا له بخير .

وفي يوم احد استعرض الجيش فقبل اقواما ورد آخرين فقد عرض عليه اسامة بن زيد وعبدالله بن عمر وزيد بن ثابت وأبو سعيد الخدري وغيرهم فردهم كلهم .

وفي يوم أحد كان ينظم صفوف اصحابه ويرتب اجنحتهم ويضع الحامية اللازمة في مؤخرة المسلمين ويأمر الرماة الا يغادروا مكانهم مهما وجدوا من أمر اخوانهم المقاتلين حتى يتلقوا الاوامر منه صلى الله عليه وسلم فكان في مقدمة المخططين لفنون القتال وضرائقه آخذا بالاسباب التي تساعد على خذلان الاعداء وهزيمتهم بايقاع الفتنة بينهم وتشتيت شملهم وكسر ظهرهم والتضييق عليهم ومن ذلك موافقته صلى الله عليه وسلم على ما أشار به الحباب بن المنذر وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم لما جاء بدر نزل عند أقرب ماء هناك فقال الحباب يا رسول الله أرأيت هذا المنزل . أمنزلا انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه او نتأخر عنه . أم هو الرأي والحرب والمكيدة ؟ قال بل هو الرأي والحرب والمكيدة ، فقال : يا رسول الله ، فان هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي ادنى ماء من القوم فننزله ثم نغوره ما وراءه من القلب ، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء فنشرب ولا يشربون ، فقال رسول الله صلى الله

---

(١) أي طلب القود وهو القصاص .

Marfat.com

عليه وسلم لقد أشرت بالرأي فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى أتى أدنى ماء من القوم فنزل عليه ، ثم امر بالقلب فغورت وبنى حوضا على القليب الذى نزل عليه ، فملىء ماء ثم قذفوا فيه الآنية .

ومن مواقفه القيادية المشهورة في هذا الميدان ارساله من يخذل بين صفوف اعدائه مخادعة لهم ، كما حصل في يوم الاحزاب حين اتاه نعيم بن مسعود الاشجعى رضي الله تعالى عنه فقال : انى اسلمت وان قومى لم يعلموا باسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال صلى الله عليه وسلم : انما انت فينا رجل واحد ، فخذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة فاذهب فثبت جموع العدو والق بينهم بدهائك .

فخرج حتى أتى بنى قريظة وهم طائفة من اليهود وكان لهم نديما فقال : قد عرفتم ودى اياكم ، وخاصة ما بينى وبينكم ، قالوا : صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم : ان قريشا وغطفان وقد جاؤوا من مكة . وتجمعوا على جانب المدينة المنورة ، لمحاربة النبى صلى الله عليه وسلم واصحابه . وتحالفت معهم بنو قريظة من اليهود المقيمين في المدينة على ذلك . ليسوا كأنتم ــ أي مثلكم ــ البلد بلدكم به اموالكم وابناؤكم ونساؤكم لا تقدرون ان تحولوا منه الى غيره بغيره ــ أي بغير بلدكم فان رأوا نهزة اصابوها . وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم . وخلوا بينكم وبينه ــ أي محمد واصحابه ــ ببلدكم ، ولا طاقة لكم به ان خلابكم فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا

Marfat.com

حتى تناجزوه . فقالوا لنعيم : لقد أشرت بالرأى . ثم أتى نعيم بن مسعود قريشا . فقال لابى سفيان ومن معه . قد عرفتم ودى لكم وفراقى محمدا ، وانه قد بلغنى امر رأيت حقا علي ان أبلغكموه نصحا لكم فاكتموه عنى ، قالوا : نفعل . فقال نعيم ان يهود ندموا على ما صنعوا . وارسلوا الى محمد انا قد ندمنا على ما فعلنا . أيرضيك ان نأخذ من اشراف قريش وغطفان رجالا نضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل اليهم محمد . نعم . قال نعيم . فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهنا فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا .

ثم ان نعيما اتى غطفان فقال : انكم أهلي وعشيرتى وأحب الناس الي ولا اراكم تتهمونى — أي بل أنا مصدق عندكم — فقالوا : صدقت وما أنت عندنا بمتهم . قال نعيم . فاكتموا عنى . قالوا : نفعل . فقال لهم مثل ما قال لقريش .

وكان من صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أبا سفيان ورؤوس غطفان أرسلوا الى يهود من بنى قريظة عكرمة في نفر من القبيلتين ، انا لسنا بدار مقام . وقد هلك الخف والحافر — اى الابل والخيل — فاغدوا للقتال ، حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا — أي يهود بنى قريظة اليهم — الى قريش وغطفان : ان اليوم يوم السبت لا نعمل فيه شيئا وكان قد أحدث فيه — أي في السبت — بعضنا حدثا ، فاصابه ما لم يخف عليكم — أي مسخوا — ولسنا بمقاتلين معكم حتى تعطونا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان اشتد عليكم القتال ، ان ترجعوا الى

Marfat.com

بلادكم ــ مكة وما حولها وتتركونا والرجل ــ أي محمدا ــ ولا طاقة لنا به فقالت قريش وغطفان : والله ان الذى حدثكم نعيم به لحق ، فأرسلوا الى بنى قريظة ، انا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح في ليال شديدة البرد . فأكفأت قدورهم وطرحت أبنيتهم وهزمهم شر هزيمة .

Marfat.com

تعميته الامور على أعدائه بالتلبيس عليهم

فقد كان صلى الله عليه وسلم يلبس امور الحرب على أعدائه ويعميها عنهم كيلا يتفطنوا له ويستعدوا للدفع او يزيدوا في الجمع . وفي ذلك حقن للدماء .

يقول كعب بن مالك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة أي غزوة تبوك : الحديث(١) .

وفي غزوة بدر قام بنفسه يتحسس اخبار قريش فركب هو وابوبكر رضي الله عنه حتى وقفا على شيخ من العرب فسألاه عن قريش وعن محمد واصحابه وما بلغه عنهم . فقال الشيخ : لا اخبركما حتى تخبراني ممن انتما ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : اذا اخبرتنا اخبرناك فقال الشيخ أذاك بذاك ؟ قال نعم . قال الشيخ : بلغني ان محمدا واصحابه خرجوا يوم كذا وكذا . فان كان صدق الذي اخبرني فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغني ان قريشا خرجوا يوم كذا وكذا فان كان الذي اخبرني صدق فهم اليوم بمكان كذا وكذا للمكان الذي به قريش .

فلما فرغ من خبره قال : ممن أنتما ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن من ماء ثم انصرفا عنه قال الشيخ ما « من ماء » امن العراق ؟

---

(١) رواه الشيخان .

Marfat.com

ومن مواقفه صلى الله عليه وسلم السياسية الحكيمة انه لما نقضت قريش صلح الحديبية أرسلت ابا سفيان الى المدينة يسأل النبى صلى الله عليه وسلم تجديد العهد وزيادة المدة فقال : يا محمد انى كنت غائبا في صلح الحديبية فجئت لاجدد العهد فقال صلى الله عليه وسلم : فلذلك جئت ؟ قال : نعم . فقال : هل كان من حدث ؟ فقال ابو سفيان معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولانبدل فقال صلى الله عليه وسلم فنحن على ذلك .

فانظر الى هذه السياسة النبوية الرشيدة لم يعاتبه صلى الله عليه وسلم على نقض العهد ولم يتوعده بالحرب حتى لا تتهيأ نفوسهم للتفكير في حرب ولا يعدون العدة لذلك .

ولذلك فانهم ما أحسوا الا والنبى صلى الله عليه وسلم قريبا من مكة مع جيوشه .

Marfat.com

اهتمامه بمعرفة حالة الاعداء وعددهم واستعدادهم واخبارهم قبل لقائهم

ففى غزوة بدر أيضا بعث صلى الله عليه وسلم عليا والزبير وسعد بن ابى وقاص في نفر من اصحابه الى ماء بدر يلتمسون الخبر له فوجدوا سقاة قريش فأتوا بأثنين منهم فأخذ صلى الله عليه وسلم يسألهما بنفسه فقال لهما : أخبرانى عن قريش قالا : هم والله وراء هذا الكثيب الذى ترى بالعدوة القصوى . قال : كم هم ؟ قال : كثير ، قال : ما عدتهم ؟ قالا : لا ندرى قال : كم ينحرون كل يوم ؟ قالا : يوما تسعا ويوما عشرا ، فقال صلى الله عليه وسلم القوم ما بين تسعمائة والف . ثم قال لهما فمن فيهم من أشراف قريش ؟ قالا : عقبة بن ربيعة . وشيبة بن ربيعة وابو البخترى بن هشام وحكيم بن حزام . ونوفل بن خويلد وابو جهل وامية بن خلف والنضر بن الحارث حتى عد جماعة من كبرائهم ، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال : هذه مكة قد ألقت اليكم افلاذ كبدها .

وفي غزوة حنين وقبل ان تدور المعركة وجه صلى الله عليه وسلم عبدالله بن ابى حدرد الاسلمى وأمره ان يدخل معهم ويقيم حتى يعلم خبرهم ويأتيه به فانطلق فدخل عسكرهم فطاف بهم وجاء بخبرهم ومما سمعه من مالك انه يقول لاصحابه : ان محمدا لم يقاتل قوما قط قبل هذه المرة وانما كان يلقى قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب فيظهر عليهم ، فاذا كان السحر فصفوا

Marfat.com

مواشيكم ونسائكم وابناءكم من ورائكم ، ثم صفوا . ثم تكون الحملة منكم واكسروا جفون سيوفكم فتلقونه بعشرين الف سيف مكسورة الجفون واحملوا حملة رجل واحد ، واعلموا ان الغلبة لمن حمل اولا . فأقبل عبدالله حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأخبره الخبر .

وفي يوم الاحزاب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم حذيفة ليكتشف خبر الاعداء ، وقد تحدث حذيفة بنفسه عن تلك المهمة الخطيرة التى قام بها ، فقال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق . فقال صلى الله عليه وسلم من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع ؟ يشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة اسأل الله تعالى ان يكون رفيقى في الجنة ؟ فما قام رجل من القوم من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى فقال : يا حذيفة اذهب فادخل في القوم فانظر ماذا يصنعون ولا تحدثن شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت في القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش لينظر امرؤ من جليسه ، قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان الى جنبى . فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان . ثم قال ابو سفيان : يا معشر قريش . انكم والله ما اصبحتم بدار مقام ولقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة . وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من شدة الريح ما ترون ما تطمئن لنا قدر ولا تقوم لنا نار ولا يستمسك لنا بناء . فارتحلوا فانى مرتحل ، ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه . ثم

Marfat.com

ضربه فوثب به على ثلاث فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى(١) ان لا تحدث شيئا حتى تأتينى لقتلته بسهم •

قال حذيفة : فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فأخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم •

الى رجليه وطرح على طرف المرط ثم ركع وسجد وانى لفيه . فلما سلم اخبرته الخبر وسمعت غطفان بما فعلت قريش فانشمروا راجعين الى بلادهم •

وهذه القصة التى ذهب لكشفها سيدنا حذيفة بن اليمان غير قصة سيدنا الزبير فانها كانت لكشف خبر بنى قريظة هل نقضوا العهد بينهم وبين المسلمين ووافقوا قريشا على محاربة المسلمين ؟ فروى البخارى وغيره عن جابر انه عليه الصلاة والسلام قال يوم الاحزاب : من يأتينى بخبر القوم ؟ يعنى بنى قريظة كما بينه الواقدى ، فقال الزبير : انا ثم قال من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : من يأتينى بخبر القوم ؟ فقال الزبير : أنا ، ثم قال : ان لكل نبى حواريا وان حوارى الزبير •

---

(١) الى بتشديد الياء .

Marfat.com

أخذه بالتهديد والتخويف لاعدائه قبل لقائــه بهم

ومن سياسته صلى الله عليه وسلم في ذلك انه لما وصل الى وادى فاطمة أمر أن يوقد كل مسلم نارا لتراها قريش فترعب من كثرتها فأوقدوا عشرة آلاف نار حتى ان أبا سفيان لما أبصر هذه النار الكثيرة دخل قلبه الرعب . وقال : ما هذه النيران لكأنها نيران عرفة . وكان قد جرت عادتهم بايقــاد النيران الكثيرة ليلة عرفة .

وكان قد خرج في تلك الليلة أبو سفيان وبديل بن ورقاء يتحســسان الاخبار فأثر فيهما ذلك المنظر تأثيرا عجيبا وصارا يتحدثان عن ذلك باهتمام وخوف وانزعاج مما كان له الاثر الكبير في استجابة أبى سفيان وطلبه الامان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لاهل مكة .

ثم كان صلى الله عليه وسلم من عظيم سياسته في هذه الغزوة أيضا أن أعلن أن من دخل دار ابى سفيان فهو آمن فكان في هذا منه غاية السياسة والحكمة .

ثم تجلت سياسته صلى الله عليه وسلم أيضا في أمره للعباس ان يحبس ابا سفيان بمضيق الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها ففعل فمرت القبائل على رايتها كلما مرت قبيلة قال : يا عباس من هذه ؟ قال العباس : فأقول :

Marfat.com

سليم . قال : ما لي ولسليم ثم تمر به القبيلة فيقول : يا عباس . من هـؤلاء ؟ فأقول : مزينة . فيقول مالي ولمزينة حتى تمضت القبائل ما تمر به قبيلـة الا سألني عنها فاذا أخبرته بها قال : مالي ولبني فلان حتى مر به رسول اللـه صلى الله عليه وسلم في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والانصار لا يـرى منهم الا الحدق من الحديد وانما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهـوره فيها قال سبحان الله يا عباس من هؤلاء ؟ قال : قلت هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين والانصار . قال : ما لاحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

ومن ذلك ما فعله صلى الله عليه وسلم مع بني النضير لما تحصنوا في حصونهم فحصرهم صلى الله عليه وسلم وامر بقطع نخيلهم واتلافها بالاحراق بالنار والذي أتلفه صلى الله عليه وسلم انما هو البعض وترك الباقي وقـد نزل القرآن مصوبا ما أقدم عليه صلى الله عليه وسلم من ذلك قطعا وابقاء وذلك في قوله تعالى : « ما قطعتم من لينة او تركتموها قائمة على أصولهـا فبإذن الله » .

Marfat.com

ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك

كمال خلقه في سياسة وتربية الامة
وكريم معاشرته لهم عامة ولاهله وأصحابه خاصة

Marfat.com

اكمل حديث في الشمائل

من أكمل ما جاء في وصفه حديث الحسين عن أبيه على بن أبى طالب رضي الله عنهما اذ تحدث فيه عن جملة من احواله . وفيما يتعلق بمعاملة الخلق ومعاشرتهم يقول على رضي الله عنه في الحديث المشهور في الشمائل :

وكان من سيرته في جزء الامة ايثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين : فمنهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم ذو الحوائج فيتشاغل بهم ويشغلهم فيما يصلحهم والامة(١) من مسألتهم عنه واخبارهم بالذى ينبغى لهم ويقول : ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغونى حاجة من لا يستطيع ابلاغها فانه من أبلغ سلطان حاجة من ابلاغها . ثبت الله قدميه يوم القيامة لا يذكر عنده الا ذلك ولا يقبل من أحد غيره يدخلون رواد(٢) ولا يفترقون الا عن ذواق ويخرجون أدلة ــ يعنى على الخير .

قال الحسين رضي الله عنه : فسألت أبي ــ عليا رضي الله تعالى عنه مخرجه كيف كان يصنع فيه ؟ قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) يتشاغل بهم ــ أي يكون مشغولا باجابة طلباتهم وأسئلتهم وقضاء حاجاتهم يشغلهم أي يشغلهم فيما يصلحهم وينفعهم .
والمقصود انه ما كان صلى الله عليه وسلم يترك جزءا من الزمن فارغا عما ينفع الامة ويصلح أمرها ، وما كان يترك اصحابه في فراغ من الوقت وبطالة من العمل بل كان صلى الله عليه وسلم يشغلهم بما يصلحهم وينفعهم ويصلح الامة وينفعها .

(٢) الرواد : بضم فتشديد جمع رائد وهو الطالب والمراد ان الناس يدخلون عليه صلى الله عليه وسلم طالبين نفعهم في دينهم ودنياهم فلا يخرجون من عنده صلى الله عليه وسلم الا وهم مكرمون ظفرون .

Marfat.com

يخزن لسانه الا فيما يعنيه(١) ويؤلفهم ولا ينفرهم(٢) ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم(٣) ويحذر الناس ويحترس منهم من غير ان يطوى عن أحد منهم بشره وخلقه(٤) ويتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس(٥) ويحسن الحسن ويقويه ويقبح القبيح ويوهيه معتدل الامر غير مختلف(٦) لا يغفل مخافة ان يغفلوا أو يميلوا لكل حال عنده عتاد(٧) لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه .

الذين يلونه من الناس خيارهم أفضلهم عنده اعمهم نصيحة وأعظمهم عند ه منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة(٨) .

وقال الحسين : فسألته ــ أي عليا رضي الله عنه ــ عن مجلسه صلى الله عليه وسلم كيف كان ؟ فقال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا

---

(١) أي فلا يتكلم صلى الله عليه وسلم الا فيما يعنيه .

(٢) أي يؤلف الناس بكريم معاشرته وحسن مقابلته ولا ينفرهم عنه بغلظة او فظاظة او كلمات مؤذية .

(٣) أي انه يكرم كريم القوم بما يناسبه من التكريم والحفاوة ويجعله والنا عليهم وامرا مدبرا لامورهم ، وهذا من تمام حسن نظره صلى الله عليه وسلم وحكمة تدبيره وتنظيمه واعطائه المراتب حقها .

(٤) أي يحذر الناس الذين هم حديثو عهد بالاسلام ولم يخبرهم ولم يجربهم في مهام الامور ويحترس منهم ولكنه لا يطوى عنهم بشره وحسن مقابلته وطلاقة وجهه صلى الله عليه وسلم

(٥) اي انه صلى الله عليه وسلم كان يتفقد اصحابه خاصة كما وانه يبحث عن احوال الامة عامة فيسأل الناس الذين عندهم معرفة بأحوال الناس عما في الناس من الاحوال السارة او المكروهة وعما في الناس من سعة وضيق وشدة ورخاء وفرح وترح فيفرح لفرحهم ويسر لما يسرهم ويحزن لما يحزنهم ويسعى في رفع المكاره والمساوى عنهم .

(٦) أي أن جميع افعاله صلى الله عليه وسلم واقواله على غاية من الاعتدال .

(٧) أي لكل حال من الاحوال عنده عدة أعدها لاولئك الحالة وهيأ لكل امر من الامور ما

(٨) أي المقربون عنده صلى الله عليه وسلم من الناس خيار الناس وأفضلهم عنده اعمهم نصيحة واكثرهم خيرا ونفعا للامة في دينها ودنياها واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساه

Marfat.com

بجلس ولا يقوم الا على ذكر الله تعالى ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها .

واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك .

يعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان أحدا اكرم عليه منه .

من جالسه او فاوضه في حاجة صابره حتى يكون هو المنصرف(١) .

ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول . قد وسع الناس منه بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق سواء . مجلسه مجلس علم وحياء وصبر وأمانة . لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم(٢) ولا تنثى فلتاته(٣) متعادلين بل كانوا يتفاضلون فيه بالتقوى متواضعين . يوقرون فيه الكبير . ويرحمون فيه الصغير . ويؤثرون ذا الحاجة ويحفظون الغريب .

وقال الحسين : وسألت أبي ــ عليا رضي الله عنه ــ عن سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في جلسائه ؟ فقال ؟ كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب (٤) ليس بفظ(٥) ولا غليظ(٦) ولا

---

(١) صابره أي غلب جليسه ومفاوضه في الصبر على المجالسة مهما طالت المكالمة ولا يعاجله صلى الله عليه وسلم بالقيام عن المجلس او بقطع كلامه ولا يظهر له الملال والسآمة .

(٢) الابن : بفتح الهمزة هو العيب . والحرم : جمع حرمة وهى ما يحترم ولا يحل انتهاكه ــ والمعنى ــ ان مجلسه صلى الله عليه وسلم لا تعاب فيه حرم الناس ولا تنتهك بقذف او غيبة ونحوهما بل مجلسه صلى الله عليه وسلم مصون عن كل قول قبيح وعن كل فعل سيىء .

(٣) الفلتات : جمع فلته ، وهى ما يبدر من الرجل من سقطة او هفوة ، والمعنى انه لا فلتات في مجلسه صلى الله عليه وسلم اصلا فلا يصدر من جلسائه صلى الله عليه وسلم زلات في مجلسه حتى تذاع بل المجلس حصين بالادب والكمال .

(٤) أي كثير اللطف سريع العطف .

(٥) أي ليس هو صلى الله عليه وسلم بسيىء الخلق .

(٦) أي ليس بالجافي الطبع الشديد القاسي .

Marfat.com

صخاب(١) ولا فحاش(٢) ولا عياب(٣) ولا مشاح(٤) وفي نسخة صحيحة ولا مداح(٥) ولا مزاح . يتغافل عما لا يشتهى(٦) ولا يؤيس منه راجيه(٧) ولا يخيب فيه ؛ قد ترك نفسه من ثلاث : المراء والاكثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيبه ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما رجا ثوابه واذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير فاذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ومن تكلم عنده انصتوا له حتى ينفرغ حديثهم عنده حديث اولهم(٨) يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون منه . ويصبر للغريب على الجفوة في منطقه ومسألته حتى ان كان أصحابه ليستجلبونهم(٩) ويقول : اذا رأيتم طالب حاجة فارفدوه(١٠) ولا يقبل الثناء الا من مكافيء(١١) ولا يقطع على أحد حديثه حتى يجوز فيقطعه بنهى او قيام .

ومن كمال ادبه صلى الله عليه وسلم في معاملة الخلق تغافله عن سفه المبطلين وقبوله ظواهر أقوالهم وان كانت تنم عن قبح نواياهم وسوء مقاصدهم .

---

(١) أي لا يرفع صوته بالصياح .
(٢) أي لا يتكلم بكلام قبيح .
(٣) أي لا يعيب انسانا ولا حيوانا ولا طعاما .
(٤) المشاحة هى المتضايقة في الاشياء .
(٥) أي ليس مبالغا في مدح شيء من مباحات الدنيا .
(٦) يتغافل أي يظهر الغفلة والاعراض عما لا يستحسنه من الاقوال والافعال التى تصدر من بعض الجلساء تلطفا ورفقا بالجلساء .
(٧) أي من رجاه في أمر لم يقطع رجاؤه ولم يجعله آيسا .
(٨) أي ان الذى يتقدم في الكلام اولا من أهل المجلس هو اولهم مجنا .
(٩) أي انه كان الصحابة ليستجلبون الغرباء ويرغبون فى حضورهم مجلس النبى صلى الله عليه وسلم ليستفيدوا بسبب أسئلتهم .
(١٠) أي فاعينوا صاحب الحاجة على حاجته حتى يصل اليها .
(١١) أي مقارب في مدحه غير مفرط ولا مفرط .

Marfat.com

ومن ذلك ان جماعة من اليهود استأذنوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليكم . فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة . فقال صلى الله عليه وسلم يا عائشة ان الله يحب الرفق في الامر كله . قالت ألم تسمع ما قالوا : قال قد قلت : وعليكم. رواه مسلم في صحيحه(١) .

فهو صلى الله عليه وسلم يعلم انهم يقصدون معنى آخر غير السلام وهو « السام » أي الموت او السلام بكسر السين وهي الحجارة ولكنه أجرى ذلك على ظاهره منهم مع حفظ كرامة المسلمين بقوله في الجواب « وعليكم ».

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى ١٤٦/١٤ .

Marfat.com

كريم عشرته مع الاهل وذوى القربى

كان صلى الله عليه وسلم كريم العشرة مع زوجاته وسائر أهله يلاطفهن ويمازحهن ويعاملهن بالود والاحسان وقد حث على ذلك بقوله خيركم خيركم لاهله وأنا خيركم لاهلى(١) وقوله ان من اكمل المؤمنين ايمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله(٢) .

وسئلت السيدة عائشة كيف كان صلى الله عليه وسلم اذا خلا في بيته فقالت كان ألين الناس بساما ضحاكا(٣) .

ومن كريم معاشرته لاهله ما جاء في الصحيح عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت كنت ألعب بالبنات عند النبى صلى الله عليه وسلم وكان صواحبى يلعبن معى فكان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل ينقمعن منه أي تغيبن ودخلن في بيت او من وراء ستر فيسر بهن — أي فيرسلهن واحدة واحدة الي فيلعبن معى قال في المشارق البنات هى اللعب والصور التى يلعب بها الصبيان قلت وهى التى تسمى اليوم بعرائس الاطفال .

قال الحافظ ابن حجر في الفتح استدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات من اللعب لاجل لعب البنات بهن . وخص ذلك من عموم النهى عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وانهم اجازوا بيع اللعب للبنات

---

(١)(٢) رواهما الترمذى .
(٣) رواه ابن سعد .

Marfat.com

لتدريبهن في صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن . وذهب بعضهم الى انه منسوخ .

وروى احمد عن عائشة ان النبى صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهى تلعب بالبنات ومعها جواد فقال ما هذا يا عائشة قالت : هذا خيل سليمان . قالت : فجعل يضحك من قولها . قال الامام احمد غريب .

وفي الصحيح انها كانت في متاع عائشة لما تزوجها صلى الله عليه وسلم قال ابن حزم كما نقله السفارينى وجائز للصبيان خاصة اللعب بالصور ولا يجوز لغيرهم والصور محرمة الا هذه والا ما كان رقما في ثوب(١) .

ومن كريم عشرته صلى الله عليه وسلم مع أهله ما جاء عن السائب بن يزيد ان امرأة جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا عائشة تعرفين هذه . قالت : لا يا نبى الله . قال : هذه قينة بنى فلان تحبين ان تغنيك فغنتها(٢) .

فانظر الى هذه المعاملة النبوية الكريمة فانه صلى الله عليه وسلم يستدعى من عائشة ان تغنيها ولم تسأله هى ذلك وانما ابتدأها به .

ومن كريم عشرته صلى الله عليه وسلم مع أهله انه كان يسابق زوجته عائشة وقد سابقها مرة فسبقته هى حتى اذا ما مضت فترة قال لها تعالي اسابقك تقول السيدة عائشة وكنت بدنت وسمنت فسبقنى وجعل يضحك صلى الله عليه وسلم ويقول هذه بتلك .

---

(١) انظر شرح منظومة الادب للسفارينى .
(٢) رواه احمد وابو داود .

Marfat.com

وكان صلى الله عليه وسلم في مهنة أهله(١) أي يعاونهم في أمورهم البيتية .

وكان يستمع الى حديث زوجاته بالملح والفكاهات تأنيسا لهن وملاطفة فقد جلس يوما يستمع لقصة احدى عشرة امرأة تعاهدن وتعاقدن ان لا يكتمن من اخبار أزواجهن شيئا فأخذت كل واحدة تصف احوال زوجها من خير وشر وكانت التى تحكيها له زوجه السيدة عائشة رضي الله عنها وهو يستمع باهتمام وعناية(٢) .

ولا يخفى اكرامه صلى الله عليه وسلم لمرضعته حليمة السعدية واخته بالرضاع الشيماء وبسببهما اكرم بنى سعد كلهم فكانت ابرك امرأة على قومه

---

(١) رواه البخارى .
(٢) القصة رواها الشيخان .

Marfat.com

كريم عشرته مع الناس في الحديث

كان صلى الله عليه وسلم يصغى كل الاصغاء الى من يحدثه او يسأله ويقبل عليه ويلاطفه •

يقول أنس ما رأيت رجلا التقم اذن النبى صلى الله عليه وسلم ــ يعنى يكلمه سرا ــ فينحى رأسه عنه حتى يكون الرجل هو الذى ينحي(١) •

ويقول عمر بن العاص كان صلى الله عليه وسلم يقبل بوجهه وحديثه على شر القوم يتألفه بذلك(٢) •

« في المقابلة »

وكان اذا قابل أحدا وصافحه لا ينزع يده حتى يكون الرجل هو الذى يرسله(٣) وكان اطلق الناس وجها وأكثرهم تبسما واذا أقبل عليه قادم رحب به . وقد قال لعمار لما قدم عليه مرحبا بالطيب المطيب(٤) واذا سلم عليه مسلم رد التحية بأحسن منها واذا قدم عليه قادم رحب به أجمل ترحيب واذا جلس اليه أصحابه يسألهم عن احوالهم بقوله كيف انت ؟ كيف اصبحت فاذا قال بخير احمد الله قال له صلى الله عليه وسلم جعلك الله بخير واذا دخل عليه كريم قوم أو عزيز اكرمه وبسط له رداءه وكساءه وقد جاءه

---

(١) رواه ابو داود .
(٢) رواه الطبرانى واسناده حسن كذا في المجمع .
(٣) رواه البزار والطبرانى كما في المجمع .
(٤) رواه الترمذى .

Marfat.com

يوما جرير البجلى وكان المجلس غاصا بأهله من اصحابه فلم يجد مكانا فقعد على الباب ، فنزع رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه والقاه اليه فأخذه جرير فألقاه على وجهه وجعل يقبله ويبكى ورمى به الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتنى . فنظر صلى الله عليه وسلم يمينا وشمالا وقال اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه(١) .

وكان يقدم كبير القوم في الكلام والسؤال ويقول كبر كبر(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يبسط لجلسائه بساط الانطلاق الشرعى المباح القال والحال دون أن يقبضهم بحاله او يكتبهم بقاله فاذا تحدثوا بأمر شاركهم ما لم يكن اثما يقول خارجة بن زيد كنا اذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا واذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا واذا ذكرنا الطعام ذكره معنا(٣) .

ويقول جابر بن سمرة وكانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم صلى الله عليه وسلم(٤) .

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع اصحابه لادخال السرور عليهم . ومن ذلك انه جاءه رجل يستحمله ــ أي يطلب منه دابة ــ فقال له صلى الله عليه وسلم انى حاملك على ولد الناقة . فقال يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة . فقال صلى الله عليه وسلم وهل يلد الابل الا النوق(٥) .

---

(١) رواه العسكرى بسند ضعيف كذا في المقاصد .
(٢) رواه البخارى .
(٣) قال شيخنا عبدالله سراج الدين في كتابه عن الشمائل المحمدية رواه الترمذى والطبرانى بسند حسن .
(٤) رواه مسلم .
(٥) رواه الترمذى وابو داود واحمد .

Marfat.com

وكان صلى الله عليه وسلم يمزح مع رجل من البادية اسمه زاهر ويقول ان زاهرا بديتنا ونحن حاضروه(١) .

وروى ابن بكار عن زيد بن أسلم ان امرأة يقال لها أم أيمن الحبشية جاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك فقال من هو ؟ أهو الذي بعينه بياض ؟ فقالت ما بعينيه بياض . فقال : بلى بعينيه فقالت لا والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من أحد الا بعينيه بياض ـ أي البياض المحيط بالحدقة .

ومن ذلك ان عجوز أتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول ادع الله ان يدخلني الجنة فقال يا أم فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز . قال فذهبت وهي تبكي فقال صلى الله عليه وسلم اخبروها انها لا تدخلها وهي عجوز ان الله تعالى يقول عربا أترابا(٢) ومعنى قوله اترابا أي متساويات في سن واحدة .

وكان صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتبسم في وجوه اصحابه حين يلقاهم وفي حديثه اليهم تلطفا بهم ومؤانسة لهم .

تقول ام الدرداء كان ابو الدرداء اذا حدث حديثا تبسم فقلت لا يقول الناس انك أحمق ـ أي بسبب تبسمك في كلامك فقال ابو الدرداء ، ما رأيت او سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا الا تبسم

---

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه الترمذي .

Marfat.com

فكان ابو الدرداء اذا حدث حديثا تبسم اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم(١)

وكان عبدالله الملقب بين الصحابة بحمار كان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم العكة من السمن او العسل ثم يجيء بصاحبها فيقول اعطه الثمن قال شيخنا الكتانى في التراتيب ترجم له في الاصابة وترجم لسويبط بن حرملة العبدرى وذكر قضايا من أفعاله فذكر ان النبى صلى الله عليه وسلم ضحك هو واصحابه منها حولا كاملا .

ومن كريم عشرته لاصحابه ما جاء في الحديث ان الحبشة جاؤوا بحرابهم يلعبون في المسجد فكان المصطفى صلى الله عليه وسلم يريهم لعائشة وهى متكئة على منكبه(١) ، وفي رواية كانت الحبشه يرقصون ويقولون محمد عبد صالح(٢) .

قلت وقد ثبت ان بعض كبار الصحابة حجل بين يديه صلى الله عليه وسلم وهو ينظر : والحجل : هو رقص على هيئة مخصوصة .

روى ابن سعد ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لجعفر اشبهت خلقى وخلقى فقام جعفر فحجل حول رسول الله صلى الله عليه وسلم — أي دار . وفي رواية انه قال لعلى انت منى وانا منك ، وقال لزيد : انت اخونا ومولانا فقام الثلاثة كلهم فحجلوا حوله وبين يديه(٣) .

---

(١) التراتيب الادارية ٣٩/١ .
(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أحمد والمسند انظر الفتح .
(٣) انظر تخريج احاديث احياء للعراقى ٢/١٤٩ .

Marfat.com

وفي رواية عند ابى داود فقام جعفر فحجل وقام زيد فحجل . قال العراقى وسنده حسن . قال الحافظ السيوطى وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر عليه صلى الله عليه وسلم .

قلت : وقد أخرج البيهقى عن المطلب بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الهوا والعبوا فانى اكره ان أرى في دينكم غلظة .

واخرج الحاكم عن عائشة رفعته هل كان معكم من لهوفان الانصار يحبون اللهو وفي هذا دليل لطلب ترويح النفس اذا سئمت وجلاها اذا صدأت باللهو واللعب المباح ت ١٥٧ ٢ . وقد كان اكثر ضحكه صلى الله عليه وسلم هو التبسم .

وكان صلى الله عليه وسلم يلاطف الصبيان ويسلم عليهم ويمسح رؤوسهم(١) وكان احيانا يصف(٢) عبدالله وعبيدالله وكثير بنى العباس ثم يقول من سبق الي فله كذا وكذا. قال فيسبقون اليه فيقعون على ظهره وصدره صلى الله عليه وسلم فليتزمهم ويقبلهم(٣) .

وكان اذا رجع من سفر تلقاه الصبيان من أهل بيته فرحا به لما يعلمون من لطفه وشفقته . فكان يحمل هذا على يديه وهذا يردفه خلفه صلى الله عليه وسلم .

---

(١) قال شيخنا عبدالله سراج الدين رواه ابن حبان في زوالده .
(٢) أي يجعلهم في صف واحد .
(٣) رواه احمد في المسند باسناد حسن .

Marfat.com

وكان صلى الله عليه وسلم اشد الناس وقارا وأعظمهم ادبـا وارفعهم فخامة وكرامة يقول خارجة بن زيد كان صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئا من اطرافه(١) ومعنى انه ما كان يخرج شيئا من اطرافه ـ أي من بزاق فمه او مخاط انفه او قطع ظفره .

في المعـاملة

كان صلى الله عليه وسلم يكافىء الاكرام بافضل اكرام وقد قام بنفسه يخدم وفد النجاشي لما جاءوه فقال له اصحابه نحن نكفيك ـ أي نكفيك القيام بضيافتهم واكرامهم ـ فقال صلى الله عليه وسلم انهم كانوا لاصحابنا مكرمين وانا أحب ان اكافئهم(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم لا يضيع الاحسان ولا ينكر الجميل والمعروف لانسان عمل معه معروفا او صنع معه جميلا يذكره له ويقابـله بما هو أحسن وأكرم وأجمل وقد أكرم قبيلة هوازن وعفا عنهم لاكرامهم له بالرضاع واكرم اخته الشيماء بنت حليمة لما وفدت لانها اكرمته بحضانتها له .

وكان يكرم اصدقاء واقارب زوجه السيدة خديجه لمعروفها واحسانها الذى لا ينساه بل كان يشكر على أقل من ذلك فقد رأى ابو أيوب عـلى لحيته صلى الله عليه وسلم ريشة فابتدر فأخذها فقال له صـلى الله عليه وسلم نزع الله عنك ما تكره(١) ورأى عمرو بن اخطب الانصارى شعرة في

---

(١) رواه ابو داود في المراسيل .
(٢) رواه البيهقى في الـدلائل .
(١) رواه الطبرانى كذا في المجمع وفيه انه كان يطوف بين الصفا والمروه .

Marfat.com

القدح ــ أي قدح الماء ــ الذى سيشربه صلى الله عليه وسلم فابتدر فأخذها وأزالها من القدح فقال له : اللهم جمله . قال الراوى فرأيت عمرا وهو ابن تسعين سنة وليس في لحيته شعرة بيضاء(١) .

وفي يوم بدر نهى صلى الله عليه وسلم عن قتل أبى البخترى بن هشام . وهذا في مقابلة اكرامه للمسلمين بمكة . وذبه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم ايذائه له . بل كان يبعث لبنى هاشم لما كانوا في الشعب بالاطعمة الكثيرة . ولما لامه أبو جهل قال أبو سفيان : دعوه كريم وصل رحمه . وقد سعى في نقض الصحيفة التى كتبتها قريش في مناجذته صلى الله عليه وسلم .

وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه وقد مر في وصفه قول هند بن أبى هالة . وكان صلى الله عليه وسلم يتفقد اصحابه ويسأل الناس عما في الناس . والمعنى انه كان يسأل عنهم حال غيبتهم عنه .

ويقول أنس كان صلى الله عليه وسلم اذا فقد الرجل من اخوانه ثلاثة أيام سأل عنه فان كان غائبا دعا له وان كان شاهدا ــ أي حاضرا في البلد زاره وان كان مريضا عاده(٢) .

وكان صلى الله عليه وسلم يزور اصحابه ليكرمهم وليدخل السرور عليهم وكان يكثر زيارة الانصار(٣) وقد يصلى في بيت من يزوره(٤) لتنالهم بركته فيتبركون بموضع صلاته .

---

(١) رواه أحمد والطبرانى .
(٢) رواه ابو يعلى كذا في المجمع .
(٣) رواه أحمد ونحوه عند الترمذى وحسنه .
(٤) رواه البخارى في الادب المفرد .

Marfat.com

وكان يزور ضعفاء المسلمين ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم(٥) •

ويبشرهم بما يجبر خاطرهم وينسيهم ما هم فيه من فقر وضيق فيقول لهم : ابشروا يا صعاليك ــ أي فقراء ــ المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل اغنياء الناس بنصف يوم وذلك خمسمائة سنة •

وكان صلى الله عليه وسلم في معاشرته للناس شديد الحياء والتواضع واسع الصدر حليما كريما عفوا رحيما صابرا يفوق صبره صبر الصابرين اعدل خلق الله في حقوق الله وحقوق الخلق يحفظ الود ويحسن العهد ويوفي بالوعد وان شق ذلك عليه ويتحمل جفوة الاعرابى ويلاطفه ويقابل غلظته بلطيف المقال والحال •

وكان صلى الله عليه وسلم في طريقة معاشرته لاصحابه ومعاملته لهم يشعرهم بتمام الثقة بأنفسهم والاعتداد بأنفسهم وذلك بمشاورتهم •

ويحث على هذا المبدأ السامى بقوله : المستشار مؤتمن(١) وقوله ما خاب من استخار ولا ندم من استشار(٢) •

ويقول ابو هريرة ما رأيت احدا أكثر مشاورة لاصحابه من النبى صلى الله عليه وسلم •

وقد شاور صلى الله عليه وسلم اصحابه في عدة امور منها في يوم بدر للقاء قريش •

---

(٥) رواه الحاكم وابو يعلى .
(١) رواه الامام أحمد واصله في السنن .
(٢) رواه الطبرانى في الاوسط وله شواهد كثيرة تقوى ضعفه .

Marfat.com

ومنها انه شاورهم في المكان الذى ينزلون فيه يوم بدر وشاورهم في أحد هل يخرج او يقعد فأشار أكثرهم بالخروج فخرج، وشاورهم يوم الخندق في المصالحة وقال في قصة الافك اشيروا علي . واذا أشاروا برأي حسن أخذه وعمل بمقتضاه وأعلن ذلك وصوبه وحسنه تكريما لصاحبه وتنشيطا لهمته وتقديرا لموقفه في مواضع الخبرة •

Marfat.com

جبـــره للخاطـــر

من كمال أدبه صلى الله عليه وســلم في معاملة الخلق جبره للخاطـــر وتطييبه للنفوس .

ومواقفه صلى الله عليه وسلم في ذلك مشهورة ومن مواقفه في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : لولا الهجـــرة لكنت امرأ من الانصـــار . رواه البخارى بسنده عن ابى هريرة في كتاب فضائل الصحابة .

والمعنى لانتسبت الى دارهم المدينة او لتسميت باسمهم وانتسبت اليهم كما كانوا يتناسبون بالحلف لكن خصوصية الهجرة سبقت فمنعت من ذلك وهى أعلـــى وأشرف فلا تتبدل بغـــيرها ، ومعلوم ان مراده بـــذلك تألفهم واستطابة نفوسهم والثناء عليهم في دينهم وجبر خـــواطرهم وليس المـــراد الانتقال عن نسب آبائه لانه يمتنع قطعا لاسيما ونسبه عليه الصلاة والسلام أشرف الانســـاب .

ومن ذلك موقفـــه صـــلى اللـــه عليه وسلم من الانصـــــار لما أعطى غيرهم وتركهم فقال لهم ما جبر خواطرهم وادخل عليهم سرورا عظيما لا يقدر قـــدره .

قال : او لا ترضـــون ان يرجع الناس بالغنائم الى بيوتهـــم وترجعـــوا برسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيوتكم لو سلكت الانصار واديـــا او شعبا لسلكت وادى الانصار او شعبهم . رواه البخارى في المناقب .

Marfat.com

ومن ذلك قوله لرجل من الانصار طلب من النبى صلى الله عليه وسلم ان يستعمله فكأنه لم يتحصل على ذلك المطلوب فقال له : انكم ستلقون بعدى أثره فاصبروا حتى تلقونى على الحوض . رواه البخارى في المناقب . ومعنى قوله ستلقون بعدى أثرة أي عدم عناية .

ومن ذلك ان النبى صلى الله عليه واله وسلم لما دخل مكة في عمرة القضاء فتبعتهم بنة حمزة تقول يا عم يا عم فتناولها علي رضي الله عنه فأخذ بيدها فقال لفاطمة رضي الله عنها دونك ابنة عمك أحمليها .

قال: فاختصم فيها علي وزيد وجعفر فقال علي: أنا أحق بها وهى ابنة عمى وقال جعفر بنة عمى وخالتها تحتى . وقال زيد ابنة اخى فقضى بها النبى صلى الله عليه وسلم لخالتها وقال : الخالة بمنزلة الام . وقال لعلى : انت منى وانا منك . وقال لجعفر : أشبهت خلقى وخلقى . وقال لزيد : انت اخونا ومولانا . رواه البخارى في كتاب الصلح . فحكم لجعفر وأرضى الرجلين .

وجاء في رواية اخرى ما يفيد ان للحديث سببا آخر وهو ما رواه اسامة بن زيد عن أبيه قال : اجتمع على وجعفر وزيد بن حارثة فقال جعفر أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقال على : أنا احبكم الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم . وقال زيد : أنا أحبكم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه واله وسلم نسأله . قال اسامة فجاؤوا يستأذنونه فقال اخرج فانظر من هؤلاء فقلت هذا جعفر وعلى وزيد ما أقول ابى(١) . فقال ائذن لهم فدخلوا فقالوا :

---

(١) يقول اسامه انى لم أقل جاء أبى بل قلت (زيد) باسمه .

Marfat.com

يا رسول الله من أحب اليك قال فاطمة . قالوا نسألك عن الرجال فقال اما انت يا جعفر فأشبه خلقك خلقى واشبه خلقى خلقك وانك منى وشجرتى . واما انت يا على فختنى وابو ولدى وانا منك وانت منى ، واما انت يا زيد فمولاى ومنى والي واحب القوم الى : (اخرجه احمد كذا في ذخائر العقبى) فانت تراه صلى الله عليه وسلم قد جبر خواطر الجميع وأدخل عليهم السرور.

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم سلمان منا اهل البيت وهو حديث رواه الطبرانى والحاكم وسنده ضعيف (كذا في كشف الخفا ١/ ٤٦٠).

Marfat.com

حسن طريقته في العتاب والتأديب

العتاب طريق من طرق التأديب والتهذيب . وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعمله اذا اقتضت الحاجة ذلك كتربية أو تنبيه ولكنه صلى الله عليه وسلم كان يسلك في العتاب طرقا مختلفة وأساليب متعددة يراعى فيها الاحوال والمقتضيات فتراه يعاتب تارة بالاشارة وحينا بالعبارة وحينا آخر بالمخاصمة . وقد يكون ايضا بالاعراض . وقد يكون بالهجر والترك . وقد يكون بما يظهر على وجهه الشريف من آثار الغضب .

ومن ذلك انه صلى الله عليه وسلم رأى يوما عبدالله بن عمر وقد لبس ثوبين معصفرين . ولما كان ذلك منهيا عنه قال له صلى الله عليه وسلم امك امرتك بهذا ، رواه مسلم .

فاكتفى صلى الله عليه وسلم بهذا النوع من العتاب لانه كان كافيا في اصلاح الامر وبيان المعروف ولذلك فانه ثبت ان ابن عمر لما رجع الى بيته ما كان منه الا ان أحرق الثوبين .

وقد يشتد صلى الله عليه وسلم في العتاب لا لان المعاتب محتاج الى ذلك او انه لا ينتفع الا باسلوب الشدة ، ولكن لملاحظة معنى آخر من المعانى السامية . وذلك كما وقع في معاتبة معاذ بن جبل رضي الله عنه فان معاذا صلى يوما في مسجد قومه اماما فأطال الصلاة جدا وكان في المصلين ذو حاجة

Marfat.com

فقطع الصلاة وانصرف فلما علم معاذ عنه قال انه منافق ـ ومعلوم ان مثل هذا الوصف في ذلك العهد كان خطيرا جدا لانه يعنى الكفر فما كان من الرجل الا ان جاء وهو في قلق وانزعاج واضطراب يشكو معاذا في تطويل الصلاة وفي اتهامه له بالنفاق فعاتب صلى الله عليه وسلم معاذا عتابا شديدا بقوله : أفتان(١) انت يا معاذ أفتان أنت يا معاذ أفتان أنت يا معاذ وكان ذلك جبرا لخاطر الرجل واهتماما بشكواه والا فان تطويل الصلاة يكفى فيه مجرد البيان بان من أم فليخفف خصوصا مع مثل معاذ وهو من اعلم الناس بالحلال والحرام .

ومن هذا الباب عتابه صلى الله عليه وسلم بشدة لابى ذر رضي الله عنه فان أبا ذر قال لعبده يا ابن السوداء فشكاه الى حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم فما كان منه صلى الله عليه وسلم الا أن قال له انك امرؤ فيك جاهلية أعيرته بأمه . وهذا عتاب شديد في حق ابى ذر . وقد يكون أقل من ذلك كافيا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لاحظ حال ذلك الخادم الذى جاء شاكيا ، وقد أمن في ظل الاسلام الذى لا يفرق بين الالوان والاجناس فاراد صلى الله عليه وسلم ان يجبر خاطره ويرضي نفسه ويشعره باهتمامه بحاله وشكواه .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب السجن ولم يكن للنبى صلى الله عليه وسلم سجن مخصوص معد مهيىء لذلك وكذلك في عهد ابى بكر رضي الله عنه ، وانما كان معنى السجن تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت او مسجد .

---

(١) افتان انت ؟ بتشديد التاء من الفتنه .

Marfat.com

فقد روى ابو داود بسنده ان النبى صلى الله عليه وسلم حبس رجلا في تهمة . وفي الصحيح انه صلى الله عليه وسلم حبس ثمامة بن أثال بربطة في سارية من سوار المسجد .

وفي السيرة الحلبية انه صلى الله عليه وسلم حبس بنى قريظة بالمدينة في دار بنت الحارث امرأة من الانصار ثم قتلهم .

وقد يتولى نفس الخصم او وكيله عليه ملازمة الشخص الذى يستحق الحبس . فقد روى ابو داود وابن ماجه عن الهرماس بن حبيب عن ابيه قال أتيت النبى صلى الله عليه وسلم بغريم لي فقال لى الزمه ثم قال لى يا اخا بنى تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك وهذا كان هو الحبس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابى بكر ، ثم اشترى عمر رضي الله عنه دارا بمكة وجعلها سجنا(١) .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب الضرب فقد جلد من قتل عبده متعمدا(٢) وجلد مسطح بن أثاثة ومن تكلم في قصة الافك وخبر ذلك مشهور(٣) .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب التأديب بالنفي وقد ثبت انه نفى الحكم بن أبى العاص الى الطائف(٤) وامر بذلك فقال : البكر بالبكر

---

(١) انظر تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة عمر رضي الله عنه .
(٢) انظر اقضية الرسول صلى الله عليه وسلم لابن الطلاع .
(٣) انظر ترجمة في الاصابة والاستيعاب .
(٤) انظر ترجمته في الاستيعاب والاصابة .

Marfat.com

جلد مائة وتغريب عام ، وقضى على الاجير الذى زنى بالجلد والتغريب ، وكذا حكم على المخنث الذى كان يدخل على النساء .

ومن طرقه صلى الله عليه وسلم في التأديب الهجران وثبت ذلك من قصة كعب بن مالك أحد الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك وهم كعب وهلال ابن امية ومرارة بن الربيع فهجرجهم صلى الله عليه وسلم ولم يكلمهم وامر بهجرهم .

وقد قاسوا من هجر المصطفى واصحابه لهم ما اخبر عنه القرآ بقوله : « ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه » .

قوله تعالى : بما رحبت ــ أي مع رحبها ــ أي سعتها فلا يجدون مكان يطمئنون اليه قلقا وجزعا تشيل لحيرتهم في أمرهم وضاقت عليهم أنفسهم وقلوبهم للغم والوحشة بتأخير توبتهم فلا يسعها سرور ولا أنس .

وفي حديث كعب حتى تنكرت في نفسي الارض فما هى بالتى أعرف وفي رواية : وتنكرت لنا الحيطان حتى ما هى بالحيطان التى تعرف وهذا يجده الحزين والمهموم في كل شيء حتى قد يجده في نفسه وفي رواية حتى وجلوا أشد الوجل وصاروا مثل الرهبان .

وثبت انه صلى الله عليه وسلم عذب بقطع الايدى والارجل وسمل الاعين وذلك في قصة العرنيين الشهيرة الصحيحة التى رواها البخارى عن أنس قال : قدم أناس من عكل عرنية فاجتووا المدينة أي استوخموها فأمر

Marfat.com

لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بلقاح وان يشربوا من أبوالها والبانهـا فانطلقوا فلما صحوا قتلوا راعى النبى صلى الله عليه وسلم وساقوا النعم فجاء الخبر في اول النهار فقمنا في آثارهم فلما ارتفع النهار جيىء بهم فأمر بقطع ايديهم وأرجلهم وسملت أعينهم والقو في الحرة « أرض ذات حجـارة سود » يستسقون فلا يسقـون . وفي رواية حتى ماتوا . وعنـد ابن أبى عوانة من رواية عقيل عن أنس فيه فصلب اثنين وقطع اثنين وسمل اثنين فان كان محفوظا فعقوبتهم كانت موزعة .

وخرج مسلم عن أنس قال : انما سمل النبى صلى الله عليه وسلم أعين العرنيين لانهم سملوا أعين الرعاء والى هذه الرواية اشار البخارى في كتاب الجهاد بتبويبه باب اذا أحرق المشرك المسلم هل يحرق ؟

وثبت انه صلى الله عليه وسلم باشر القتل بيده الشريفة فقتل أبى بن خلف وذلك انه عليه السلام تناول الحربة من يد الحرث بن الصمة فأخذهـا عليه الصلاة والسلام فطعنه طعنة في عنقه وقع بها عن فرسه فكسر ضلعا من أضلاعه فمات .

وذكر الحافظ البابلى في سيرته انه عليه السلام لم يقتل بيده الا هذا نقله الزرقانى على المواهب .

وثبت انه عذب صلى الله عليه وسلم بالاحراق والهدم ، روى ابن هشام عن عبدالله بن حاتم عن أبيه قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أناسا من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن تبوك

Marfat.com

فبعث صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبدالله في نفر وامره ان يحرق عليهم بيت سويلم ففعل •

و فيغزوة تبوك جاءه عليه السلام خبر مسجد الضرار من السماء فأرسل جماعة من أصحابه وامرهم ان يهدموه ويحرقوه فدعا مالك بن الدخشم ومعن بن عدى العجلانى فقال : انطلق الى هذا المسجد الظالم أهله فأهدمه وأحرقه فخرجا فحرقاه وهدماه •

وقد قطع النبى صلى الله عليه وسلم نخل بنى النضير وأحرق قراهم •

Marfat.com

كمال تربيته للامة وعنايته صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن

اعتنى النبى صلى الله عليه وسلم بتعليم القرآن عناية عظيمة خصوصا بالنسبة للصبيان الصغار . ولا شك ان في ذلك فائدة كبرى وهى لاجل ان يتوجه الصغار الى اعتقاد ان الله تعالى هو ربهم ، وان هذا كلامه تعالى . ولاجل ان تسرى روح القرآن في قلوبهم ونوره في افكارهم ومداركهم وحواسهم ، ولاجل ان يتلقن عقائد القرآن منذ الصغر ، وان ينشأ ويشب على محبة القرآن والتعلق به والائتمان باوامره والانتهاءعن مناهيه والتخلق بأخلاقه والسير على مناهجه .

ولذلك اعتنى المربون في هذه الامة بتعليم الصبيان القرآن ، وذلك اصل من أصول الاسلام فينشأون على الفطرة ويسبق الى قلوبهم انوار الحكمة قبل تمكن الاهواء منها وسوادها بأكدار المعصية والضلال كما قال القائل :

اتانى هواها قبل ان اعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

وكان صلى الله عليه وسلم يشترط على وفود الاعراب بعد اسلامهم قراءة القرآن بينهم وتعليمهم امر الدين واقامة المؤذنين .

وفي اعتناء الصحابة رضي الله عنهم والسلف الصالح بعدهم بتعليم الصبيان لما كان عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم واستجابة كاملة لامره

Marfat.com

ومسارعة صادقة لاكتساب الخيرات والبركات التى ضمنها باذن الله لمن فعل ذلك اذ قال لهم : « من علم ابنه القرآن نظرا غفر له ومن علمه اياه ظاهرا ــ أي عن ظهر قلب ــ بعثه الله على صورة القمر ليلة البدر ويقال لابنه : اقرأ ، فكلما قرأ آية رفع الله عز وجل الاب بها درجة الى آخر ما معه من القرآن » .

رواه الطبرانى عن أنس ، قال الهيثمى : وفيه من لم اعرفه .. وقال : « ما من رجل يعلم ولده القرآن في الدنيا الا توج ابوه يوم القيامة بتاج في الجنة يعرفه به أهل الجنة بتعليم ولده القرآن في الدنيا » رواه الطبرانى عن ابى هريرة . وفي رواية عند الامام احمد : انه يكسي والده حلتين لا تقوم لهما الدنيا ــ أي لا يقدر بهما الدنيا ــ فيقولان : بم كسينا هذا ؟ فيقال : بأخذ ولدكما القرآن ، وفي رواية الطبرانى : بتعليم ولدكما .

وقال ابن خلدون في المقدمةفي فضل تعليمالولدان: اعلم ان تعليم الولدان القرآن شعار من شعائر الدين أخذ به اهل الملة ودرجوا عليهفي جميع أمصارهم بما يسبق فيه القلوب من رسوخ الايمان وعقائده من آيات القرآن . وصار القرآن اصل التعليم الذى ينبنى عليه ما يحصل بعد من الملكات . ثم قال : اختصت العوائد الاسلامية بتقدم دراسة القرآنايثارا للتبرك وخشية ما يعرض للولد من جنون الصبا من الآفات والقواطع فيفوته القرآن .

والقرآن الكريم هو أوسع دائرة للمعارف تناولها البشر . وهو الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد . وهو الديوان العظيم الذى استخرج اهل الاسلام واستنبطوا منه جميع العلوم كما

Marfat.com

قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وقال : « ونزلنا عليك القرآن تبيانا لكل شيء »وقا لصلى الله عليه وسلم : ستكون فتن ، قيل : ما المخرج منها يا رسول الله . قال : كتاب الله فيه نبأ ما بعدكم وخبر ما قبلكم وحكم ما بينكم ــ رواه الترمذى .

بل هو اول موسوعة ودائرة معارف عرفها البشر وقد اعترف بذلك .

وأول من قرأ في مدرسة القرآن وتربى بهديه واهتدى بتربيته واتخذه هجيراه الصحابة الكرام الذين اقبلوا على تعلم القرآن وتعليمه مستجيبين لقوله صلى الله عليه وسلم « تعلموا القرآن فاقرؤه فان مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به ــ أي في الليل ــ كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه في كل مكان » وقوله صلى الله عليه وسلم : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » رواه البخارى ، وفي رواية « ان افضلكم » .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يعلمهم مع القرآن اداب حامل القرآن الكريم ليعرف حقه فيعظمه ويحترمه فكان يقول لهم : « من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير انه لا يوحى اليه لا ينبغى لصاحب القرآن ان يجد مع من وجد ولا يجهل مع من جهل وفي جوفه كلام الله » رواه الحاكم وصحح اسناده .

Marfat.com

تفسير القرآن

ومما كان يعتنى به في حلقة العلم النبوية تفسير كتاب الله العظيم . فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يفسر لهم بنفسه بعض آيات القرآن الكريم وهو الذى يقول لهم : « ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتعلمون كتاب الله ويتدارسونه بينهم الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده » رواه مسلم في صحيحه •

قال القارى في شرح المشكاة : التدارس قراءة بعضهم على بعض تصحيحا لالفاظه او كشفا لمعانيه •

وقد ذكر السيوطى في الاتقان انه عليه السلام بين لاصحابه جميع تفسير القرآن او غالبه •• ويؤيد هذا ما اخرجه احمد وابن ماجه عن عمر قال : من آخر ما نزل آية الكلالة . وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض قبل ان يفسرها فدل فحوى الكلام على انه كان عليه السلام يفسر لهم كل ما نزل . وانه لم يفسر لهم هذه الآية لسرعة موته بعد نزولها والا لم يكن لتخصيصها وجه •

واما ما اخرجه البزار عن عائشة قالت : ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفسر شيئا من القرآن الا آيات علمه اياهن جبريل فهو حديث منكر كما قال الحافظ ابن كثير • واوله ابن جرير وغيره على انها اشارات الى آيات مشكلات اشكلن عليه فسأل الله عنهن فانزل اليه على لسان جبريل •

Marfat.com

التاريـــخ والاخبـــار

ومن اعتنى به صلى الله عليه وسلم وعلمه اصحابه ذكر الوقائع التاريخية واخبار الامم السالفة •

وقد اتخذ ذلك وقتا امتثالا لامر الله اذ يقول :

« وذكرهم بايام الله » والمعنى : وذكرهم بوقائع الله التى وقعت للامم السالفة فتسلكوا مسلك اهل الرشد . لان التاريخ يبحث عن اصول الامم الخالية مع ضبط اشخاصهم واخبارهم وعلومهم واثارهم وعوائدهم وسقوطهم ونهضتهم وهو من يتنافس فيه العقلاء ويتفاخر به الملـــوك وتسموا الى معرفتـــه حتى السوقة •

وقد اخبرنا الحق سبحانه وتعالى في القرآن عما دار بين الانبياء والامم . وارشدنا الى تعاقب ادوار الزمان والتحول والنفارة والذبول والعمار والدمار اما كل يوم مع يوم مع عدم التكلف . واما يوما بعد يوم فيكون يوم الترك لاجل الراحة ليقبل على الثانى بنشاط . واما يوما في الجمعة . ويختلف باختلاف الاحوال والاشخاص والضابط الحاجة مع مراعاة وجود النشاط « كذا فتح البارى » •

وهذه السنة المحمودة اعظم عامل لتشويق النفوس الى مجالس العـــلم والتذكير واقبالهم عليها برغبة وتعلق •

Marfat.com

الكتابـــــة

وقد اعتنى بالكتابة في العهد النبوى الشريف اعتناء كبيرا . فكان عبدالله بن سعيد بن العاص يعلم الناس الكتابة بالمدينة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم « كذا في الاستيعاب » •

وقال عبادة بن الصامت : علمت ناسا من اهل الصفة الكتابه القـــرآن « كذا في سنن ابى داود » •

قال في المطالع النصرية في الاصول الخطية لابى الوفاء نصر الهورينى المصرى : لم تكثر الكتابة العربية الا بعد الهجرة النبوية بأكثر من سنة . وذلك أنه لما اسرت الانصار سبعين رجلا من صناديد قريش وغيرهم في غزوة بدر السنة الثانية من الهجرة جعلوا على كل واحد من الاسرى فداء من المال . ومن عجز عن الافتداء فعليه ان يعلم الكتابة لغـــيره من صبيان المدينة فـــلا يطلقونهم الا بعد تعليمهم . فبذلك كثرت الكتابة وصارت تنتشر في كل ناحية فتحها الاسلام •

وجاء في السيرة ان الواحد من المشركين كان يتعلم منه عشرة من الغلمان الكتابة ويخلى سبيله •

Marfat.com

منهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم

وقد اتخذ صلى الله عليه وسلم في طريقة تعليمه الناس ودعوتهم الى الخير طريقة القرآن الكريم من قوله تعالى : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين » .

وفي هذه الآية الكريمة صورة متكاملة للدعوة العديدة لكل اصناف الناس . والمنهج السليم الذي ترسمه الآية الكريمة يتفق وانواع الناس ويختلف باختلاف اوصافهم وانواعهم . فمنهم : الخواص الطالبون للحقائق .

ومنهم : العوام .

ومنهم : المعاندون .

ولكل صنف من هؤلاء اسلوب معين . وطريقة يدعوه بها ويعلمها على اساسها . فهو يخاطب الناس على قدر عقولهم . ومقاله دائما وابدا يكون مطابقا لمقتضى الحال . فهو يتمشى مع كل طائفة بالبيان الذي يتناسب معها ويخاطبها بلسانها .

وقد منح الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة والسلام عظمة ومهابة ، وجعل لقوله من المحبة والقبول في قلوب الناس ما لا يحتاج مع ذلك الى شيء .

Marfat.com

يقول القاضي عياض : القى الله عز وجل على كلامه المحبة وغشـــاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وهو من استغنائه عن اعادته وقلة حاجة السامع الى معاودته لم تسقط له كلمة ولا زلت له قدم ولا بادت له حجة اه .

واذا نظرنا الى هؤلاء ، وجدنا ان الآية اختصت كل صنف منهم بطريقة معينة .

فالصنف الاول وهم الخواص تكون دعوتهم وتعليمهم بالحكمة أي المقالة المحكمة الصحيحة والدليل الموضح للحق المزيل للشبهة لانهم لا يقتنعون الا بوضوح الدليل الذى يزيل شبههم ويحكم لهم القول فيهتدون الى سبيل ربهم .

اما الصنف الثانى وهم العوام فدعوتهم وتعليمهم بالموعظة الحسنة أي الخطاب المقنع والعبرة النافعة على وجه لا يخفى عليهم انه ينصحهم ويقصد ما ينفعهم ، فهم ليسوا في حاجة الى احكام في القول لانهم عوام وليسوا في حاجة الى دليل لانهم لا شبهة عندهم .

واما الصنف الثالث وهم المعاندون . فدعوتهم وتعليمهم بان يجادلهم بالتى هى أحسن ، بالطريقة الحسنة من الرفق واختيار الوجه الايسر واستعمال المقدما تالمشهورة تسكينا لشغبهم واطفاء للهب صدورهم حتى يفيئوا الى امر الله .

وقد يكون تعليم الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين عن طريق سؤال يتوجه به احدهم اليه فيجيبه . وذلك كما في حديث البر والاثم . عن

Marfat.com

النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والاثم فقال : « البر حسن الخلق . والاثم ما حاك في صدرك وكرهت ان يطلع عليه الناس » • وعلى نفس هذا المنهج كانت النساء يسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيجيبهن •

وبهذا نرى ان المنهج النبوى في التعليم وضع ضمن خطته الرشيدة اهتمامه بتعليم المرأة كما اهتم بالرجل . وفي هذا حرص من الاسلام على تربية المرأة وتهذيبها وصقلها وتثقيفها بالثقافة الدينية التى تساعدها على القيام برسالتها •

وقد يكون تعليم النبى صلى الله عليه وسلم للمسلمين عن طريق سؤال يطرحه هو ليجيب عنه لا ليطلب من احد اجابته وانما ليشوق السامع ويحضر في قلبه وذهنه التطلع الى هذا الامر الذى سيلقيه ويهتم به ايضا اهتماما •

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الا اخبرك برأس الامر وعموده وذروة سنامه . قلت : بلى يا رسول الله . قال : رأس الامر الاسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد » •

فهذه الطريقة التى سلكها النبى صلى الله عليه وسلم في تعليمه تتسم بالتشويق في الاسلوب الذى اتخذه مع هذا الصحابى الجليل . فأشار الى أسس السعادة في الدنيا والآخرة وهى : الاسلام والصلاة والجهاد •

ونحن نرى ان هذه الطريقة في التعليم ــ اعنى طريقة القاء السؤال هى التى اقتبسها رجال التربية فيلقى الواحد منهم المسألة العلمية على طريقة

Marfat.com

سؤال ثم يتولى هو الاجابة عنه ، كما انه صلوات الله وسلامه عليه ايضا يلقى المسألة لا ليجيب عنها وانما ليختبر بها علم اصحابه وذكائهم •

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وانها مثل المؤمن فحدثوني ما هي ؟ » فوقع الناس في شجر البوادى •• قال عبدالله : ووقع في نفسي انها نخلة فاستحييت ، ثم قالوا : حدثنا ما هي يا رسول الله ، قال : « هي النخلة » •

وكان يخشى اذا استمر في التوجيه والتعليم ان يتسرب الملل الى اصحابه او يأخذ التعب طريقه اليهم فكان يعطيهم فرصة الراحة والاستجمام والتشويق لتتمكن معلوماتهم فيها في التثبيت والتذكير ، ولهذه الطريقة الرشيدة تدين مؤسسات التربية اليوم التى استمدت نظمها الناجحة من هذا المنهج النبوى الحكيم •

عن ابن مسعود قال : كان النبى صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة في الايام كراهة السآمة علينا •

كما كان من حكمته عليه الصلاة والسلام انه يخاطب الناس على قدر عقولهم وبما يتواءم مع مداركهم ويتناسب مع فطرهم واساليبهم ولبسوق موعظته الحسنة في سماحة ويسر •

كان صلوات الله وسلامه عليه يخاطب الناس بلهجاتهم . عن عاصم الاشعرى قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من

Marfat.com

امبر امصيام في امسفر » . يريد ليس من البر الصيام في السفر وهى لغة الاشعريين . يبدلون اللام ميما •

ومن اجل اقرار تلك التعاليم كذلك كان اذا تكلم كرر القول ثلاثا ليفهم عنه •

كما كان في كل اوامره . وفي كل نواهيه منتهجا المنهج التربوى الصحيح كما علمه ربه . وكما جاء بذلك القرآن . فهو لا يأمر بكل الاوامر دفعة ولا ينهى عن كل النواهى دفعة . وانما يتبع في كل هذا وذاك التدريج حتى لا يمل الناس . وحتى لايستثقلوا تعاليمه •

منها : هو ذا حين بعث معاذ بن جبل الى اليمن زوده بالتوجيه الكافي وامره ان يسير على سنن التدريج معهم •

ومن كل ما سبق يتضح ان المنهج النبوى في التعليم اتخذ طرقا كثيرة متنوعة وجه بها الناس الى طريق النور والكمال وارسى على ضوئها اسس الحياة الطيبة فتضافر المجتمع الاسلامى بكل أشكاله على تلقى الشريعة مسترشدا بآداب نبيه المعلم وتعاليم رسوله القائد صلوات الله وسلامه عليه حتى تحقق على ايدى المسلمين آنئذ الفتح المبين . وكانوا بحق خير امة اخرجت للناس •

ولنا في رسول الله اسوة حسنة وفي اصحابه قدوة طيبة فعلى منهجه نسير . وبهداه نقتدى حتى يفتح الله علينا بركات من السماء والارض •

Marfat.com

وبهذا نرى ايضا ان المنهج النبوى في التعليم لم يترك شيئا من شئون الدنيا والدين الا عنى به ، واولاه اهتماما بالغا ، ووضع القواعد السليمة التى عليها قامت خير امة ، وتكونت الدولة الاسلامية الكبرى التى نشرت العلم والحضارة بين ارجاء الدنيا بأسرها من اقصاها الى اقصاها .

Marfat.com

كمال طريقته في التعليم والارشاد

من هديه صلى الله عليه وسلم في منهج تعليمه ان ينتقل بالحاضر من صورة واقعية محسوسة الى صورة ذهنية علمية تتعلق بالايمان او الاخلاق او السلوك .

وهذا اكبر سبيل لتثبيت النظرية العلمية وتجسيدها امام الناظر .. ومثال ذلك انه رأى امرأة من السبى وقد اندفعت وراء طفلها ناسية حالتها فأخذته ووضعته على ثديها وكأنها ليس بها شيء . فقال : ارأيتم رحمة الله هذه الام بولدها او فرحها بولدها . قالوا : نعم . قال : فالله ارحم بعبده او افرح بتوبة عبده من فرح هذه الام بولدها .

ومن ذلك ايضا ما جاء عن جابر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر في السوق والناس عن جانبيه فمر بجدى اسك(١) ــ اى صغير الاذن ــ ميت فتناوله فأخذ بأذنه ، ثم قال : ايكم يحب ان يكون له هذا بدرهم ؟ فقالوا : ما نحب انه لنا بشيء وما نصنع به ، ثم قال : ا تحبون انه لكم ــ أي بلا شيء ــ فقالوا : والله لو كان حيا كان عيبا انه أسك فكيف وهو ميت . فقال صلى الله عليه وسلم : فوالله ان الدنيا اهون على الله من هذا عليكم ، رواه مسلم .

---

(١) جدى بفتح الجيم وسكون الدال ــ أسك بفتح الهمزة والسين وتشديد الكاف .

Marfat.com

وهكذا جعل صلى الله عليه وسلم من ذلك الجدى الميت المعبب درسا عمليا وموعظة نبوية في بيان قيمة الدنيا وحقيقتها ، وانها لا تستحق هـذا التكالب والحرص الشديد والتحاسد والتباغض ، فينتقل من قضية الجـدى المحسوسة الى قضية ذهنية علمية .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعمل الوسائل التعليمية الممكنة لتقريب الحقيقة وتصويرها ، وذلك برسم صورتها وابراز شكلها امام المشاهد .

فقد كان يتحدث يوما عن الامل وطوله وكثرته وان الانسان ينتهى من هذه الحياة وآماله لا تزال ورغباته كالجبال ولكن الموت محيط به من حيث لا يدرى فلا يشعر الا وقد نزل به فقطع عليه آماله وافسد احواله .

وقد استعمل صلى الله عليه وسلم في تقريب هذه الحقيقة رسما على الارض ليصورها للمشاهدين كما جاء في الحديث عن عبدالله بن عمر ـ روا ه البخارى . حدثنا صدقه بن الفضل اخبرنا يحيى عن سفيان قال حدثنى أبى عن منذر عن ربيع بن خثيم عن عبدالله رضي الله عنه قال : خط لنبى صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط خطا في الوسط خارجا منه وخط خططا صغارا الى هذا الذى في الوسط من جانبه الذى في الوسط وقال : هذا الانسان ، وهذا اجله محيط به او قد احاط به وهذا الذى هو خارج امله ، وهذه الخطط الصغار الاعراض فان اخطأ هذا نهشه هذا . وان اخطاه هذا نهشه هذا .

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليمه وتربيته استعماله الكناية

Marfat.com

في التعبير عما يستهجن باختيار الالفاظ المألوفة المقبولة المعروفة التى تؤدى المقصود وتفى بالمراد من غير تصريح مع امكان فهم المطلوب فهما كاملا كما لو صرح به في لفظه الاصلى •

مثال ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال انى اخاف الله •

فانظر كيف كنى عن المراد بقوله « دعته امرأة » ومعلوم ان المقصود انها دعته وطلبته انى فعل الفاحشة •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التى طلقها زوجها الثانى لكنه لم يدخل بها دخولا كاملا فجاءت تسأله هل تحل لزوجها الاول . فقال لها : لا . حتى تذوقى عسيلته ويذوق عسيلتك ــ اى يتم الجماع كاملا وكنى عنه بالعسيلة وعن تمام الاتصال بالذواق •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم فيما يوجب الغسل وان مجرد الاتصال ولو بلا انزال يوجب ذلك : « اذا جلس شعبها الاربع وجهدها فقد وجب الغسل » •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « من يضمن لى ما بين لحييه وما بين رجليه اضمن له الجنة » فانظر كيف كنى عن الفرج بقوله « ما بين رجليه » •

Marfat.com

ومن اسلوبه صلى الله عليه وسلم في التعليم التدرج في اعطاء المعلومات والانتقال بالمستفيد من مسألة الى مسألة حتى يصل به الى ما يناسب حاله ويحل مشكلته التى وقع فيها ، كل ذلك بصدر رحب وخلق كريم وحلم عظيم دون ملل وسآمة .

يصور هذا المعنى الحديث الآتى :

عن ابى هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : هلكت يا رسول الله ، قال : وما اهلكك . قال : وقعت على امرأتى في رمضان . قال : هل تجد ما تعتق رقبة . قال : لا . قال : فهل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين . قال : لا . قال : فهل تجد ما تطعم ستين مسكينا . قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبى صلى الله عليه وسلم بعرق فيه تمر . فقال : تصدق بهذا . قال : أعلى افقر منا ؟؟ فما بين لابتيها اهل بيت أحوج اليه منا . فضحك النبى صلى الله عليه وسلم حتى بدت انيابه . ثم قال : اذهب فاطعمه اهلك . رواه مسلم .

وبهذا لا ينصرف المستفيد الا وقد وقف على حقيقة واضحة لا شك فيها ولا ريب راضيا قرير العين . وقد وقع في حسه انه عضو في المجتمع وان الامه مسئولة عنه تهتم باحواله وتعيش معه في مشاكله وتشاركه قضاياه . ولو افاده صلى الله عليه وسلم بالحكم الشرعى جملة واحدة بان قال له : ان عليك ان تعتق رقبة فان لم تجد تصوم شهرين متتابعين . فان لم تجد فتطعم ستين مسكينا . لو افاده بهذه الطريقة لما كان في ذلك حرج او نقص لكنه صلى

Marfat.com

الله عليه وسلم فرغ نفسه وتوجه بكليته واخذ يسأله : هل عندك رقبة ، قال : لا . هل تستطيع ان تصوم شهرين متتابعين . وهكذا تدرج معه في الحكم حتى وصل به الى ما يوافقه من الجواب •

ومن اسمى الطرق التربوية النبوية انه صلى الله عليه وسلم كان يولى السائل عناية ورعاية خاصة وتقديرا واحتراما واكراما واعظاما فيكسبه بذلك ثقة كبيرة وشعورا بالطمأنينة الكاملة بحيث لا تمنعه هيبة النبى العلمية من القاء السؤال على أي كيفية ولا تصده رتبته صلى الله عليه وسلم عن التعبير بما في مكنونات الضمير ملقيا بقياده ساعيا في طلب رشاده ، وانظار حضرة المربى الكامل صلى الله عليه وسلم تحوطه من كل جانب ، وتحميه من كل منتقد او عائب •

ويصور هذا الحديث الآتى هذا المعنى اكمل صورة ومنه استخرجنا هذه النظرية . فعن جابر بن عبدالله قال : جاء اعرابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ثيابنا في الجنة ننسجها بأيدينا ، فضحك القوم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مم تضحكون ، من جاهل يسأل عالما ، لا يا اعرابى ولكنها تشقق عنها ثمار الجنة ــ لم يروه عن مجالد الا ابنه اسماعيل ، ولا يروى عن جابر الا بهذا الاسناد(١) •

فأنت ترى انه صلى الله عليه وسلم عاتبهم لما رأى ضحكهم على سؤاله

---

(١) رواه الطبرانى في المعجم الصغير ص ٤٧ .

Marfat.com

وبين لهم ان لا وجه لانتقاصه وانتقاد سؤاله وان الجاهل ينبغى ان يعطى من الاهتمام والتقدير ما يجذبه الى السؤال والبحث ويشجعه على المراجعة بثقة وثبات دون حياء او خوف ، وكم منع الحياء والخوف من انتقاد الغير من الوصول الى حقائق ومعارف سامية •

ومن ذلك ما جاء في الحديث ان اعرابيا عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته او بزمامها ثم قال : يا رسول الله او يا محمد اخبرنى بما يقربنى من الجنة وما يباعدنى من النار ، قال : فكف النبى صلى الله عليه وسلم ثم نظر الى اصحابه ثم قال : لقد وفق او لقد هدى قال : كيف قلت ، قال : فاعاد ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : تعبد الله . لا تشرك به شيئا ، وتقيم الصلاة ، وتؤتى الزكاة . وتصل الرحم ــ دع الناقة رواه مسلم في الصحيح ، انظره في باب « الايمان الذى يدخل الجنة » •

فانت ترى انه صلى الله عليه وسلم اهتم بسؤاله ثم امر اصحابه بملاحظة ذلك ووجه انظارهم الى الاهتمام به ثم امر السائل باعادة السؤال ثم دعا له بالتوفيق والهدى •

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في تعليمه تقريب الحقائق المغيبة فى صورة مجسدة ملموسة فيحسها السامع وكأنه ينظر اليها بعينه . وبذلك تنطبع في النفس وترسخ في الذهن ثم يكون التأثير بها ابلغ واقوى •

فمن ذلك قوله في الحديث : من يسأل الناس تكثرا فانما يسأل جمرا فليستقل او ليستكثر ــ رواه مسلم •

Marfat.com

فهذا الذى يسأل الناس تكثرا في الواقع هو لا يسأل جمرا ولكنه يؤول في الآخرة الى جمر عقابا له على فعله ، ولكنه جسد هذه الحقيقة بهذه الصورة القريبة الى المشاهدة المحسوسة عند السامع ليكون ذلك ابلغ في زجره وتحذيره فيتصور عند سؤاله انه انما يمسك النار •

ومن هذا القبيل قوله وقد رأى خاتما من ذهب في يد احد الصحابة فقال : يعمد احدكم الى جمرة من نار فيضعها في يده •

ومنه قوله في الذى يأكل في اوان الذهب والفضة انما يجرجر في بطنه نار جهنم •

ومنه قوله في الذى يسابق الامام ان وجهه وجه حمار والعياذ بالله •

ومن هذا القبيل ما جاء عن ابى هريرة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ايحب احدكم اذا رجع الى اهله ان يجد ثلاث خلفات عظام سمان قلنا : نعم ، قال : فثلاث آيات يقرأ بها احدكم في صلاته خير له من ثلاث خلفات عظام سمان ــ اخرجه مسلم ومعنى ــ الخلفة ــ الناقة العشراء •

وما جاء عن عقبة بن عامر رضي الله عنه ، قال : خرج النبى صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة ، فقال : ايكم يحب ان يغدو كل يوم الى بطحان او قال : الى العقيق فيأتى بناقتين كوماوين في غير اثم ولا قطيعة رحم ، قلنا : كلنا يا رسول الله يحب ذلك ، قال : افلا يغدو احدكم الى المسجد فيتعلم او يقرأ آيتين من كتاب الله تعالى فهو خير له من ناقتين ، وثلاث خير من ثلاث ، واربع خير من اربع ومن اعدادهن من الابل ــ اخرجه مسلم وابو داود ومعنى « الكوماء » الناقة العظيمة السنام •

Marfat.com

« تيسير الوصول في فضل القرآن : ١/٨٤ » .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة » متفق عليه ، وفي رواية لمسلم : «لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من احدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها ، فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس من راحلته فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح .

يشبه الرسول صلى الله عليه وسلم قبول الله لتوبة العبد التائب ورضاه ورحمته الواسعة بعباده . وشفقته عليهم برجل في أرض جدباء مهلكة ضاع منه بعيره الذى عزم اجتياز تلك الفلاة به ثم وجده وقد اشرف على الهلاك . ويئس من النجاة . تشجيعا للناس على التوبة ودفعا لما يصرف عنها وفتحا لباب الرجاء أمام العباد فالله تعالى مع قدرته العظيمة . وعزه الكبير رؤف رحيم يشجع العباد على التوبة ويكرمهم بقبولها ويوجههم الى ما فيه النجاة والسعادة في الدنيا والآخرة .

وفي الحديث كناية عن احسان الله تعالى الى عبده التائب وتجاوزه عن سيئاته لان العاصي اذا وقع في المعصية صار في قبضة الشيطان وأسره . فأشرف على الهلاك . فاذا وفقه الله للتوبة خرج من شؤم تلك المعصية وتخلص

Marfat.com

من قبضة الشيطان . فأقبل الله عليه بمغفرته ورحمته . فالتمثيل انما هو لحال العبد التائب وما يتحصل له بسبب التوبة من النجاة والفوز •

ولقد بلغ من روعة التصوير ان اشتملت الصورة على كل مؤثراتها أخذا بلب السامع . وتحريكا لخياله وأحاسيسه . وافكاره لتنتج الاثر المطلوب والصورة هنا هى صورة رجل في صحراء مقفرة معه زاده من الطعام والماء ومركبه من الابل . فضاع كل ذلك بغتة واعياه البحث حتى يئس من استرداد شيء من ذلك . لقد أحاطت به كل صور اليأس . وتمثل في نفسه اليأس من النجاة . وبين التعجب والالم واليأس والاستسلام للموت والهلاك . اذ براحلته عليها طعامه وشرابه . فقام كالمأخوذ مسكا بها حتى لا تهرب منه ، صائحا من شدة الفرح . اللهم أنت عبدى وأنا ربك . فأخطأ من شدة الفرح هذا الرجل بفرحته التى لا تضارع وسروره الذى لا يمكن تحديده . ليس أشد حرصا على الحياة . وقبولا للراحلة وتلقيا للنجاة من قبول الله لتوبة عبده المؤمن واقباله عليه لان عودة الراحلة فيها حياته الدنيوية ، وعودته فيها حياته الاخروية وهى التى طلبها الله منه ودعاه الى الحفاظ عليها والاستمساك بها •

ويوخذ من الحديث : جواز ضرب المثل بما يصل الى الافهام من الامور المحسوسة •

وفيه : الارشاد الى دوام المراقبة واستمرار محاسبة الانسان لنفسه ووجوب المبادرة بالتوبة ورجاء قبولها من الله تعالى •

Marfat.com

وفيه: رحمة المولى عز وجل وجهل الانسان وغفلته .

وفيه : ان العسر مع اليسر ، والفرج مع الكرب ، وانه لا يأس من رحمة الله .

وفيه : ان الحرص على الدين يجب ان يكون أقوى من الحرص على الدنيا .

وفيه : تقريب الله للمؤمنين ، وابعاده الكافرين .

وفيه : قبول الخطأ والسماح فيما لا يقصد الانسان وقوعه .

أما قوله في الحديث لله أفرح فالفرح في حق العباد : انشراح الصدر بلذة عاجلة واكثر ما يكون ذلك في اللذات البدنية فلهذا قال تعالى : ولا تفرحوا بما آتاكم . وقال عز وجل : « وفرحوا بالحياة الدنيا » .

والفرح في حق الله : مجاز عن الرضا : أي ارضى بالتوبة وأقبل بها . والمقصود بيان سرعة قبول الله توبة عبده التائب واقباله عليه . فالمراد لازم الفرح : وهو الرضا والقبول .

أما قوله في أرض فلاة : الفلاة : الارض الواسعة التى لا ماء فيها ولا زرع والتى هى مظنة الهلاك .

أما قوله على راحلته . فالراحلة : البعير الذى يصلح للارتحال .

Marfat.com

توجيه الهمم الى العوالى

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم توجيه الهمم الى عوالى الامور ومعالى المقاصد . وتصوير المعانى الجليلة الراقية في اطار المفاهيم الشائعة . وذلك كقوله صلى الله عليه وسلم : ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس . رواه أحمد والشيخان .

فالمفهوم الشائع عند الناس عن الغنى أنه متاع الدنيا وهو كثرة العرض لكنه صلى الله عليه وسلم ينبهنا الى ما هو أعلى من ذلك في تصور معنى الغنى . وهو غنى النفس ، يعنى ليس الغنى المحسود ما حصل عن كثرة العرض والمتاع لان كثيرا ممن وسع الله عليه لا ينتفع بما أوتى بل هو متجرد في الازدياد ولا يبالى من أين يأتيه فكأنه فقير لشدة حرصه فالحريص فقير دائما ولكن الغنى المحسود المعتبر عند أهل الكمال غنى القلب . وفي رواية النفس . أي استغناؤها بما قسم لها وقناعتها ورضاها به بغير الحاح في طلب ولا الحاف في سؤال ومن كفته نفسه عن المطامع قرت وعظمت وحصل لها من الحظوة والنزاهة والشرف والمدح أكثر من الغنى الذى يناله من كان فقير النفس فانه يورطه في رذائل الامور وخسائس الافعال لدناءة همته فيصغر في العيون ويحتقر في النفوس ويصير أذل من كل ذليل . والحاصل ان من رضى بالمقسوم فكأنه واجدا أبدا ومن اتصف بفقر النفس فكأنه فاقدا أبدا يأسف على ما فات ويهتم بما هو آت .

Marfat.com

فمن أراد غنى النفس فليحقق في نفسه أنه تعالى المعطى المانع فيرضى بقضائه ويشكر على نعمائه ويفزع اليه في كشف ضرائه وأنشد بعضهم من قصيدة :

وعند مليكك فابغ العلو ... و وبالوحدة اليوم فاستأنس
فان الغنى في قلوب الرجا ... ل وان التعزز في الانفس
وكم قد ترى من أخى عسرة ... غنى وذى ثروة مفلس
ومن قائم شخصه ميت ... على انه بعد لم يرمس

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : ليس الواصل بالمكافىء ولكن الواصل الذى اذا انقطعت رحمه وصلها ، رواه أحمد والبخارى .

فالمفهوم الشائع ان الواصل لارحامه هو الذى يجازيهم بمثل فعلهم ان صلة فصلة . وان قطعا فقطع . ولكن النبى صلى الله عليه وسلم يضع هنا للواصل مفهوما أعلى من المفهوم الظاهر عند الناس وهو ان الواصل الذى ينال ثواب صلة الارحام ويفوز بفضلها العام هو الذى يبادر الى مواصلتهم دون مراقبة ما يقابل ذلك مما جرت عادة الناس عليه وقد أشار الى هذا المعنى بقوله : « ولكن الواصل الذ ىاذا انقطعت رحمه وصلها » وهو بهذا ينبه على ان من كافأ من أحسن اليه لا يعد واصلا للرحم وانما الواصل الذى يقطعه قريبه فيواصل هو ، وهذا اشارة الى الرتبة العلية في ذلك والا فلو لم يقطعه احد من قرابته واستمر هو على مواصلاتهم عد واصلا .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : أخسر الناس صفقة رجل أخلق

Marfat.com

يديه في آماله . ولم تساعده الايام على أمنيته فخرج من الدنيا بغير زاد وقدم على الله تعالى بغير حجة . رواه البخاري في تاريخه عن عامي بن ربيعة وهي مما بيض له الديلمي •

فالخسران في الاصل انتقاص رأس المال . وقد استعمله صلى الله عليه وسلم فيما هو أعم من ذلك كالايمان والعبادة وهو بهذا يوجه الانظار الى اعتبار الخسارة فيما هو أعلى من المال وأغلى من الجاه •

والمعنى : ان أشد الناس خسارة رجل اتعب نفسه بالكد والجهد في السعي لبلوغ اماله ولكن الايام لم تساعده على حصول مطلوبه من المال والمناصب والجاه ونحوها بل عاكسته وخذلته فهو لا يزال يتشبث بالطمع الفارغ والرجاء الكاذب . ويتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته . فخرج من الدنيا بالموت بغير زاد يوصله الى المعاد وينفعه يوم يقوم الاشهاد ويفصل بين العباد لان خير الزاد الى الآخرة اتقاء القبائح . وهذا قد تلطخ بأقذارها القبيحة الخبيثة الروائح فهو مهلك لنفسه باسترساله مع الامل • وهجره للعمل • حتى تتابعت على قلبه ظلمات الغفلة • وغلب عليه رين القسوة• ولم يسعفه المقدور بنيل مرامه من ذلك الحطام الفاني فلم يزل مغمورا مقهورا مغموما الى أن فرق ملك الموت بينه وبين آماله وكل جارحة منه متعلقة بالدنيا التي فاتته فهي تجاذبه الى الدنيا ومخاليب ملك الموت قد علقت بعروق قلبه تجذبه الى الآخرة التي لا يريدها . وقدم على الله تعالى بغير حجة أي معذرة يعتذر بها وبرهان يتمسك به على تفريطه بتضييعه عمره النفيس في طلب شيء خبيث خسيس واعراضه عن عبادة ربه التي انما خلق

Marfat.com

لاجلها « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » قال الغزالى ومن كان هذا حاله فهو كالانعام بل هو أضل ، اذ البهيمة لم تخلق لها المعرفة والقدرة التى بها تجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص عقلا . المدبر يقينا ، وقيل في المعنى .

ولم أر في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

ففى الحديث الزام للحجة ومبالغة في الانذار وتنبيه على ايثار التلذذ والتنعيم مما يؤدى الى طول الامل وتعطل العمل وهذا هجيرا اكثر الناس وهي ليست من أخلاق المؤمنين ومن ثم قيل التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : أعجز الناس من عجز عن الدعاء وابخل الناس من بخل بالسلام ، رواه الطبرانى في الاوسط والبيهقى في شعب الايمان .

فالعاجز هو الضعيف الذى لا يستطيع ان يقوم بشؤونه ولكن نبينا صلى الله عليه وسلم يرشدنا الى ما هو أعلى من ذلك وارقى . وهو ان العاجز هو الذى يعجز عن الطلب من الله تعالى لاسيما عند الشدائد لتركه ما أمره الله ، وتعرضه لغضبه باهماله ما لا مشقة عليه فيه . وفي هذا حث على الدعاء

وقال في الحديث : وابخل الناس من بخل بالسلام . فذكر ان البخيل هنا هو الذى يبخل بالسلام ، والمعروف ان البخيل ضد الكريم وهو الذى لا يجود ولا يعطى ، ولكنه هنا يستعمله في الذى يبخل بالسلام على من لقيه من المؤمنين ممن يعرفهم وممن لا يعرفهم . فانه خفيف المؤنة عظيم المثوبة

Marfat.com

فلا يهمله الا من بخل بالقربات وشح بالمثوبات وتهاون بمراسم الشريعة . أطلق عليه البخل لكونه منع ما أمر به الشارع من بذل السلام وجعله أبخل لكون من بخل بالمال معذور في الجملة لانه محبوب للنفوس عديل للروح بحسب الطبع والغريزة . ففي بذله قهر للنفس . واما السلام فليس فيه بذل مال . فمخالف الامر في بذله لمن لقيه قد بخل بمجرد النطق فهو ابخل من كل بخيل .

Marfat.com

تدعيم القول بالدليل

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم انه كان يؤيد قوله في التعليم بالدليل والتعليل على صورة القياس والتنظير . فيزداد قوله وضوحا ويصير حجة بعد حجة ليقف السائل على حقيقة واضحة يطمئن لها قلبه وتنشرح بها نفسه وتقر بها عينه ويعظم تمسكه بالحق ويرسخ الدليل في نفسه . وهذه الشواهد الناطقة الدالة على ذلك بأصدق بيان واعظم برهان .

ومن ذلك : قوله صلى الله عليه وسلم : وفي بضع احدكم صدقة قالوا : يا رسول الله أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر ؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر .

وقوله : (وفي بضع أحدكم) هو بضم الباء ويطلق على الجماع ويطلق على الفرج نفسه وكلاهما تصح ارادته هنا . وفي هذا دليل على ان المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات . فالجماع يكون عبادة اذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف الذى أمر الله تعالى به أو طلب ولد صالح او اعفاف نفسه او اعفاف الزوجة ومنعهما جميعا من النظر الى حرام او الفكر فيه او الهم به أو غير ذلك من المقاصد الصالحة .

فالصحابة الكرام تعجبوا من هذا الامر وهو ان الانسان يأتى اهله ويقضى شهوته ويتمتع ثم يثاب على ذلك. وكان يكفى ان يقول لهم صلى الله

Marfat.com

عليه وسلم . ان الله قد قضى بذلك وحكم وهذا أكبر دليل واعظم حجة لان قول الله تعالى وقول الرسول هو الحجة والدليل ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يكن ليكتفى بذلك بل ذكر لهم نظير هذه المسألة مما هو معلوم لديهم ومسلم عندهم . وبهذا يترك لهم الفرصة ليفكروا وينظروا ويقيسوا الاشباه بالنظائر وينتقلوا من الغائب الى الحاضر . فقال لهم : أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر •

ومن ذلك ما جاء في الحديث عن النعمان بن بشير قال : انطلق بى أبى يحملنى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله اشهد أنى قد نحلت النعمان كذا وكذا من مالي فقال : أكل بنيك قد نحلت مثل ما نحلت النعمان . قال : لا . قال : فأشهد على هذا غيرى ثم قال : أيسرك ان يكونوا اليك في البر سواء ؟ قال : بلى . قال : فلا اذا . رواه مسلم في كتاب الهبات من صحيحه •

قوله : (أيسرك) أي أيعجبك ويجعلك مسرورا ان يكونوا ــ أي اولادك جميعا ــ اليك في البر سواء ــ أي مستوين في الاحسان اليك وفي ترك العقوق عليك وفي الادب والحرمة والتعظيم لديك . قال بلى . قال : فلا اذا ــ أي اذا كنت تريد ذلك •

فلو قال له صلى الله عليه وسلم : ان هذا لا يجوز لكان كافيا لان قوله صلى الله عليه وسلم حجة • وهو الدليل بلا اشكال ولا ريب ولكنه صلى الله عليه وسلم بين له حقيقة الامر وأظهر له علة الحكم ليوقفه على الدليل بقوله :

Marfat.com

أيسرك ان يكونوا اليك في البر سواء ، ومعلوم انه يسره ذلك كما انــه ان فعل واعطى واحدا وترك الباقين فانهم لا يجتهدون في بره ولا يسارعون الى مودته هذا ان لم يحصل منهم ما يجرهم الى العقوق والشحناء فانظر الى كمال تربية هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلوات الله وسلامه عليه .

ومن ذلك : ان امرأة من جهينة جاءت الى النبى صلى الله عليه وسلم فقالت : ان أمى نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت أفأحج عنها ؟ قال : نعم حجى عنها أرأيت ان كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ أقضوا الله فالله أحق بالوفاء رواه البخــارى .

فأنت ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم دلل على صحة قضائها الحج عن أمها بطريق قياسي ليكون ذلك اوقع في نفسها بالمعلوم وتشبيه ما اختلف فيه وأشكل بما اتفق عليه ولا شك ان ذكر الدليل يعطى الحكم قوة وهــو أطيب لنفس المستفتى وأذعن لاذعانه .

ومن ذلك : ما جاء في الحديث عن أبى هريرة رضي الله عنه قــال : جاء رجل من بنى فزارة الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : ان امــرأتى ولدت غلاما أسود فقال النبى صلى الله عليه وسلم هل لك من أبل ؟ قال : نعم ، قال : فما ألوانها ؟ قال : حمر ، قال : هل فيها من أورق ؟ قال : ان فيها لاورقا ، قال : فأنى أتاها ذلك ؟ قال : عسى ان يكون نزعه عرق . قال : وهذا عسى ان يكون نزعه عرق .

وفي رواية : قال يا رسول الله ولدت امرأتى غلاما أسود وهو حينئــذ

Marfat.com

يعرض بأن ينفيه . وزاد في آخر الحديث : ولم يرخص له في الانتفاء منه رواه مسلم في آخر كتاب اللعان من صحيحه .

فلو قال له صلى الله عليه وسلم : ان اللون لا دخل له في الحاق الولد او نفيه ما دام أنه ولد على فراشه وفي مدة يمكن الحاقه به لكان كافيا ولكنه صلى الله عليه وسلم أراد ان يبين له وجه الحكم ليقف منه على حقيقة ويتمسك منه ببرهان فأعاده ووجه نظره الى نظيرها مما هو مسلم لديه ومعلوم عنده ليقيس المجهول بالمعلوم ويرد المشكوك فيه الى المتيقن منه . (والاورق) هو الذى فيه سواد ليس بصاف والمراد (بالعرق) هنا الاصل من النسب تشبيها بعرق الشمرة ومعنى (نزعه) أشبهه واجتذبه اليه وأظهرها لونه عليه .

Marfat.com

العناية بذكر القصـــة

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم العناية بذكر القصة والاستعانة بها في شرح الفكرة وبيان المسألة المطلوب بيانها . فتأتى القصـــة النبوية جامعة لكثير من الفوائد والمسائل منها ما يتعلق بالتوحيد فيبين بهـــا فضل الايمان بالله ووجوب الصبر على قضائه وتسليم الامر اليه وفضـــل التوبة والرجوع اليه والصدق في معاملته وفضل التوكل والرضا . ويبـــين بها كيف كان السابقون من أهل التوحيد يعذبون في سبيل الله . ومنها مـــا يتعلق بالآداب العامه في كيفية معاملة الخلق من بر الوالدين وصلة الارحـــام والاحسان الى الضعفاء وغير ذلك من المعانى العظيمة والمبادىء الكريمـــة وتمتاز القصة النبوية بالصدق . فهى صادقة الوقائع صادقة الشخصيات لان المتحدث بها هو الصادق المصدوق الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الا وحى يوحى .

والقصة النبوية ذات أهداف سامية ومقاصد عالية وهى جامعة لجمـــل من الفوائد وشاملة للعديد من المحامد تدعو اليها وتحض عليها .

Marfat.com

قصة المتكلمين في المهد

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : لم يتكلم في المهد(١) الا ثلاثة : عيسى بن مريم وصاحب جريج وكان جريج رجلا عابدا فاتخذ صومعة فكان فيها فأتته امه وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فانصرفت فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت : يا جريج فقال أي رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فلما كان من الغد أتته وهو يصلى فقالت يا جريج فقال يا رب أمى وصلاتى فأقبل على صلاته فقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر الى وجوه المومسات(٢) فتذاكر بنو اسرائيل جريجا وعبادته وكانت امرأة بغى يتمثل بحسنها فقالت ان شئتم لافتننه فتعرضت له فلم يلتفت اليها فأتت راعيا كان يأوى الى صومعته فأمكنته من نفسها فوقع عليها فحملت فلما ولدت قالت هو من جريج فأتوه فاستنزلوه وهدموا صومعته وجعلوا يضربونه فقال ما شأنكم قالوا زنيت بهذه البغى فولدت منك قال أين الصبى ؟ فجاؤا به فقال دعونى حتى أصلى فصلى فلما انصرف اتى الصبى فطعن في بطنه وقال : يا غلام من ابوك قال فلان الراعى

---

(١) المهد : ما تهيىء للصبى ، قال تعالى « كيف نكلم من كان في المهد صبيا » .
(٢) والمومسات بضم الميم الاولى واسكان الواد الثانية وبالسين المهملة وهن الزوانى والمومسة : الزانية .

Marfat.com

فأقبلوا على جريج يقبلونه ويتمسحون به وقالوا نبنى لك صومعتك من ذهب قال : لا أعيدوها من طين كما كانت ففعلوا(١) .

وبينا صبى يرضع من أمه فمر رجل راكب على دابة فارهة(٢) وشارة(٣) فقالت امه اللهم اجعل ابنى مثل هذا فترك الثدى واقبل اليه فنظر اليه فقال اللهم لا تجعلنى مثله ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع فكأنى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحكى ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها ثم قال ومروا بجارية وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت وهى تقول : حسبى الله ونعم الوكيل فقالت امه اللهم لا تجعل ابنى مثلها فترك الرضاع ونظر اليها فقال : اللهم اجعلنى مثلها فهنالك تراجعا(٤) الحديث فقالت مر رجل حسن الهيئة فقلت اللهم اجعل ابنى مثله فقلت اللهم لا تجعلنى مثله ومروا بهذه الامة وهم يضربونها ويقولون زنيت سرقت فقلت اللهم لا تجعل ابنى مثلها فقلت اللهم اجعلنى مثلها قال ان ذلك الرجل جبار فقلت لا تجعلنى مثله وان هذه يقولون زنيت ولم تزن وسرقت ولم تسرق فقلت اللهم اجعلنى مثلها .

وفي هذا الحديث يحكى النبى صلى الله عليه وسلم قصة جريج احد عباد بنى اسرائيل شغلته عبادته عن تلبية نداء امه والوفاء بحقها فدعت عليه

---

(١) هذا هو الثالث الذى أخبر عنه في اول الحديث .
(٢) دابة فارهة بالفاء اى حاذقة نفيسة .
(٣) والشارة بالشين المعجمة وتخفيف الراء وهى الجمال الظاهر في الهيئة والملبس .
(٤) تراجعا الحديث أي حدثت الصبى وحدثها والله أعلم .

Marfat.com

فاجاب الله دعاءها وسلط عليه بغيا ادعت عليه الزنا فعذب وهدمت صومعته وتحققت دعوة امه ثم انجاه الله تعالى ببركة عبادته فنطق الطفل ببراءتـه وأعيد الى مكانته . ويحكى النبى صلى الله عليه وسلم قصة امرأة عادية بهرها مظهر رجل صحيح الجسم جميل الدابة مهاب المظهر فدعت الله ان يكون ابنها مثله فأبى الصبى واعترض بانطاق الله له ونفرت من امرأة معذبة مهانة متهمة بالزنا والسرقة فدعت الله ان لا يجعل ابنها مثلها فاعترض الصبى ونطق اللهم اجعلنى مثلها ثم بين لها ان الرجل جبار •

وهكذا يبين الرسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه القصة معـانى جليلة ويدعو الى فضائل جميلة •

منها ان نفوس اهل الدنيا تقف مع الخيال الظاهر بخلاف اهل الحقيقة فوقوفهم مع حسن السريرة وان العبرة بالعمل الصالح وان الحكم بالظاهر لا يفيد ما في نفس الامر وانما يفيد الظن الراجح وان الله تعالى يتولى السرائر ينصف المظلومين ويواسي المحرومين والمنهكين المتعبين •

ومنها عظم بر الوالدين وتأكد حق الام وان دعاءها مجـاب وانه اذا تعارضت الامور بدىء بأهمها وان الله تعالى يجعل لاوليائه مخارج عنـد ابتلائهم بالشدائد غالبا قال الله تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا وقـد يجرى عليهم الشدائد بعض الاوقات زيادة في أحوالهم وتهذيبا لهم فيكون لطفا •

Marfat.com

ومنها استحباب الوضوء للصلاة عند الدعاء بالمهمات ومنها ان الوضوء كان معروفا في شرع من قبلنا فقد ثبت في هذا الحديث في كتاب البخـــارى فتوضأ وصلى •

ومنها اثبات كرامات الاولياء وفيه ان كرامات الاولياء قد تقع باختيارهم وطلبهم وفيه ان الكرامات قد تكون بخوارق العادات على جميع انواعها •

Marfat.com

تقريب المسائل بضرب الامثال

ومن منهجه صلى الله عليه وسلم في التربية والتعليم انه كان يقرب المسائل بضرب الامثال •

ومثل من وضح السبل وأظهره في تصوير الحقيقة وتوضيحها وتقريبها الى ذهن السامع •

يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه : مثل البخيل والمنفق كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من ثديهما الى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق الا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه وتعفو أثره وأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا الا لزقت كل حلقة مكانها فهو يوسعها فلا تتسع . متفق عليه •

فهذا مثل ضربه النبي صلى الله عليه وسلم للبخيل والمتصدق فشبههما برجلين أراد كل واحد منهما لبس درع يستتر به من سلاح عدوه فصبها على رأسه ليلبسها والدرع أول ما يقع على الرأس الى الثديين الى ان يدخل الانسان يديه في كميها فجعل المنفق كمن لبس درعا سابغة فاسترسلت عليه حتى سترت جميع بدنه وجعل البخيل كمثل رجل غلت يداه الى عنقه فكلما اراد لبسها اجتمعت في عنقه فلزمت ترقوته وهو معنى قلصت اى تضامت واجتمعت والمراد ان الجواد اذا هم بالصدقة انفسح لها صدره وطابت نفسه

Marfat.com

وتوسعت في الانفاق والبخيل اذا حدثها بها شحت بها فضاق صدره وانقبضت يداه « ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وقال الملهب : المراد ان الله يستر المنفق في الدارين بخلاف البخيل فانه يفضحه ومعنى يعفو أثره يمحو خطاياه وتعقبه عياض بأن الخبر جاء على التمثيل لا على الاخبار عن كائن وقيل هو تمثيل لنماء المال بالصدقة والبخيل بضده •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر الله مثل الحي والميت •

ففى هذا الحديث تشبيه البيت بالحى والميت من حيث وجود الذكر وعدمه شبه الذاكر بالحى الذى يزين ظاهره بنور الحياة واشراقها فيه وبالتصرف التام فيما يريد وباطنه منور بالعلم والفهم فكذا الذاكر يزين ظاهره بنور العمل وباطنه بنور العلم والمعرفة فقلبه قار في حظيرة القدس وسره في مخدع الوصل وغير الذاكر ظاهره عاطل وباطنه باطل وقيل المضاف فيه مقدر أي مثل ساكن البيت واعترض بأن ساكن البيت حى فكيف يكون مثل الميت•

وأجيب بأن الحى المشبه به من ينتفع بحياته بذكر الله وطاعته فلا يكون نفس المشبه كما شبه المؤمن بالحى والكافر بالميت مع كونهما حيين في آية « أو من كان ميتا فأحييناه » على ان تشبيه غير الذاكر من جهة ان ظاهره عاطل وباطنه باطل أنسب من تشبيه بيته به •

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : مثل الذى يعلم الناس الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضىء للناس ويحرق نفسه •

رواه الطبرانى والضياء عن جندب •

Marfat.com

ففى هذا الحديث تشبيه العالم الذى يأمر بالخير ولا يأتمر وينفع الناس ولا يسعى لنفع نفسه بالسراج الذى يضىء ويحرق . والمعنى ان هذا العالم يحرق نفسه بنار الآخرة . فصلاح غيره في هلاكه هذا ان لم يدع الى طلب الدنيا والا فهو كالنار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما منقذ نفسه وغيره وهو الراغب الى الله عن الدنيا ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه وغيره وهو الداعى الى الدنيا واما مهلك نفسه منقذ غيره وهو من دعى الى الآخرة ورفض الدنيا ظاهرا ولم يعمل بعلمه باطنا وهذا وعيد لمن كان له ذكر والقى السمع وهو شهيد . وكان علماء الصحابة في غاية من الوجل والخوف والذلة قالت عائشة رضي الله عنها لفتى اختلف اليها يسألها وتحدثه فجاءها ذات يوم فقالت أي شيء عملت قال مه قالت فما تستكثر من حجج الله علينا وعليك وقال عيسى عليه الصلاة والسلام للحواريين تعملون للدنيا وانتم ترزقون فيها ولا تعملون للآخرة وانتم لا ترزقون فيها الا بعمل وقال : يا علماء السوء بلا عمل جعلتم الدنيا على رؤوسكم والآخرة تحت أقدامكم قولكم شفاء وعملكم داء كشجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها .

ومن ذلك في هذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم : مثل الذى يتعلم العلم ثم لا يحدث به كمثل الذى يكنز الكنز فلا ينفق منه (طس) عن أبى هريرة (ح) .

ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى : مثل الذى يعلم

Marfat.com

الناس الخير وينسى نفسه مثل الفتيلة تضىء للناس وتحرق نفسها . رواه الطبرانى عن أبى برزه (ح) •

وهذا مثل ضربه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن لم يعمل بعلمه وفيه وعيد شديد قال أبو الدرداء وويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن علم ولم يعمل ألف مرة ، وقال التسترى الناس كلهم سكارى الا العلماء والعلماء كلهم حيارى الا من عمل بعلمه وقال الدنيا جهل وباطل الا العلم والعلم حجة عليه الا المعمول به والعمل هباء الا باخلاص والاخلاص على خطر عظيم حتى يختم به وقال الجنيد متى أردت ان تشرف بالعلم وتكون من أهله وتنتصب له قبل اعطائه حقه احتجب عنك نوره وكان عليك لا لك •

وقد وفقنى الله تعالى لكتابة رسالة خاصة عن أصول التربية في العهد الاول وكيفية منهجه صلى الله عليه وسلم في التعليم واستخلاص نظريات تربوية وأسس منهجية من الحديث النبوى الشريف • ذكرنا هنا خلاصتها والله ولى التوفيق •

Marfat.com

اليوم أكملت لكم دينكم

كمال شريعته صلى الله عليه وسلم ووفاؤها بحاجات البشر ومسايرتها لروح العصر دون تحريف أو تبديل

Marfat.com

الشريعة الاسلامية هى أكمل وأشرف وأشمل رسالة للهداية وهى الشريعة التى ختم الله بها شرائع السماء وجعلها خالدة . وكتب لها البقاء الى أن يرث الله الارض ـ لذا كانت ثابتة مستمرة قوية البناء محكمة النظام . وافية بحاجة الافراد والجماعات .

ومعلوم أن الشريعة الاسلامية تحتوى على الاصلين العظيمين . والمصدرين الكريمين :

الاول : كتاب الله العظيم وصراطه المستقيم وحجته البالغة . وآياته الدامغة ومنهله العذب الراوى من ظمأ الجهالة .

والثانى : السنة النبوية المنيرة الشاملة لكل خير وسعادة للبشر فى دينهم ودنياهم . وهى ما أضيف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قولا أو فعلا أو تقريرا وهى قد رضى الله عنها وأوجب اتباعها والرجوع اليها . والعمل بمقتضاها . وأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم وجعل من تولى عن ذلك من الكافرين . وعلق كمال محبة الله بتمام متابعته لسنته صلى الله عليه وسلم وجعل طاعة النبى صلى الله عليه وسلم فى متابعة سنته طاعة الله سبحانه وتعالى كاتباع قرآنه . وبين أن جميع ذلك من الله وأنه لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى . فالقرآن من الله والسنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر الله ورضاه . فحينئذ يصح أن نقول : ان الذى وضع الاحكام وأحل الحلال وحرم الحرام هو الله سبحانه وتعالى .

Marfat.com

وشريعتنا ــ بحمد الله ــ تساير كل عصر وتصلح لكل جيل وتدور مع واقع الحياة وفي أصولها التشريعية القوة الكاملة التى تمدنا بتشريعات حية نامية متطورة تكفل للناس في مختلف بيئاتهم وعصورهم العدالة والاطمئنان والحياة الكريمة الطيبة .

وقد استطاعت الشريعة أن تقدم الدليل على صلاحيتها وقدرتها عندما أتيح لها أن تطبق في دنيا الواقع . فكانت فترة تطبيقها فترة فاضلة توفرت فيها العدالة الاجتماعية والكرامة الانسانية وارتفعت فيها المثل العليا منارة تضيء للاجيال الانسانية المقبلة سلم الخير والمجد . لقد نعم الناس بالحياة السعيدة وتفرغوا لحمل رسالة تحرير العالم كله من أغلال الظلم وكابوس الجهل وظلمات الضلالة .

وان واقع الامم الاخرى التى تعمل بأنظمة مغايرة لهذا الدين ليشهد لهذه الشريعة بالسمو والكمال . اذ تضطر هذه الامم أن تتنازل عن بعض ما في تشريعها ونظامها . وأن تستعير من الاسلام أمورا عديدة .

فالشريعة الاسلامية تتسع لكل ما يجد للناس من أقضية وتقوم بتنظيم شؤونهم والوفاء بحاجاتهم مهما تباعدت ديارهم وتباينت اجناسهم واختلفت عاداتهم وطباعهم . ولا يجحد ذلك الا من سفه نفسه .

Marfat.com

والناظر في الفقة الاسلامى وأصوله وقواعدة لا بد ان يسلم منصفا برحابة أفق الشريعة وتمام اقتدارها وصلاحيتها على تنظيم حياة الناس وتكفلها بمعالجة شؤونهم وانها لم تتجر أحكامها على طريقة واحدة من التفصيل والبيان بل عالجت بعض المسائل على استقلال وأدمجت كثيرا من المسائل تحت قواعد كلية ، وتركت للمستنبطين من أولى العلم تطبيق هذه القواعد الكلية على المسائل الجزئية وما وجد وما يجد .

وعلى هذا نفهم قول الله تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وبهذا المعنى ينبغى أن نفهم معنى التطور والتجديد في الشريعة الاسلامية وهى رحمة محضة وعناية ربانية بهذه الامة .

ولذلك جاءت الشريعة الاسلامية على نظام يحفظ هذا الانتظام وفى نسق يضمن التناسق التام بين الاصول والقواعد الثابتة وبين الحوادث والنوازل العصرية المختلفة . وهذا الانتظام والتناسق هو العامل الرئيسي الذى أراده الحق تبارك وتعالى لحفظ هذه الشريعة وبقاء هذا الدين مصونا عن عبث العابثين وتخريب المخربين وتحريف الغالين وانتحال المبطلين .

واذا علمت هذا فاعلم أيضا ان هذا الانتظام والتناسق يعتمد في جوهره وسره على أصول يتصل بعضها ببعض ويكمل بعضها بعضا هى تاج التشريع الاسلامى . تاجه المتلألىء في جلال وكمال . وهى المحور الذى يرتكز عليه وهى سمات وصفات وأسس التطور والتجديد والكمال .

Marfat.com

فتح باب الاجتهـاد

الاسلامي يقوم على الاجتهاد وذلك لان الاحكام التي وردت نصوصهـا في أول تلك الاصول والركائز والسمات فتح باب الاجتهاد . فالتشريع الاسلامي يقوم على الاجتهاد وذلك لان الاحكام التي وردت نصوصهـا في الكتاب والسنة معدودة ومحدودة . فقد ذكر ابن القيم في أعلام الموقعين ان عدد الآيات التي هي أصول الاحكام في القرآن لا تزيد عن ستة آلاف آية . وعدد الاحاديث التي هي أصول الاحكام خمسمائة حديث منتشرة في الآلاف الاحاديث . فأصول الاحكام في هذه الشريعة من القرآن والسنة خمسون ومئة نص هي أساس هذا التشريع الاسلامي الضخم الذي بقي الى يومنا هذا يؤتي منافعه لابناء هذه الملة .

ولقد حض القرآن المسلمين ان يجتهدوا وان يستنبطوا وان يسترشدوا بعلمائهم ومفكريهم . يقول الله سبحانه في محكم آياته : « واذا جاءهم امر من الامن أو الخوف أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى اولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم » .

وهي دعوة صريحة الى الاستنباط والاجتهاد . ولذلك حدثنا التاريخ عن الصحابة الفقهاء الذين عرفوا بالاجتهاد في الاحكام والاقضية في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وحدثنا التاريخ أيضا عن الرسول صلى الله عليه وسلم وكيف كان يدرب أصحابه على القضايا والاحكام ويشجعهم على حرية التفكير وحرية الاجتهاد ويملأ قلوبهم ثقة وطمأنينة عند الخوف من الخطأ مع الاجتهـاد .

Marfat.com

فللمجتهد المصيب أجران وللمخطىء أجر. والله سبحانه وتعالى يقول : « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما »

وعلى هذه السماحة المشرقة والاجتهاد الكريم الواسع قامت حياة المسلمين منذ فجرهم الاول . فكان الصحابة رضوان الله عليهم يجتهدون ويشجعهم الرسول على هذا الاجتهاد ويباركه وتشجعت نفوسهم الحرة مبادىء الاسلام فكانوا يختلفون في فهمهم للقضايا . وفي فهمهم للاحداث ولكنه اختلاف الاحرار لا يعرفون لجاجة ولا خصومة ولا يتنابزون بالالقاب ولا يتراشقون بالتهم ولا يفكرون في أن يحجروا رأيا أو يقيدوا فكرا .

وأكبر شاهد ناطق موقفه صلى الله عليه وسلم منهم يوم بنى قريظة اذ قال لهم : لا يصلين أحد العصر الا في بنى قريظة فأدركهم وقت العصر في الطريق ، فقال بعضهم : لا نصلي حتى نأتيها . وقال بعضهم بل نصلي ولم يرد منا ذلك فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فلم يعنف واحدة من الطائفتين وعلق على ذلك ابن عبدالبر بقوله : « هذه سبيل الاجتهاد على الاصول عند جماعة الفقهاء » كما سن الرسول صلى الله عليه وسلم لولاته في الامصار أن يجتهدوا وكانوا يرون أن أكبر نعم الله على عباده هو أن يؤتيهم فهما في القرآن وفهما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفهما في مقاصدهم .

وبهذا الفهم الكامل لروح الاسلام وبهذا الاجتهاد المتصل في يسر وسماحة وطلاقة ساير التشريع الاسلامى تطورات المسلمين من الجزيرة العربية الى سهول الارض وقمم جبالها اينما كانت الحياة . فما أحس المسلمون يوما بقصور التشريع وما احتاجوا لحظة من زمن — والدنيا في أيديهم — الى قوانين

Marfat.com

من غير شريعتهم ولا الى مشرعين(١) من غير فقهائهم بل كانوا مشرعين لانفسهم والانسانية كافة حتى ليقول (ويلز) في كتابه « ملامح تاريخ الانسانية » ان أوربا مدينة للاسلام بالجانب الاكبر من قوانينها الادارية والتجارية •

ومشت الحياة بالمسلمين رخاء طيبة وحياتهم قوية عزيزة متطورة مع الخطو الانسانى السريع بفضل الامدادات المتعاقبة من الدراسات الاجتهادية الحرة التى كانت سنة العالم الاسلامى وطابعه المميز حتى انحرف الناس عن المنهج الربانى فانحرفت بهم المركب وغرقت يوما ونجت يوما نجاة الغريق العريان •

الثانى : اعتبار المصلحة في التشريع

ومن ركائز الكمال في الشريعة هو اعتبار المصلحة في التشريع الاسلامى وقد أشار العلامة عزالدين بن عبدالسلام الى هذا المعنى فقال في كتابه قواعد الاحكام : « والتكاليف كلها راجعة الى مصالح العبادة في دنياهم وآخرتهم والله غنى عن عبادة الكل . لا تنفعه طاعة الطائعين ولا تضره معصية العاصين ، وان مصالح الآخرة لا تتم الا بمصالح الدنيا » •

ويقول الامام الشاطبى : « والمعتمد أن الشريعة انما وضعت لمصالح العباد . علم ذلك بالاستقراء فان الله تعالى يقول في بعثة الرسل وهى الاصل : « رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » •

---

(١) بتشديد الراء .

(٢) أحد المستشرقين .

Marfat.com

يقول ابن القيم في أعلام الموقعين : « ان شريعة الله مبناها في الحكم مصالح العباد في المعاش والمعاد وهى عدل كلها ورحمة كلها ومصالح كلها وحكم كلها ، فكل مسألة خرجت عن العدل الى الجور وعن الرحمة الى ضدها وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الشريعة .

فشريعة الله الخالدة كائن حي تتسع أحكامها للمصالح العامة بشرط أن لا يكون في ذلك اهدار حكم الهي أو اعتداء على قاعدة اسلامية أو تبديل لشرعة الاسلام .

الثالث : العناية بالقواعد الكلية الجامعة

من أصول الكمال في الشريعة الاسلامية العناية بالقواعد الكلية الجامعة. أقامت الشريعة دعائم كلية وقواعد جامعة ينبنى على كل دعامة منها أصول وأحكام يستخرجها العارف بطبيعة النوازل العالم بمقصد الشرع في أمثالها ، ومن هذه القواعد الجامعة مثلا قاعدة العبادات . وهى أن الله سبحانه وتعالى لا يعبد الا بما شرع . ولذلك كانت العبادات كلها توقيفية لا تعلم الا من جهة الله تعالى لانه هو الذى يعلم ما يرضيه وما لا يرضيه . وقد بين في كتابه على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يتعلق بذلك . فعبادة الله تكون بكتاب الله وسنة رسوله وباتباع السلف الصالح .

قاعدة المعاملات

وهى ان المعاملات تطلق حتى يعلم المنع . وعليه فما سكت عنه الشارع ولم يرد عنه أمر به أو نهى عنه أو تخيير فهو محل نظر . وخلاصة ما قيل في هذه

Marfat.com

الباب هو أن ما سكت عنه الشارع من المعاملات ولم يشتمل على ضرر يكون الاصل فيها الصحة . ودليل هذه الوجهة هو أن العقود والمعاملات تنبنى على عادات الناس وعرفهم . ولذلك فهى تتحرى على ذلك ما لم يأت عنه نهي ولهذا قال الله تعالى : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم » وهو يقضى ان كل شيء حلال الا ما فصل تحريمه في القرآن والسنة . فكل شرط او عقد أو معاملة سكت عنها فانه لا يجوز القول بتحريمها حتى يرد دليل على منعها أو يظهر اشتمالها على ضرر لان سكوته عنها انما هو رحمة لا نسيان كما روى الترمذى عن سلمان الفارسي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الحلال ما أحل الله في كتابه والحرام ما حرم الله في كتابه وما سكت عنه فهو مما عفا لكم . ومثله ما أخرجه الدار قطنى عن أبى ثعلبة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدودا فلا تعتدوها . وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها •

وهناك دعائم أخرى مشهورة اعتنى العلماء بجمعها وترتيبها وتصنيفها وشرحها ونقضها وخدمتها خدمة كبرى . منها : المشقة تجلب التيسير . ومنها : الضرر يزال . ومنها : الامور بمقاصدها . ومنها : اليقين لا يزال بالشك . ومنها : العادة محكمة •

الرابع : الدعوة الى فتح باب العلم

من أصول الكمال في الشريعة فتح باب العلم بالتأكيد على فضله والتحريض على اكتسابه وبيان شرف أهله ويمكن القول بأن من مفاخر الاسلام أنه أكبر مناصر للعلم وأعظم محرض على اكتسابه وكانت أول فقرة نزلت من القرآن تتصل بالقراءة والعلم •

Marfat.com

وقضية العلم في الاسلام أشهر من ان تذكر او تحصر . وآيات الكتاب وأحاديث سيد المرسلين فيها دلائل واضحات تشير بوضوح الى جملة كبيرة من المسائل التى رفعت شأن العلم والعلماء والمتعلمين والعناية بالقواعد الكلية.

الخامس : عدم وجوب التزام بمذهب معين

من أصول الكمال في الشريعة الاسلامية المرونة وعدم الجمود في التزام رأي معين أو مذهب خاص فيما شأنه الاجتهاد والنظر لان النص الشرعي قد يحمل أكثر من معنى واحد دون أن يكون ثمة ما يقطع بصحة معنى واحد منها دون المعانى الاخرى .

والطريق الذى يترجح به هذا المعنى المستفاد على المعنى الآخر المستفاد من نص واحد هو : الاجتهاد والنظر والبحث .

كما أنه بالبحث والنظر والمراجعة يمكن ترجيح المعنى المرجوح في زمن آخر يقتضي ترجيحه لمصلحة .

ولم يوجب علينا الشرع الزام معنى ظهور رجحانه عند امام أو عالم مهما تغيرت الاحوال واختلفت الازمنة .

بل عذر الخلق اذا ما اختلفوا فيها ورفع عنهم الحرج ومنح المجتهد في اجتهاده أجرا والمصيب أجرين تشجيعا للبحث والتأمل لاستجلاء مصلحة الراجحة للجميع .

ولذلك وقع الخلاف في هذه المسائل والاحكام وهو رحمة الله على هذه الامة وان من فضل الله على الناس في هذا الاختلاف تكثير الخير

Marfat.com

الموصلة للنجاة كما ان قلة الاصول في الحكم نعمة اخرى قصدها صاحب الشريعة حتى كان ينهى اصحابه ان يكثروا من سؤاله لتبقى الاشياء على اصلها وهو الحل والاباحة « ابن عابدين ١ ١٠٩ » :

ولم يكن ائمة الدين والفقه يلزمون الاخذ بمذاهبهم والتزام العمل بها . بل كانوا يرون غضاضة من هذا الخلاف وكان الواحد منهم اذا رأى المصلحة لا يأنف ان يرجع اليها •

فأبو حنيفة مثلا كان يفضل الصدقة على حج التطوع فلما حج ورأى مشقته عاد عن قوله هذا الى تفضيل الاخير . ولمحمد رأى في النجاسات عدل عنه لما ذهب الى مرو — ورأى بلوى الناس بها •

ومالك أيضا كان يقول بأشياء ثم رجع عنها •

والامام الشافعي امام المذهب الشهير لما انتقل من العراق الى مصر عاد فأنشأ مذهبا جديدا وترك مذهبه الاول . الا بضعا وعشرين مسألة منه •

لهذا كان السلف الصالح من العلماء يعذر بعضهم بعضا اذا ما اختلفوا فيها ولا يعيب أحد منهم رأيا رآه غيره ولا يخفى موقف الامام مالك الذى لم يرض للخليفة هارون الرشيد ان يجبر جميع المسلمين على العمل بكتابة المؤطأ مع شدة تحرى الامام مالك في روايته له وموافقة علماء الدين عليه وعلل مالك رفضه هذا بقوله ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرقوا في البلاد وقد يكون عند بعضهم من الاحاديث ما لم يبلغني ولو بلغني لغيرت شيئا مما دونته ولهذا كان الامام المجتهد ينهى من يستفتونه ان يتخذوا

Marfat.com

فتواه دينا يقلدونه أو أن يجعلوه سببا للتفرقة وبناءا على ذلك كان بعضهم يعمل باجتهاد غيرهم ترخصا أو موافقة لجماعة المسلمين .

ومن هذا ما روى عن الامام أحمد رحمه الله : كان يرى ان الحجامة او الفصد تنقض الوضوء فسئل عمن رأى الامام احتجم وقام الى الصلاة ولم يتوضأ هل يصلى الامام أحمد خلفه .

فقال : كيف لا أصلى خلف مالك وسعيد بن المسيب .

وكان أبو حنيفة وأصحابه يرون الوضوء من خروج الدم ولكن أبا يوسف « صاحب أبى حنيفة » رأى هارون الرشيد احتجم . وكان مالك أفتى هارون بأنه لا وضوء عليه اذا هو احتجم فصلى أبو يوسف خلفه ولم يعد الصلاة .

وروى ان الشافعى رضي الله عنه ترك القنوت في الصبح لما صلى مع جماعة الحنفية في مسجد امامهم بضواحى بغداد فقال : كثير من الناس فعل ذلك أدبا مع الامام .

وأيضا كان كبار علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم من مجتهدى السلف يتحاشون ان يسمو آراءهم الاجتهادية حكم الله أو شرع الله بل كان أعظمهم قدرا وأوسعهم علما يقول : هذا مبلغ علمى واجتهادى فاذا كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان .

وكان مما يوصى به النبى صلى الله عليه وسلم أمير الجيش قوله اذا حاصرت قوما فأرادوا ان تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا » رواه أحمد ومسلم » قال ابن القيم في أعلام الموقعين : لا يجوز للمفتى ان يقول هذا

Marfat.com

حكم الله أو أحل كذا أو حرم الله كذا تبعا لشيء وجده في الكتاب الـذى تلقاه عن قلده بل يقول هذا قول فلان •

وعلى هذا المنهج الفريد الحميد وبتلك الروح الخالصة المخلصة الصادقة سار أئمة السلف الصالح رضي الله عنهم فكانوا بهذا أقرب في الوصول الى الصواب وأسرع بلوغا اليه اذا نحوه وأقوى تمسكا به اذا أدركوه وكان شعارهم جميعا في ذلك هو أن الرجوع الى الحق من أمهات الفضائـل وكان من أثر ذلك في علاقة بعضهم ببعض نمو روح التسامح فيما بينهم وقوة المحبة والاخوة في الله وفي سبيل الحق والتعاون على كل ما يوصل الى رضا الله والى سعادة الامـة •

فبارك الله لهم في أعمارهم وأعمالهم وحفظها من أن تضيع في جـدل عقيم سقيم ليس له من باعث سوى العناد للرأى والانتصار للمذهب مهمـا بعد عن الحق أو ظهـر خطؤه •

وحفظهم سبحانه كذلك من التخاصم والتحاسد ومن كل ما يفسـد القلوب ويحبط الاعمال فنفعهم بأعمالهم ونفع الامـة بها وها هى آثارهـم لا زالت منارا يهتدى به من أراد سلوك طريقهم ونموذجا لمن وهبه الله مـا وهبهم من فقه في الدين وحرص على تحرى الحق وأراد ان ينفع كما نفعـوا ويثمر كمـا أثمـروا •

ولعل من أسباب نجاحهم أنهم يغترفون من نهر واسع الجنبات عميـق الغور ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله يرتوى منه كل منهم على قدر استعداده ولا يقابل من غيره بعتاب ولا ملام •

Marfat.com

وكان بعضهم يفهم في الآية او الحديث فهما ويفهم غيره فيهما فهما آخر فيناقش كل صاحبه بالتى هى أحسن فان كانت النتيجة اتفاقا حمدا الله تعالى وان كانت الاخرى عذر كل صاحبه وانصرفا صديقين متحابين مع ملاحظة ان اختلافهم هذا كان مع اعترافهم جميعا بحجية هذه الادلة جملة ووجوب الرجوع اليها وأن التعبد بها واعتبار حجيتها انما ثبت بدليل قطعى متواتر وان انكار جملة هذه الادلة وان كانت تفيد الظن ــ كفر صريح ــ اذ هو في الحقيقة انكار للدليل القطعى اليقينى الذى أمر بوجوب اعتبارها • وأحب هنا أن أنبه على مسألة مهمة يقع فيها كثير ممن يظن به الخير وهى عدم التفريق في انكار الآحاد بين انكار خبر واحد في مسألة بخصوصها وبين انكار جملة أخبار الآحاد قائلين في كلا الامرين عند المحاجة والمباحثة وان منكر الآحاد لا يكفر بل يفسق وهذا خطأ أو جهل اذ يدخل في ذلك انكار السنة النبوية كلها الا شيأ يسيرا ــ والواجب ان نفرق بين انكار الآحاد جملة واحدة لانها آحاد وبين انكار خبر واحد بلا مبرر او عذر ونقول ان منكر الآحاد » أي جنس الآحاد « جملة واحدة كافر لانه في الحقيقة منكر للسنة النبوية اذ هى أغلبها آحاد وان منكر خبر او نحوه في مسألة بخصوصها فاسق اذا كان بلا مبرر أو عذر يقتضي ترك الاخذ به فينبغى ملاحظة هذه النقطة •

Marfat.com

معنى التطور في الشريعـــة

وهذه المرونة والتطور والمسايرة في الشريعة قد يفهمها قوم على غير المراد ويذهب بهم الوهم الى تصور ان الاسلام لا يرد شيئا مما يجد ويحدث كائنا ما كان مهما لاح لهم بزعمهم صلاحه وتراءى في عدم تدقيق أيضـــا لهذا على قواعد التشريع وركائز الاحكام ودلائله ثم في عدم تدقيق أيضا لهـــذا الذي يحدث هل النفع فيه حقيقي وهل صلاحه متأكد ؟

والذي يجب في هذا هو تصحيح التصور وتصفية النظر والغوص على الحجج والدلائل الى الاعماق حتى لا نقع في شر من حيث نريد الخير وكم من مريد للحق لن يصيبه . نعم ان صدر الاسلام رحب ومجاله فسيح ولكنـــه ليس يلزم من هذا أن يتقبل كل جديد دون تحقيق بالقبول . حقيق ان الاسلام يقبل الشيء ويرفض الشيء ففيه الحل والحرمة والوجوب والكراهة فعـــلى المطالعين ان يعقلوا عن الكاتبين الاسلاميين ــ وفقهم الله ــ مرمى كلماتهـــم ومغزى عباراتهم من غير تسرع الى التزام ما ليس مرادا مما قد يسبق الى الاوهام وتسوء به الافهـــام .

تحديد معنى الاجتهـــاد

وتحديد معنى الاجتهاد في الاسلام ليس تضييقا بل هو ضبط لقواعده وحماية له لا بد منها وتنظيم لطرقه وترتيب لاصوله وتمييز لافراده واخراج للمتطفلين الادعياء من الذين يحسبهم الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجـــده شيئا ولذلك يقرر أئمة الاصول ان الاجتهاد لما كان مرتبة عظمى شرعية ودرجة

Marfat.com

كبرى عليه فانه يحتاج الى سعة في العلم وغزارة في المادة ومعرفة تامة بأنواع الادلة الشرعية ومن هنا كان مدعى الاجتهاد المطلق في هذا الاعصر الاخيرة ينبغى له أن يراجع نفسه ويتبصر في دعواه فقد يرى بعد التثبت انه جاهل بمقدار الرتبة التى يدعيها أو جاهل بمقدار نفسه وهو في كل ذلك ليس معذورا وقد جاء رجل يملأ شدقيه فخرا بدعوى الاجتهاد ويريد الاستنباط من الكتاب والسنة العربيين وهو لا يعرف قراءة العبارة سالمة من اللحن بل ولا يعرف علم النحو اصلا الذى هو مفتاح العربية فبالله كيف يصبح من أمثال هؤلاء دعوى الاستنباط كاستنباط السلف الصالحين أو أن يكونوا في عداد المجتهدين •

ولسنا ندعى غلق باب الاجتهاد بل هو مفتوح على مصراعيه الى يوم القيامة ولكن لمن كان أهلا لذلك وتحقق بأهلية الاستنباط وعرف ما يجب أن يعرفه من ناسخ ومنسوخ ومجمع عليه فان فضل الله واسع والمواهب منح والله ذو الفضل العظيم ، نعم : قد يهب الله تعالى لبعض عباده فتحا في القرآن وفهما في السنة النبوية يؤهله لمراجعة بعض المسائل او البحث في بعض القضايا أو استظهار فهم جديد او الوصول الى معرفة بعض الحقائق او معرفة حكم بعض النوازل والوقائع وتأصيلها الا أن ذلك لا يسمو به في مجموعه الى درجة الاجتهاد المطلق . بل يكون باحثا او صاحب نظر ورأى فدعوى الاجتهاد ممن ليس أهلا له كلمة حق أريد بها باطل وموضوع فتنة عن حلية الحق عاطل. وتدليس للحق وتنفير عن متابعة السنة والجماعة ومخالفة للجمهور •

وكم بلينا معشر المسلمين بجهلاء يحبون تفريق كلمة الدين ويلمزون الائمة المتقدمين ويوقدون نار الفتن ويشوهون سمعة العلماء ويحبون المخالفة

Marfat.com

في كل شيء وراء المصالح واضاعة للشيطان وحبا للمادة وطلبا للرياسة وتفريقا للكلمة وتشويشا على العوام فيدخلون عليهم من باب الحث على النظر والبحث وطلب الادلة الى « قضية ان الاجتهاد واجب والتقليد حرام » هكذا يطلقون هذه القضية على ما هي عليه فيبقى العامي متخبطا في متاهات من العلم الموهوم والبحث المزعوم . فلا هو بقي على ما هو عليه ولا هم علموه ليصنعوا منه مجتهد ومن ذا الذي يقول بأن الاجتهاد واجب على جميع الناس وفيهم العوام والجهلاء وأرباب الصنائع فان كان ينكر وجودهم في الامة فتلك مكابرة للحس وانكار للمشاهدة وان كان يعترف بوجود العوام المحتاجين الى التقليد فلا شك أن تقليد العوام لاهل القرون الثلاثة السابقين من الأئمة الاكابر اولى وأحق من تقليد غيرهم . فقد شهد النبي صلى الله عليه وسلم لهم بالخيرية فقال : « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » .

وهي شهادة صادقة فيهم رضي الله عنهم مع كونهم انضبطت مذاهبهم وصنفت مشاربهم وتحررت اقوالهم وفتاويهم عن اتباعهم نقلا صحيحا او متواترا خلفا عن سلف فكيف يترك اتباع هؤلاء العلماء الى تقليد من لا يعرف مواقع الاجماع ولا أسرار التشريع . ولا كيفية الاستنباط .

وليس القصد من هذا النيل من شخصية ذاتية او تحقير احد بعينه فان ذلك امر لا يعني به العاقل ولا يتألم منه الجاهل — ما لجرح بميت ايلام — انما القصد من ذلك ارشاد المسلمين وتنبيه المتعلمين لتقدير السلف الصالحين والحث على جمع الشمل وتوحيد الكلمة فان ذلك اكمل واهم واحق ما بذلت له الهمم ونحن أحوج الى الوئام من تفرق يذهب القوة والاستعداد فتتداعى علينا الامم تداعي الاكلة على القصاع ونحن في غمرة ساهون .

Marfat.com

تهمة باطلة وظن فاسد

وقد ظن بعض القاصرين ممن لم يتثقفوا بالثقافة الاسلامية الصحيحة قصور الشريعة الاسلامية عن الوفاء بحاجة البشر في كل زمان ومكان وصوروا هذا التحديد لسلطة التشريع في الاسلام تقييدا فوصفوا الشريعة بالجمود والخمود وادعوا زورا وبهتانا انها لا تصلح لهذا الزمان • ولا يمكن ان تساير روح العصر • وان المسلمين مضطرون ان يلجأوا الى القوانين الوضعية لتنظيم مجتمعهم وسياستهم بجانب عملهم . بأحكام الفقه الشرعي الذي وصل اليه فقهاء العصور الاولى من الاسلام وذلك انه كلما اتسع العمران وارتقت العلوم والصناعات وتشعبت مذاهب الحياة تجددت حوادث ونبتت مشاكل وعرضت شئون لم يكن للناس عهد بها من قبل . ولذا زعموا انه لا يمكن الاكتفاء بالشريعة دون غيرها ولا يمكن الاقتصار على ما شرعته . فراحوا يتخبطون في الاستمداد من القوانين الوضعية ويعتبرونها اصلا ومصدرا يساوي الشريعة • وأخذوا يحللون الحرام ويحرمون الحلال بما يناسب في نظرهم وتفكيرهم الحال زمانا ومكانا دون تفريق بين أصل وفرع وفن وقطع •

ان صدور مثل هذه الفرية من أعداء الاسلام أمر ليس بغريب ولا مستنكر لان أعداء الاسلام لم تكفهم الحروب السافرة والمؤامرات المدمرة التي تسفك فيها الدماء وتنتهك الاعراض وتسلب الاموال وتضاع الحقوق

Marfat.com

بل شنوا حروبا اخرى هى حرب الاكاذيب والمفتريات والتمويه والتضليل وتشويه الحقائق وقلب الاوضاع وخلق النقائص •

لكن العجيب ان يصدر مثل هذا من ابناء بلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا وينسبون الى الاسلام ويحسبون عليه في تنكر ظاهر لشريعتهم بعد ان اعترف بها وسلم بسعة أفقها أعداء الاسلام . فهذا مؤتمر القانون المقارن المعقود في لاهاى سنة ١٩٣٧ الذى اجتمع فيه مفكرون وباحثون غربيون من مختلف بلاد العالم يقرر :

(١) اعتبار الشريعة الاسلامية مصدرا من مصادر التشريع العام •

(٢) اعتبار الشريعة الاسلامية شريعة حية •

(٣) اعتبارها قائمة بذاتها ليست مأخوذة من غيرها •

ولا نشك ان هؤلاء الذين ينتسبون الى الاسلام من أعظم دسائس الاستعمار وأخطر مؤامراته ومخططاته التى أراد بها تهديم المجتمع الاسلامى والاتيان عليه من القواعد . اذ ألقى في أذهانهم ــ لما رضعوا في دياره ونشأوا في أحضانه ــ ان من اكبرأسباب انحطاط المسلمين اليوم وتخلفهم عن ركب الحضارة انما هو تمسكهم بدينهم وان دين الاسلام هذا لا يتفق مع العلم وان التمسك به لا يؤدى الى التقدم والتطور بل يقف حجر عثرة في سبيل ذلك كله « هكذا قال أعداء الاسلام » فتأثر بهذه الفكرة الجهلة من أبناء المسلمين وأجرو اقلامهم للاستعمار وأذنابه وقد فات هؤلاء الدساسين الفرق الشاسع

Marfat.com

بين ديننا ودينهم وان دينهم ورجاله وقفوا قبل فترة من الزمان في وجه النهضة الحضارية الاوربية وعرقلوا تقدمها وقادوا حركة التخلف فوقفوا من دينهم موقف العدو والحاقد ، لكن ديننا ورجاله وقادته أقاموا صرح الحضارة الاسلامية الخالدة في التاريخ وهم الذين حركوا العالم من نومه وجهله فقادوا حركة النهضة ، فينبغي أن نقف من ديننا موقف الصديق القائد لا موقف العدو الحاقد .

وهؤلاء كبار رجال القانون والفكر في وأربا يعلنون في الندوة العسية المنعقدة في الرياض في شهر صفر سنة ١٣٩٢ ـ ليعلنون اعجابهم بأحكام الشريعة الاسلامية وما سمعوه عن الحقائق عنها وحقوق الانسان فيها . وقال رئيسهم « المستر ماك برايد » الاستاذ في جامعة دوبلن ووزير خارجية ايرلندا السابق : من هنا ومن هذا البلد الاسلامي يجب أن تعلن حقوق الانسان لا من غيره من البلدان وقال زميله : ان أحكام القرآن في حقوق الانسان هي لا شك تفوق على ميثاق حقوق الانسان .

Marfat.com

الخاتمـــة

ان السيرة النبوية وسير الصحابة رضي الله عنهم وتاريخهم هى القدوة الحسنة في مناهج الدعاة . والمصدر الكبير لقوتهم الايمانية وعاطفتهم الدينية يقتبسون منها شعلة الايمان . ويشعلون بها مجامر القلوب . يرون فيها دعوة احتضنها الايمان والصدق فهانت في سبيلها الانفس على أصحابها . والاموال على أربابها والعشيرة على أهلها واستعذب العذاب لاجلها . وتتابعت الرحلات لنشرها في مشارق الارض ومغاربها وسهولها وحزونها وأغوارها وأنجادها فنسيت في ذلك اللذات وهجرت الراحات وتركت الاوطان وبذلت المهج وحر الاموال حتى أفضى اليقين على القلوب وسيطر على النفوس والعقول . وأقبلت القلوب على الله وهبت ريح الايمان قوية عاصفة طيبة مباركة . وقامت دولة التوحيد والايمان والعبادة والتقوى وانتشرت الهداية في العالم ودخل الناس في دين الله أفواجـا .

ومن هنا اشتدت عناية المصلحين والمجددين بهذه السيرة المباركة لتكون قدوة حسنة . ومادة لتجديد البعث الجديد في حياة المسلمين وايقاظ همهم والهاب قلوبهم بجذوة الايمان والحماسة الدينية . وليس لمجرد الوقوف على الوقائع التاريخية أو سرد القصص والاحداث بل لمشاهدة الحقيقة الاسلامية في مجموعها العملى التطبيقى مجسدة كاملة في مثلها الاعلى محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام .

وان هذه السيرة العطرة في شخصية هذا النبى صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام رضوان الله عليهم ترسم المنهج السوى والطريق المستقيم

Marfat.com

والسنن البينة الواضحة لدعاة الصلاح والاصلاح وأساتذة الارشاد والتعليم وتضمن لهم ان ساروا عليها النجاح والفلاح وتحقيق المرام على أكمل وجه وأحسنه .

وان هذا الفراغ الفكرى والخلاء الهائل المهيمن على العقول عن هذه السيرة الكريمة . وعن هذا التاريخ الاسلامى المجيد الذى خرج أمثال اولئك الابطال الغر الميامين والغزاة الفاتحين قادة العالم وأساتذة الحضارة الاسلامية حماة الاسلام الاعزة الاتقياء الذين هدوا العالم ودكوا العروش وفتحوا البلدان ، وثقفوا بالمعارف الاذهان ، وأسسوا حضارة اسلامية مزدهرة على تقوى من الله ورضوان . وبنوا صرح دولة اسلامية عتيدة من الشرق الى الغرب .

هذا الفراغ عن هذه السيرة أمر له خطره الجسيم . وعاقبته الوخيمة ونتيجته السيئة في الامة الاسلامية ان لم نرجع الى سيرة مجدنا القديم ونستمد حضارتنا من أصول تلك الحضارة العريقة . ونكون على صلة وثيقة تامة بأبطالنا ورجالنا وتاريخ حياتهم الذين تخرجوا في مدرسة الانسان الكامل صلى الله عليه وسلم فهم الذين لا يؤخذ الا عنهم ولا يقتدى الا بهم . ولا يسمع الا لهم . ولا يصلح لنا حال الا بما صالح حالهم به .

نسألك اللهم ان تبعث لهذا الدين الراعى الامين والقائم الرشيد الذى يعيد لنا المجد ، ويبعث فينا منه النهضة يجمع الشتات ويرفع الرايات ويصلح الامة ويكشف الغمة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . يقيم حكمك ويمضى أمرك وينشر عدلك ويغار على محارمك وينصر عبادك المؤمنين آمين .

محمد علوى المالكى

غرة ربيع الأول ١٤٠٠ من الهجرة النبويه

Marfat.com

فهرس كتاب الانسان الكامل

	صفحة
المقدمة	٣
كمال صفاته ومواهبه الذاتية	١٠
طهارة نسبة الشريف	١١
كمال خلقته وصورته	١٤
وجهه الشريف	
خده ـ عينه	١٦
الرأس والجبين	١٧
مرآة الجمال النبوى	١٩
كمال اعتناءه بمظهره الشريف	٢٤
اعتناؤه ببدنه . بشعره . بعينه . بأسنانه . بثيابه وهيئته . بنظافة بيته ومسجده	
صوته	
كمال خلق القلب المحمدى	٢٩
حكم وفوائد من شق صدره الشريف صلى الله عليه واله وسلم	٣٣
كمال العقل المحمدى	٤٠
يقظته صلى الله عليه وسلم	٤٤
حسن مدارته	٤٥
حسن اختياره للرسل	٤٦
كمال قوته البدنية صلى الله عليه واله وسلم	٤٩
كمال علمه صلى عليه واله وسلم	٥١
كمال فصاحته وبلاغته	٥٨
كمال معارفه الدنيوية بالتخطيط والتنظيم لشؤون الاسكان والاسواق وغير ذلك	٦٩

Marfat.com

صفحة

كمال الادب في الخطب النبوية ٧٥
كمال حكمته في اسلوب الدعوة ٧٧
كمال عصمته عن النقائص والشبهات وحفظ الله تعالى له من الاعداء والشياطين والمخالفات ٨١
كمال حفظ الله تعالى له ٨٢
كمال عصمته صلى الله عليه واله وسلم من الشيطان ٩٠
كمال عصمة الله تعالى له من النقائص والشبهات ٩٨
حول قصة زيد بن حارثه ١٠٤
ووجدك ضالا فهدى ودفع شبه اخرى ١٠٧
حول نسبة الذنوب الى مقامه الشريف صلى الله عليه واله وسلم ١٠٩
ووضعنا عنك وزرك ١١٢
عفا الله عنك ١١٣
عبس وتولى ١١٣
لقد خشيت على نفسي ١١٤
انه ليغان على قلبي ١١٦
سهوه صلى الله عليه واله وسلم وانه لينا في كماله صلى الله عليه واله وسلم ١١٨
الاحاديث المذكور فيها السهو منه ١٢٠
موقفه من اسرى بدر ١٢١
توضيح اشكاله ١٢٦
موقفه صلى الله عليه واله وسلم في قضية تأبير النخل ١٢٨
سحره صلى الله عليه واله وسلم لا ينافي كماله ١٣٦
هل يلعن صلى الله عليه واله وسلم احدا ١٣٩
الحاصل ١٤٣
كمال اخلاقه العظيمة وشمائله الكريمة ١٤٦
كمال رحمته صلى الله عليه وسلم رحمته صلى الله عليه واله وسلم للعالم ١٤٧
رحمته صلى الله عليه وسله بالاهل والعيال ١٥١

Marfat.com

صفحة

رحمته صلى الله عليه وسلم بالصبيان واليتيم والارملة والمريض وغيرهم ١٥٣
رحمته صلى الله عليه وسلم بالحيوان ١٥٦
كمال حياته صلى الله عليه وسلم ١٥٩
كمال جوده ١٦٣
كمال وفائه صلى الله عليه وسلم ١٦٧
كمال صبره صلى الله عليه وسلم ١٧٣
كمال زهده ١٧٧
كمال عفوه صلى الله عليه وسلم ١٨٠
كمال عدله صلى الله عليه وسلم ١٨٧
كمال تواضعه صلى الله عليه وسلم ١٩٠
كمال ادابه العامة وسمته ١٩٧
ادابه في طعامه ٢٠٠
كمال مناقبه الحميدة وخصائصه الفريدة ٢٠٤
كمال خصائصه الظاهرة وكراماته الباهرة ٢٠٥
افضليته على سائر الانبياء ٢١٨
كمال تفضيله في الآخرة باوليات ليست لغيره ٢٢٥
كمال فضله الثابت بكتاب الله ٢٣٤
كمال احواله في العبادة ٢٤٦
كمال خشيته من الله ٢٥١
كمال حكمته السياسية وقيادته الحربية ٢٥٣
كمال حكمته في تصريف الامور السياسية ٢٥٤
كمال شجاعته صلى الله عليه واله وسلم ٢٥٩
كمال قيادته الحربية ٢٦٣
تعمينه الامور على اعدائه بالتلبيس عليهم ٢٦٨
اهتمامه بمعرفة حالة الاعداء وعددهم واستعدادهم واخبارهم قبل لقائهم ٢٧٠
اخذه بالتهديد والتخويف لاعدائه قبل لقائه بهم ٢٧٣
كمال خلقه في سياسة وتربية الامة وكريم معاشرته لهم عامة ولاهله واصحابه خاصة ٢٧٥

Marfat.com

صفحة

اكمل حديث في الشمائل ٢٧٦
كريم عشرته مع الاهل وذوى القربى ٢٨١
كريم عشرته مع الناس في الحديث ٢٨٤
جبره للخاطر ٢٩٣
حسن طريقته في العتاب والتأديب ٢٩٦
كمال تربيته للامة وعنايته صلى الله عليه واله وسلم بتعليم القرآن ... ٣٠٢
تفسير القرآن ٣٠٥
التاريخ والاخبار ٣٠٦
الكتابة ٣٠٧
منهجه صلى الله عليه واله وسلم في التعليم ٣٠٨
كمال طريقته في التعليم والارشاد ٣١٤
توجيه الهمم الى العوالى ٣٢٤
تدعيم القول بالدليل ٣٢٩
العناية بذكر القصة ٣٣٣
قصة المتكلمين في المهد ٣٣٤
تقريب المسائل بضرب الامثال ٣٣٨
كمال شريعته صلى الله عليه واله وسلم ووفاؤها بحاجات البشر
ومسايرتها لروح العصر دون تحريف او تبديل ٣٤٢
الشريعة الاسلامية وواقع الحياة ٣٤٤
اصول الكمال والسمو في الشريعة الاسلامية ٣٤٥
الاول : فتح باب الاجتهاد ٣٤٦
الثانى : اعتبار المصلحة في التشريع ٣٤٨
الثالث : العناية بالقواعد الكلية الجامعة ٣٤٦
قاعدة المعاملات ٣٤٩
الرابع : الدعوة الى فتح باب [illegible] ٣٥٠
الخامس : عدم وجوب [illegible] معين ٣٥١
معنى التطور في الشريعة ٣٥٧
تحديد معنى الاجتهاد ..... [illegible]
تهمة باطلة وظن فاسد ٣٦١
الخاتمة ٣٦٤

Marfat.com

مطابع
سحر
شارع الملك خالد
ص.ب ٢٤٥٩ ـ جدة
ت ٣٣٢٣٣ ـ ٢١٢٤٢

Marfat.com

Marfat.com

مطابع
سحر
جدة

Marfat.com

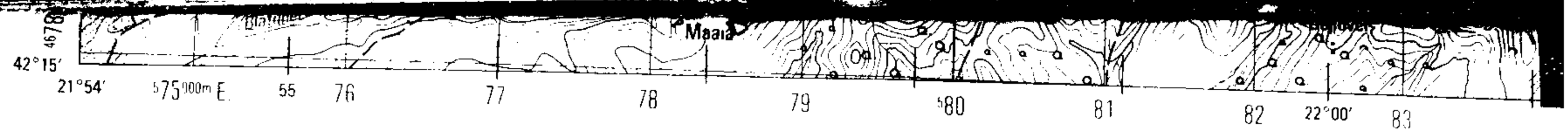

Prepared and published by the National Imagery and Mapping Agency

MAP INFORMATION AS OF 1994
ΠΛΗΡΟΦΟΡΙΕΣ ΧΑΡΤΩΝ ΑΠΟ ΤΟ 1994

Meters 1000 5
1 ½
1 ½

LEGEND

ΣΥΜΒΟΛΟ ΥΠΟΜΝΗΜΑΤΟΣ

POPULATED PLACES — ΚΑΤΟΙΚΗΜΕΝΟΙ ΤΟΠΟΙ

- Densely built-up areas — Πυκνά οικοδομημένες περιοχές
- Sparsely to moderately built-up areas — Αραιά ως μέτρια οικοδομημένες περιοχές

ROADS — ΟΔΟΙ

- All weather, hard surface
  - divided — Αμάλιτη οδός, ασφαλτοστρωτή, διαιρεμένη
  - two or more lanes wide — Δύο ή περισσότερων ρευμάτων κυκλοφορίας
  - one lane wide — Ενός ρεύματος κυκλοφορίας
- All weather, loose or light surface
  - two or more lanes wide — Αμάλιτη οδός, ακατεργάστωτη, Δύο ή περισσότερων ρευμάτων κυκλοφορίας
  - one lane wide — Ενός ρεύματος κυκλοφορίας
- Fair or dry weather, loose surface — Αμάλιτη οδός, μη σκληρός επιφάνειας, βάτη με καλό ξηρό καιρό
- Track — Καρροπατητός δρόμος
- Trail — Αμάξιτος
- Route markers: International; National; Secondary — E10 55 20 — Διεθνής, Εθνική, Δευτερεύουσα

RAILROADS — ΣΙΔΗΡΟΔΡΟΜΙΚΕΣ ΓΡΑΜΜΕΣ

Single Track / Multiple Track — Απλή γραμμή / Πολλαπλή γραμμή

- Normal gauge 1.44m (4'8 1/2") — Κανονικού πλάτους 1.44μ (4'8½")
- Narrow gauge — Στενού πλάτους

BRIDGES — ΓΕΦΥΡΕΣ

- Pedestrian, Standard — Πεζογέφυρες, Κανονικές

MISCELLANEOUS CULTURAL FEATURES — ΑΛΛΑ ΠΟΛΙΤΙΣΤΙΚΑ ΧΑΡΑΚΤΗΡΙΣΤΙΚΑ

- Tunnel — Σήραγγα
- Church, Mosque, Synagogue — Εκκλησία, Τζαμί, Συναγωγή
- Cemetery: Christian, Moslem, Hebrew — Νεκροταφείο: Χριστιανικό, Μουσουλμανικό, Εβραϊκό
- Building, School, Hospital — Κτίριο, Σχολείο, Νοσοκομείο
- Watermill, Tank, Well — Νερόμυλος, Δεξαμενή, Πηγή
- Mine: Active, Abandoned — Ορυχείο: Εν λειτουργίᾳ, Εγκαταλελειμμένο
- Heliport/Helipad, Chimney — Χερσαίο ελικοδρόμιο, Καπνοδόχος
- Stone wall, Elevated tank — Λιθόκτιστος τοίχος, Υπερυψωμένη δεξαμενή

OBSTRUCTIONS (46m or higher) — ΕΜΠΟΔΙΑ (46μ ή περισσότερο)

Single / Group — Μεμονωμένο / Ομαδικό

- Elevation of obstruction top above sea level — Ύψος κορυφής εμποδίου, ανωθεν της στάθμης θαλάσσης
- Elevation of obstruction top above ground level — Ύψος κορυφής εμποδίου, ανωθεν της στάθμης εδάφους
- High tension power line; Radio tower — Γραμμή ηλεκτρικής ενέργειας υψηλής τάσης, Ιστός χεραίας ραδιοφώνου

BOUNDARIES — ΟΡΙΑ

- International, Marker — Διεθνή, Δείκτης
- First-order administrative division — Πρωτοβάθμια διοικητικά όρια

RELIEF — ΑΝΑΓΛΥΦΟΙ

- Bluff, cliff, escarpment — Λοφώδης βράχος, γκρεμός
- Depression — Λόγκα
- Levee, Rock outcrop — Ανάχωμα, Προεξοχή βράχου

DRAINAGE — ΑΠΟΣΤΡΑΓΓΙΣΗ

Perennial / Intermittent — Μόνιμη / Διαλείπουσα

- Streams
  - Less than 25m wide — Πλάτος μικρότερο των 25μ
  - Over 25m wide — Πλάτος μεγαλύτερο των 25μ
- Spring — Πηγή
- Well — Φρέαρ
- Dissipating stream — Διαλείπουσα ροή
- Swamp — Έλος

VEGETATION — ΒΛΑΣΤΗΣΗ

- Woodland: Coniferous, Deciduous, Mixed — Δασώδη: Κωνοφόρα, Φυλλοβόλα, Μικτά
- Scattered trees — Διάσπαρτα δένδρα
- Orchard, Vineyard — Οπωρώνας, Αμπελώνας
- Mangrove — Μανγκρόβιο

GLOSSARY — ΛΕΞΙΚΟ

NOTES ΣΗΜΕΙΩΣΕΙΣ

A ONE LANE ROAD IS FROM 2.5 TO LESS THAN 5.5 METERS (8 TO 18 FEET) WIDE. FOR ROADS TWO OR MORE LANES WIDE A LANE IS CONSIDERED TO BE FROM 2.7 TO 4.1 METERS (9 TO 13 FEET) WIDE

ΟΔΟΣ ΕΝΟΣ ΡΕΥΜΑΤΟΣ ΚΥΚΛΟΦΟΡΙΑΣ ΕΧΕΙ ΠΛΑΤΟΣ ΑΠΟ 2,5 ΜΕΧΡΙ ΚΑΤΩ ΑΠΟ 5,5 ΜΕΤΡΑ (8 ΩΣ 18 ΠΟΔΙΑ). ΓΙΑ ΟΔΟΥΣ ΜΕ ΔΥΟ Ή ΠΕΡΙΣΣΟΤΕΡΑ ΡΕΥΜΑΤΑ ΚΥΚΛΟΦΟΡΙΑΣ, ΚΑΘΕ ΡΕΥΜΑ ΘΕΩΡΕΙΤΑΙ ΟΤΙ ΕΧΕΙ ΠΛΑΤΟΣ ΑΠΟ 2,7 ΩΣ 4,1 ΜΕΤΡΑ (9 ΩΣ 13 ΠΟΔΙΑ)

CAUTION: NOT ALL TELEPHONE AND ELECTRIC SERVICE LINES ARE SHOWN

ΠΡΟΣΟΧΗ: ΟΛΕΣ ΟΙ ΤΗΛΕΦΩΝΙΚΕΣ ΚΑΙ ΗΛΕΚΤΡΙΚΕΣ ΓΡΑΜΜΕΣ ΔΕΝ ΦΑΙΝΟΝΤΑΙ ΣΤΟΝ ΧΑΡΤΗ.

IN DEVELOPED AREAS ONLY THROUGH ROADS ARE CLASSIFIED

ΣΕ ΑΝΕΠΤΥΓΜΕΝΕΣ ΠΕΡΙΟΧΕΣ, ΜΟΝΟΝ ΔΙΑΠΕΡΑΣΤΙΚΟΙ ΔΡΟΜΟΙ ΥΠΑΡΧΟΥΝ ΕΝΔΕΙΞΕΙΣ

THE NUMBER IN PARENTHESIS FOLLOWING A POPULATED PLACE INDICATES MORE THAN ONE PLACE IS SO NAMED

Ο ΑΡΙΘΜΟΣ ΣΤΗΝ ΠΑΡΕΝΘΕΣΗ ΑΚΟΛΟΥΘΕΙ ΕΝΑΝ ΚΑΤΟΙΚΗΜΕΝΟ ΤΟΠΟ ΔΕΙΧΝΕΙ ΠΕΡΙΣΣΟΤΕΡΟΥΣ ΑΠΟ ΕΝΟΝ ΤΟΠΟ ΕΙΝΑΙ ΠΟΥ ΟΝΟΜΑΖΕΤΑΙ ΕΤΣΙ

Marfat.com

Marfat.com

Marfat.com